العود الأبدي

العودة إلى الأصول و الصراع بين الأسطورة والتاريخ



د. خزعل الماجدي





العَود الأبدي

العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ

رقم الإيداع لدى دائرة

المكتبة الوطنية

2017/8/4205

200

الماجدي، خزعل

العود الأبدي العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ - خزعل الماجدي

عمان : دار فضاءات،2017

الواصفات : /الأساطير//التاريخ//الديانات/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية .

* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة

المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى .

ISBN: 978-9957-699-35-2



الطبعة الأولى : 2018

العود الأبدي العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ خزعل الماجدي العراق

دار فضاءات للنشر والتوزيع المركز الرئيسي

عمان - شارع الملك حسين - مقابل سينما زهران

تلفاكس : 4650885(6-962+) هاتف جوال : 911431-777(962+)

ص . ب 20586 عمان 11118 الأردن

E-mail: Dar_fadaat@yahoo.com

Website: http://www.darfadaat.com

تصميم الغلاف : فضاءات للنشر والتوزيع

لوحة الغلاف : مندالا التنين والين واليانغ

http://beapartoftheshift.com/?cat=18

الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة : فضاءات للنشر والتوزيع

د . خــزعل المـاجـدي

العَود الأبدي

العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ



المحـتـويــات

المقدمة

ما زال (العود الأبدي) غامضاً عند الكثيرين، عامة وخاصةً، رغم أنه يُمارس من قبل الجميع كلّ يوم، ورغم أنه يشكل جوهر السلوك الديني، ولعل غموضه متأتٍ، بشكل خاص، من طريقة عرضه المشوبة بالكثير من اللبس والإبهام .

لا يمكن فهم العود الأبدي باعتباره سلوكاً أو فكرةً أو خرافة قديمة، بل يجب فهمه باعتباره نظاماً دينياً شاملاً يتضمن المكونات الرئيسية لأي دين معروف، فهو مكون من معتقدات وأساطير وطقوس خاصة به .

المعتقدات العَودية قديمة جداً فقد بدأت في عصور ما قبل التاريخ، وتبلورت عند السومريين، ثم ظهرت كفلسفة عند أنكسمندرس الملطي وهيراقليطس الأفسوسي في حدود القرن السادس قبل الميلاد وما بعده، وقد حاول الغنوصيون والهرمسيون تعميمها في الفترة الهيلنستية، ثم أعاد نيتشه الاعتبار لها باعتبارها فلسفةً تقضي بأننا عشنا هذه الحياة من قبل وسنعيشها بعد ذلك لعشرات المرات، ورأى فيها نوعاً من الخلود .

أما الأساطير العَودية فقد ظهرت، أولاً، في أساطير ديموزي السومري ودورة الموت والعودة الخاصة به وبأقرانه في الحضارات الأخرى (أزوريس، أدونيس، أتيس، ديونزيوس . . . الخ) ثم ظهرت في أساطير دورة الروح الهرمسية والغنوصية، ومثولوجيا أدوار العالم التي ظهرت في أغلب الديانات .

أما الطقوس العَودية فقد ظهرت على نطاقٍ واسعٍ في جميع الأديان القديمة والتوحيدية، وقد كشف عنها المفكر (مرسيا إلياد) واعتبرها الحجر الأساس لكل دين . وكان إلياد يرى أن الإنسان البدائي هو الأكثر التصاقاً بمفهوم العود الأبدي لأنه كان يرى في العودة إلى الأصول الروحية التي خلقت العالم والكون طريقة لتكثيف كينونته وكينونة العالم ولإيقاف صيرورة التاريخ المدنّس الذي يفرز دائماً عناصر زائفة . ولذلك أقام تضاده المعروف بين التاريخ أو الزمن المتواصل مع الأبد أو الزمن المقدس أو الأسطوري .

وكان يرى أنّ الطقوس الدينية هي التي تعيد هذا الإنسان البدائي أو المتدين إلى ذلك العالم الأصيل النقي ليلتقي هناك بالنماذج البدئية والرموز الأسطورية . وقد نظر إلى أعياد رأس السنة القديمة، بشكل خاص، على أنها طقوس لتوديع سنة تاريخية مدنسة واستقبال أو ولادة سنة جديدة يولد فيها الكون من جديد نقياً مقدساً، ورأى أن الأديان التوحيدية حاولت أن تجعل التاريخ تجلياً إلهياً عن طريق ظهورات مقدسة فيه أو انتظار نهاية مقدسة له عن طريق المخلِّص .

ومن جانب آخر أصبحت منظومة (العود الأبدي) هذه مؤئلاً للمذاهب الأصولية، التي جنحت نحو السلفية والماضي، عندما تأدلجت دينياً وغدت نظاماً قهرياً واستبدادياً مارسه الأصوليون في الدين والسياسة بشكل خاص وغدت نظاماً سلبياً تماماً .

أما في الأدب والفن فقد استثمره المبدعون الكبار في أعمالهم كأسطورة عميقة ودالة، وفي العلم ظهرت أصداؤه مع نظريات الكون المرآة وعلماء الكلانية وفي تأويلات نظرية الانفجار الكبير .

الكتب التي ناقشت العود الأبدي قليلة جداً وأغلبها يؤكد على جانب واحد منه، لكننا حاولنا في كتابنا هذا فحص نظام العَود الأبدي بأكمله من معتقدات وأساطير وطقوس، وتحرينا عنه في الشعر والرواية والتصوير وعلوم الكون والفيزياء بشكل خاص .

الفصل الأول من كتابنا هذا ناقش مبادئ العود الأبدي وتعريفه وظهوره في الأفكار الخاصة بالزمان والمكان والإنسان والأفعال المقدسة، وفي هذا الفصل حاولنا التعرف على أهم فلاسفته ومفكريه .

الفصل الثاني من الكتاب ناقش التطور الروحي لعقائد ومفاهيم العود الأبدي في الأديان كلّها والتي صنفناها على أساس خاص هنا إلى (القديمة، الغنوصية، التوحيدية) وقد سلك كل نوع من هذه الأديان سلوكاً خاصاً في التعامل مع العود الأبدي، فالأديان القديمة مارست التكرار الأبدي للطقوس ملتصقة بالنماذج البدئية (الأركيتايب) كأساس لها . الأديان الغنوصية فقد أضافت أفكار خلود الروح ونهاية العالم والأدوار الكونية . أما الأديان التوحيدية فقد عملت على تأبيد التاريخ ورفع بعض حوادثه المقدسة إلى مستوى العود الأبدي، أي أنها بقّعت التاريخ بالأبدية وصاغت بدايته الكوزموغونية ونهايته الإسكاتولوجية بطريقة أسطورية .

الفصل الثالث تحرى عن عقائد العود الأبدي في الهرمسية والغنوصية وفي طرق تطبيق العود الأبدي، وهنا كشفنا العقيدة العودية كاملةً عبر طريقة إيقافها للزمان التاريخي واختراقه بالزمان الأسطوري .

في **الفصل الرابع** خصصنا البحث في مثولوجيا العود الأبدي ومنها أدوار العالم، الروح الأبدي، الماء الأبدي، ورموز العود الأبدي .

وفي **الفصل الخامس** تحرينا عن طقوس العود الأبدي التي مارسها الإنسان القديم من خلال أعياد رأس السنة بشكل عام والأعياد المندائية بشكل خاص كنموذج مميز لهذه الطقوس .

في **الفصل السادس** فتشنا عن العود الأبدي في الفن والأدب والفكر وكشفنا الجانب الإبداعي والجانب المضلل (الأصولي) فيها . وفي العلم ناقشنا نظرية المرآة وما صرح به علماؤها حول العود الأبدي للعالم، وتردد صدى حوادث الكون في بعضها البعض، وفي نظرية الانفجار الكبير .

نرى أنَّ العود الأبدي موجود اليوم في سلوكنا وحياتنا بشكل واضح وعلينا كشف الوعي الجميل له والوعي الشقي به، فهذان الوعيان هما ما يجعلانه إما مادة للإبداع أو مادة للقهر والاستبداد . ولذلك يحاول الكتاب أن يجيب عن السؤال الآتي : هل العود الأبدي فكرة جميلة مضللة؟ أم هي فكرة دينية تتلبس الفلسفة والعلم؟

دعونا، إذن، نتصفح الكتاب ونقرأه بحثًا عن الأجوبة .

د . خزعل الماجدي

a_khazal@hotmail.com

الفصل الأول
مقدمة في العود الأبدي



رسم لثيودورس بيليكانوس عام1478في مخطوطة نص كيميائي بعنوان synosius ويرمز لما يسمى بالأوروبوس وهو التنين أو الثعبان الذي يضع ذيله في فمه والذي يشير إلى بداية الخليقة الساكنة والعود الأبدي . http://scribalterror.blogs.com

ما هو العود الأبدي؟

لا يمكننا فهم العود الأبدي Eternal Recurrence, Eternal Return إلاّ إذا ميّزنا بين طريقتين لفهمه، الأولى تعاملت معها الشعوب البدائية وشعوب الحضارات القديمة والوسيطة وتقضي بأن العود الأبدي هو طقسٌ ديني، في الأساس، ينفذه الشخص أو الجماعة المتدينة لكي تقطع مسرى التاريخ المتواتر وتعود إلى التاريخ الأسطوري أو إلى الأبد الأزلي الغائر في الزمان الأبعد حيث كانت بداية الخليقة أو بداية الأحداث المقدّسة . ولذلك يكون العود الأبدي هنا إجراءً عملياً أو طقساً دينياً يمارسه المتعبد لكي يستحضر الزمن المقدّس ويواجه به الزمن الدنيوي (المدنس) . وقد أخذ بهذا الفهم ونظّر له العالم الروماني الأصل مرسيا إلياد وقامت عليه نظريته في علم وتاريخ الأديان .

الفهم الثاني للعود الأبدي يرى أن حركة الزمان لا تمتد بشكل مستقيم إلى الأبد بل لا بدَّ أن تتوقف عند نهاية معينة، وبعدها يبدأ الزمان من جديد . . من نفس بدايته الأولى وهكذا إلى الأبد . وهذا يعني أنَّ الأحداث في كل دورة زمانية ستكون نفسها وستتكرر . أي أننا عشنا في الدورات الزمنية السابقة وسنعيش في الدورات الزمنية القادمة كما نحن الآن، وقد مرت علينا نفس الأحداث وستمر في الدورات القادمة . وقد ابتكر هذا الفهم فلاسفة الإغريق قبل سقراط وأولهم انكسمندريس الملطي ثم هرقليطس الأفسوسي ويعتبر الفيلسوف الألماني نيتشه مجدد هذا الاعتقاد أو الفهم والذي قامت فلسفته عليه .

ويتضح الفرق بين الفهمين في أن الأول عبارة عن طقس ديني أما الثاني فهو معتقد فلسفي . والفهم الأول يفصل بين زمنين الأول الأصل وهو الزمن الأسطوري المقدس والثاني هو الزمن التاريخي المدّنس . . ويعتبر أن عودة الآلهة والزمن الأسطوري في نهاية التاريخ حتمية .

في طيات المدرستين الخاصتين بالعود الأبدي مفاهيم وآراء كثيرة ومعالجات تفصيلية، سنأتي على ذكرها، لكن تأكيدنا سيكون على الفهم الأول لما له من تأثيرات مباشرة على سلوكنا وطريقة تفكيرنا رغم أننا سنفصل في شرح الفهم الثاني وسنربط بينهما .

العود الأبدي، فلسفياً، هو معتقد قديم يقضي بأننا سنعيش حياتنا هذه مراراً وتكراراً في أزمان قادمة، وأنها كانت موجودة في أزمان قديمة سالفة . وسيحصل هذا إلى الأبد . أي إن ما نعيشه اليوم من حياة على هذه الأرض ما هي إلا نسخة مطابقة لأصل حياة قديمة عشناها بنفس الطريقة وسنعيشها في المستقبل بنفس الدقة والتفاصيل . وبذلك تكون هذه العقيدة نوعاً من أنواع عقائد الخلود .

إنَّ العود الأبدي أو التكرار الخالد أو الدورة الأبدية ترى أنَّ الحياة نشأت من أصل أزلي لا نعرف زمن حصوله، ولكنه كان في أول الزمان (الدائري) وقد انتهت دورة الحياة بكارثة أو قطع، ثم أُعيدت بنفس الطريقة والمنوال وبذات الأحداث في دورة ثانية . . وهكذا تتكرر الدورات إلى الأبد .

والحقيقة أن (العود الأبدي) هو طريقة كاملة في التفكير والعيش وهي أقرب إلى (الديانة الخاصة) التي نجد نظامها مبثوثاً في كلّ الديانات بطريقة أو بأخرى . ولذلك فهي عقيدة وأساطير وطقوس متجانسة ومشكلة المكونات الرئيسية لديانة (العود الأبدي) ولها أخلاق وشرائع وسيرُ أبطال وجماعات مؤمنة . وسنعمل على جمع عناصر هذه الديانة المتشظية ووضعها في نظام ديني متكامل يدرس مكوناتها الرئيسية والثانوية بالتفصيل .

وإذا كنا سنكشف الجوانب السلبية والوهمية في هذه العقيدة (التي هي منشأ الأصولية) لكننا يجب أن ننوه إلى الجوانب الإيجابية فيها فضلاً عن الجوانب الشعرية والأدبية، فهي يمكن، بعد فهم فلسفة عودة الحياة إلى ما كانت عليه، أن تحرض على العيش بطريقة جيدة وجميلة تجعل المرء يشحذ فيها أفضل لحظات المتعة والتخفيف إلى أقصى حدّ من لحظات التعاسة والبؤس .

كان الفكر الميتافيزيقي القديم مكوناً من نظام منسجم من الأساطير والرموز والطقوس قبل أن يتحول إلى فلسفة محكمة كما حصل عند الإغريق . وكان هذا الفكر عملياً، أكثر من كونه نظرياً، وهو يتجلى بإضفاء القدسية على الأشياء حين تكون لها

صلة بالآلهة أو بقوة عليا تضفي عليها السحر والخارقية وتجعلها أشبه بالممسوسة بالقوة الاستثنائية .

هذه هي القاعدة العامة في فصل المقدس عن المدنس، فالمقدس هو ما اتصل بالقوة العليا، والمدنس هو الخارج عنها . وينطبق هذا على كل شيء (الزمان، المكان، الأشياء، الإنسان، الحيوان، النبات . . إلخ) وهكذا تكون الميتافيزيقيا البدائية قائمة أساساً على مجموعة من الأسس والمبادئ وهي :

1 . **المقدس والمدنس :** حيث يتصل المقدس بالقوة العليا أو بالآلهة أو يكون جزءاً من ممارسة عمليةٍ لاستذكار أو استعادة زمن بدئي مقدس يسوده (الآلهة، النور، الأسطورة) . أمّا المدنس فهو خارج كل هذا . . ، إنه كل ما يمت بصلة لـ (الإنسان، الظلام، التاريخ) .

2 . **المينوكية والجيتيكية** (Menok, Getik) **:** حيث المينوك هو الشكل السماوي المقدس والبدئي لكل شيء ولكل حقيقة فهو العالم المثالي الأول، أما الجيتك فهو العالم الناقص الأرضي البشري المدنس وغير المثالي . فعالمنا هذا (جيتيك) لأنه ظلٌّ لعالم مثالي علوي مقدس، ولكل شيء في عالمنا هذا نموذج (مينوكي) متعالٍ وبعيد، وبنفس هذه الكيفية قسم أفلاطون الوجود إلى مثالي وواقعي (محسوس) .

3 . **النماذج البدئية والنماذج المكررة :** النماذج البدئية (الأركيتايب) هي الأشكال والرموز والأساطير والأبطال والأحداث الأولى التي حصلت في بداية الزمان وهي وحدها التي يعود لها الإنسان، إنها كائنات العالم المقدس أو المينوكي أو المثالي . أما النماذج المكررة فهي النماذج التاريخية التي تحاول تقليد النماذج البدئية وتحاكيها وهي دون قيمة وأقل قدسية، إنها كائنات العالم الدنيوي المدنس المحسوس .

إنَّ وعي (العود الأبدي) والقدرة على التحكم به يمكننا أن نجعله مساهماً في سعادتنا الحالية وعاملاً إيجابياً على حياةٍ أفضل . لكن الغالب في الأمر هو أن (العود الأبدي) يتسرّب فينا على شكل عقائد سلفية تمجّد الماضي وتنحو نحو الأصولية كما سنرى، وبذلك يكون عدم فهم العود الأبدي وجعله طاغياً متحكّماً في حياتنا بنوع من الاستسلام أو التعصب هو ما يجعله جحيماً

حقيقياً لأنه يقذف بنا إلى عالم الأسطورة ويجبرنا على الإيمان بها ومواجهة التاريخ وغضّ النظر عن مشكلاتنا المعاصرة وعدم النظر لها بجدية .

4 . **الدائرة والمستقيم** : حيث يكون العود الأبدي دائرة في الماضي المقدس بينما يكون التصالح مع التاريخ تماشياً مع المستقيم الكرونولوجي للأحداث . ويتبع هذا القول بالزمان الدائري (الدوري) التكراري الذي هو زمان الأسطورة المقدس وما حصل فيها، والزمان المتصل المستقيم التاريخي الذي لا يتكرّر بل يتقدم إلى أمام .

إن البدائي وهو يمارس العود الأبدي كان"يمنح الزمان وجهةً دائرية، يلغي عدم قابليته للرجوع . كل شيء يعود إلى بدايته في كل لحظة . وليس الماضي غير تصور سابقٍ للمستقبل . ما من حادثةٍ إلاّ وهي قابلة للرجوع، وما من تغيير إلا وهو غير نهائي، بمعنى ما، يمكننا القول أنه لا يحدث جديد في العالم، لأن كل شيء ما هو إلا تكرار للنماذج البدئية نفسها، وهذا التكرار، إذ يحيّن اللحظة الميطيقية التي تتكشف فيها البادرة النموذجية، ما ينفك يُبقي العالم في لحظة فجر البدايات نفسها . والزمان لا يفعل شيئاً غير أن يتيح للأشياء أن تظهر وأن توجد، فليس له تأثير حاسم على هذا الوجود لأنه هو نفسه ما ينفك يولد من جديد" . (إلياد : 1987:160)

الزمان المقدّس (الأبد)
والزمان المدنّس (التاريخ)

لعلّ (مرسيا إلياد) خير من بحث في العود الأبدي Eternal Return وعلاقته بالأسطورة وخير من فرّق بين الزمن الأبدي والزمن التاريخي . فهو يرى أن الزمان والمكان والأشياء يمكن أن تُصنف إلى نوعين أحدهما مقدس أبدي والآخر مدنّس تاريخي، والمنظومة المقدّسة هي من صنع الآلهة (أو الإله الواحد) أما المنظومة المدنّسة فهي مرتبطة بالإنسان .

ويرى أنه لكي يكتسب الشيء القداسة ويكون حقيقياً لا بدّ أن"يشترك، على نحو أو آخر، في حقيقة تعلو عليه . من بين كثير من الأحجار حجر واحد (يتقدس) فما يلبث حتى نجدهتبعاً لذلك – مشبعاً بـ (الكينونة) لأنه يشكل تجلياً للقدسي، أو يمتلك (مانا) (قوة فاعلة أو تأثيراً سحرياً)، أو ينبئنا شكله برمزية معيّنة أو يذكّرنا بفعل ميطيقي (أسطوري) .. إلخ فالشيء يبدو وكأنه وعاء لـ (قوة خارجية) تفرقه عن محيطه وتمنحه (معنى) و (قيمة) . وقد تقيم هذه القوة في ماهية الشيء نفسه أو في صورته، فصخرة تتكشف عن قدسية لأن وجودها بالذات هو تجلٍّ للقدسي" (إلياد 1987:17) .

الزمان الحقيقي، من وجهة النظر العود أبدية، هو زمان الأسطورة وهو زمان الأصول الذي تكوّن به العالم لأول مرة، إنه زمان الخليقة الأول، وهكذا يكون الزمان المقدس هو زمان العود الأبدي والذي يقف بالتضاد مع الزمان المدنّس التاريخي والذي هو من صنع الإنسان .

الزمان المقدس دائري لا بداية ولا نهاية له بينما الزمان التاريخي مستقيم متتابع له بداية ونهاية ومراحل .

الأنطولوجيا البدائية لإنسان ما قبل التاريخ وإنسان الحضارات القديمة والوسيطة، بشكل عام، وكذلك للإنسان البدائي المعاصر الذي يعيش بعيداً عن العصر الحديث، هذه

الأنطولوجيا البدائية ترى الوجود مثالياً مرتبطاً بنموذج أعلى (سماوي أو نوراني أو قبلي) ولا يمكن احتمال وجودنا إلا إذا كان قدسياً نموذجياً، أما ما تدنس منه أو فسد فقد انفصل عن ذلك الوجود المثالي .

الوجود بلا معنى ولا حقيقة دون أن يكون مثالياً وهذا يعني بالضرورة إلغاءً للزمان وتقليداً للنماذج البدئية عن طريق تكرار حدوثها طقسياً .

ويرى مرسيا إلياد وفقاً لذلك أن أفلاطون هو (فيلسوف البدائية) فقد نظم تلك الأفكار في منظومته وفق النموذج البدئي للأقوام القديمة لكنه حوّلها من نموذج إلهي أسطوري إلى نموذج عقلي فلسفي .

يمكننا اعتبار أفلاطون فيلسوف (العقلية البدائية) بامتياز، أي المفكر الذي حالفه التوفيق في تقويم طراز الوجود والسلوك عند البشرية القديمة تقويماً فلسفياً . بطبيعة الحال، إن هذا لا ينتقص من (أصالة) عبقريته الفلسفية، لأن ميزة أفلاطون الكبرى هي في جهده الرامي إلى تسويغ هذه الرؤية لدى البشرية القديمة تسويغاً نظرياً، وذلك بالوسائل التي وضعتها روحانية عصره تحت تصرفه . (إلياد : 70:1987-71)

إنَّ عملية تكرار حصول النماذج البدئية (الأسطورية) هو نوع من إلغاء الزمن الدنيوي أي التاريخ والمحافظة على الزمن الديني أي العود الأبدي الأسطوري . لم يكن بإمكان الإنسان القديم تحمل الزمن التاريخي المستقيم الرتيب، ولذلك كان يلغيه بصورة دورية عن طريق الطقوس . فهو يلغي بالطقوس اليومية (الصلاة، الدعاء، التراتيل) تاريخ اليوم المدنس الذي خاض فيه بأعمال دنيوية، ويلغي بالطقوس الشهرية (أيام الاستراحة في نهاية كل أسبوع) تاريخ الشهر المدنس، ويلغي بالطقوس الفصلية (طقوس الفصول الأربعة وأعيادها) تاريخ الفصل الذي تدنس، ويلغي بالطقوس السنوية (عيد رأس السنة وأعياد الآلهة) تاريخ السنة والتاريخ كلّه في تواصل مع العود الأبدي والزمن الأسطوري .

صار واضحاً أن هناك صراعاً كبيراً بين الزمن البدئي الأسطوري والزمن التاريخي، وأن البدائي يحاول دائماً عن طريق الدين، بصورة خاصة، مصارعة التاريخ، فهو يحاول تحمل أو تجميد أو إلغاء التاريخ لصالح الأسطورة عن طريق استحضار النماذج البدئية (Archytypes) التي ترقد هناك في لاشعورنا العميق موروثة من ثقافة أسلافنا دون أن نعيها، فإذا كان اللاشعور الشخصي يتكون من عقد (Complexes) فإن

اللاشعور الجمعي في الإنسان يتكون من نماذج بدئية . وهذه النماذج البدئية موجودة في الأساطير على شكل محاور (موتيفات) أساسية أو (مقولات) أو خيال أو (أفكار) أولية .

وللنماذج البدئية تأثير كبير على الإنسان، فهي مستودع ونويّات أفكاره الأساسية ويصف يونغ تأثيرها الكبير عندما يقول ″ما من مجنون واقع تحت سيطرة نموذج بدئي لا يكون فريسةً له . لو كان تنبأ شخص قبل ثلاثين عاماً وقال بأن تطورنا السيكولوجي يميل إلى إحياء اضطهاد اليهود كما في القرون الوسطى، وإن أوربا سوف ترتعد فرقاً أمام جحافل الرومان ووقع خطاهم، وإن الناس سوف يرفعون أيديهم مرة ثانية بالتحية الرومانية، مثلما كانوا يفعلون لألفي سنة خلت، وأن الصليب المعقوف سوف يرفرف، بدلاً من الصليب المسيحي، فوق رؤوس الملايين المستعدين للموت لماذا، لو أن شخصاً فعل ذلكم، إذن لاستهجنا نبوءته ونعتناه بالحمق . واليوم، لعل ما يدعو إلى العجب أن يكون كل هذا العبث واقعاً يدعو إلى الرعب . الحياة الخاصة، والسببية الخاصة، والعصاب الخاص كل أولئك كاد أنْ يصبح مجرد خرافة في عالم اليوم . لقد عاد إنسان الماضي الذي عاش في عالم (الصور الجماعية) عاد إلى الظهور ثانية في حياة مرئية جداً وحقيقية جداً تبعث على الألم . لم يحدث هذا في بضعة أفراد فقدوا توازنهم وحسب، وإنما في ملايين كثيرة من الناس . ″ (يونغ : 84-85:1994) .

وحين تتم عملية تنشيط أو إيقاظ النماذج البدئية يشعر الإنسان بأنه قد حصل على توازن وانسجام وتطابق مع الكون كله . ولذلك يشعر ببداية الزمان ونهايته في أعماقه ولا يعود أي معنىً للزمن التاريخي .

يوجد من النماذج البدئية بمقدار ما يوجد من أوضاعٍ نموذجية في الحياة . لقد حفر التكرار الذي لا نهاية له هذه الخبرات في تكويننا النفسي، لا في هيئة صور ممتلئة بمحتوى، بل قبل هذا كأشكال فارغةٍ من كل محتوى، لا تمثل غير إمكانية نموذج بدئي، ينشط هذا النموذج ويظهر نوع من القسرية تشق طريقها وشأنها في هذا كشأن كل حضٍّ غريزي على الرغم من كلّ عقلٍ وإرادة، وإلا خلق نزاعاً ذا أبعادٍ باثولوجية (مرضية)، أي عصاباً (يونغ 85:1994) .

يمكننا أيضا ممارسة العود الأبدي عن طريق استعادة الأساطير وتمثلها بشكل حقيقي والعيش معها وفيها، وإذا كانت النماذج البدئية تشكل الرموز والإشارات والدوال، فإن

الأساطير نسق من الحكايات الإلهية التي تفسر خلق الكون والحياة والإنسان والتي توضح تدخل الآلهة في عمران وخراب الكون بما فيه، والتي تشرح كيفية نهاية العالم والإنسان عن طريق الموت والغرق والطوفان والعصف وربما الفناء الكلي . هذه الحكايات الإلهية مقدسة لا يرقى إليها الشك عند (البدائي أو المؤمن) لأنها النماذج المثالية لأحداث الكون والعالم والإنسان، فهي عُدَّته الدائمة لفهم ما جرى .

هذه العدة جاهزةٌ دائماً للتدخل وإيقاف الزمن التاريخي أو لانتشال الحدث التاريخي وتحويله إلى حدث أسطوري عن طريق إرجاعه إلى منطقة الأصول الأسطورية وصبغه بالحكايات الإلهية الأولى .

إنَّ الصفة التاريخية للأشخاص الذين يتغنى بهم الشعر الملحمي ليست هي موضوع البحث، لكن تاريخيتهم لا تقاوم طويلاً فعل التآكل الذي تقوم به الأسطرة، فالحدث التاريخي يجد ذاته، مهما بلغت أهميته، لا يعلق بالذاكرة الشعبية ولا تلهب ذكراه المخيلة الشعرية، إلا عندما يدنو قرباً من نموذجه الميطيقي . (إلياد :84: 1987)

هناك طريقتان لاستعادة الأسطورة من أجل تحقيق العود الأبدي : الأولى هي أن نعيد بجلال وقدسية سرد أحداث الزمن الأسطوري في تلاوة أو غناء أو طقسٍ ديني كامل، والثانية هي أن نصبغ البطل أو الحدث أو الزمان أو المكان بصبغة الأسطورة ثم نحاول مطابقته مع مادة الأسطورة نفسها .

(يشير إلياد إلى أن الأسطورة الكوزموغونية (الكونية) تُستخدم في مجتمع تقليدي باعتبارها نموذجاً لكل أنواع الخلق : لإنجاب طفل ولتقليد ملك، ولبدء معركة ولشفاء مرض ولإنبات البذار . . إلخ، كل ولادة جديدة تمثل تكثيفاً رمزياً لإعادة ولادة الكون وللتاريخ القدسي . وتتلى أساطير الخلق، وأساطير الأصول لمنفعة فرد بحد ذاته أو لتجديد حياة الجماعة كلها، ويذكر إلياد في هذا السياق، أنه في جزيرة (سومبا) تتلى الأساطير الكوسموغونية، وأساطير الأصول بمناسبة الحوادث البارزة لحياة الجماعة : حصاد وفير، وفاة قائد بارز، تشييد بيت احتفالي، فيروي القصاصون بهذه المناسبة حكاية الخلق وحكايات الأسلاف أي البدايات، اللحظة التي تشكلت فيها مبادئ الثقافة . بتحيين هذه تتجدد الجماعة كلّها، وبعودتها إلى منابعها (أصولها) إذ ليس يكفي أن نعرف أصل الشيء أو أصل القبيلة والشعب أو الجماعة، بل يجب أن نعيدها إلى اللحظة

التي خلقت فيها؟ أي العودة إلى الخلق، إلى الزمن القدسي البدائي، وتحيين البدايات المطلقة، أي خلق العالم . (الكيلاني :167: 1998)

أمّا طريق الآخر لاستعادة الأسطورة فيكمن في صبغ البطل أسطورياً وتأليهه ورد صفاته على الآلهة بل إلى ما ابتدأ به الكون نفسه عندما صارع الإله الجديد آلهة العماء القديمة . وهكذا يتشذب البطل ويتقدس شيئاً فشيئاً فنكون بذلك قد مارسنا العود الأبدي تماماً .

تصبح بداية الزمان، الذي كانت تحكمه الآلهة، مقدسة لأنها من صنع كائنات عليا جعلتها نموذجاً عالياً لبقية الزمان المتواتر، وهكذا تكون بداية الزمان دائرية متكاملة أسطورية فيما تكون بقية الزمان بعدها مستقيمة ناقصة تخلو من القداسة وتشكل ما نسميه بـ (التاريخ) الذي هو امتداد متواتر بعدها .

وهناك بعض الأديان التي تجعل من التاريخ مكاناً لظهور المقدس أيضاً بحيث تحول تدفقه المستقيم إلى زمان مقطوع بما هو دائري أسطوري ومقدس، مثل المسيحية التي حاولت الاستحواذ على التاريخ عن طريق ظهور المسيح فيه وانتظاره القادم ليخلص العالم .

لكن الإجراء التقليدي الذي يستذكر الزمان المقدس ويقطع التاريخ يتم عن طريق الأعياد والطقوس، فالديانة المندائية مثلاً ترى أن السنة مكونة من 360 يوماً أما الأيام الخمسة المتبقية فهي أيام مقدسة مخصصة لخلق السنة الجديدة، وهم يحتفلون بها استذكاراً لبداية الخليقة وتيمناً ببداية العالم .

المزدكية ترى أنَّ الإله (هرمز أو أرمزد) هو الذي أسس الأعياد الدينية"إحياءً لذكرى المراحل التي مرّ بها خلق الكون، ودام كل منها سنة واحدة . فقد خلق في كل مرحلة على التعاقب السماء والماء والتراب والنبات والحيوان والإنسان (في ستة أيّام، كل يوم منها مدته سنة واحدة)، وكان يستريح خمسة أيام بعد كل مرحلة، وبذلك أسس الأعياد الرئيسية المعروفة في الديانة المزدكية" (إلياد 48: 1987) .

المكان المقدّس والمكان المدنّس

تمثل الأماكن المقدسة في العالم نموذجاً (مينوكياً) هابطاً أو متصلاً بالعالم العلوي المقدس . فالأرض معتمة مدنسة وما يضيئُها هو الأماكن المقدسة مثل المعابد والمقامات والمدن المقدسة . فالمعبد والكنيس والكنيسة والمسجد هي أماكن مضيئة مقدسة وسط عالم مظلم مدنس، والمدن كذلك لها نماذج مقدسة في السماء، فقد كانت″جميع المدن البابلية كان لها نموذج في المجموعة البرجية : مدينة (سيبار) نموذجها السرطان، ونينوى نموذجها الدب الأكبر، وآشور نموذجها القوس، وقد أمر الملك سنحريب ببناء مدينة نينوى على حسب (الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيئة الماء″ (إلياد 1987:24)

في رؤيا يوحنا نعرف أنّ أورشليم تنزل من السماء من عند الله مهيأة كالعروس المزينة لرجلها (يوحنا 21:2) وكذلك تكون مكّة المكرّمة عند المسلمين .

وعلى هذا الأساس يكون للعالم المظلم المدنس نموذجه (المدنس) أيضاً . والحقيقة أنَّ العلماء (الكاؤوس Chaose) هو النموذج المينوكي المدنس، ففيه الأرض الموحشة والصحراء والأماكن غير المسكونة وكذلك العالم الأسفل والقبر .

إنَّ العالم الذي تبنيه يد الإنسان يبقى مدنساً ما لم يُنسب أو يوصل بنموذج فوق أرضي، سماوي، إلهي يحتفظ بهيكله الأصلي .

إنَّ التحول من العماء على الكون Cosmose هو عملية طقسية يتحول فيها الهباء إلى نظام، الفوضى إلى قوانين، وهو ما نلمحه دائماً في أساطير الخليقة التي تبدأ بكائن عمائي يتحول بفعل إله قوي إلى كائنات كونية وكون شامل جديد نشيط .

ويتم هذا التحول من خلال الأفعال الآتية :

1 . **التطويب** : وهو قراءة الكلمات الإلهية في ذلك المكان من أجل ربطه بالسماء أو بالآلهة .

2 . **القربان** : وهو إعادة تمثل بداية الخلق يوم تمّ ذبح إله مخطئ من أجل خلق الإنسان، وضخّ الحياة فيه . وقد استبدل سفح الدم البشري إلى دم حيواني .

3 . **الرفع** : حيث يتم وضع المكان المقدس على مرتفع أو جبل أو على تلّة اصطناعية للإيحاء بتواصل أكبر مع الأعالي . وقد وصفت المعابد بأنها الجبال المقدسة وكانت المدن فوق التلال ترميزاً لعلوها، وهكذا كانت الزقورات والأهرامات .

4 . **الإضاءة :** تستمر إضاءة المكان المقدس في إشارة لجعله مميزاً عن العالم المظلم الذي حوله، فالضوء أو النور علامة مهمة من علامات تقديس المكان .

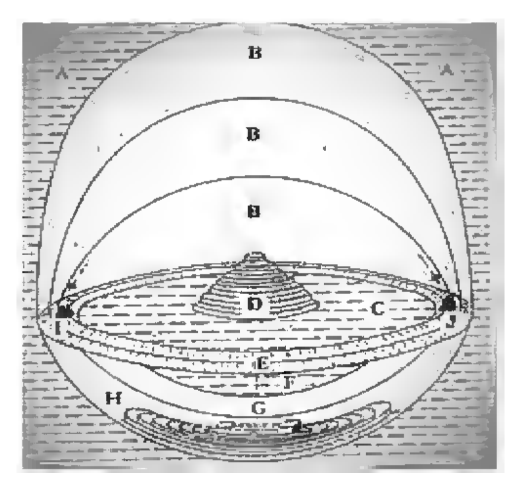
5 . **المركزية :** توضع الأماكن والشواهد المقدسة في المركز لكي تشير إلى كونها (مركز العالم) المضيء والمقدس قياساً إلى المحيط المظلم المدنس حولها، وهو ما نجده واضحاً في الأسماء التي كانت تطلق على المدن والمعابد باعتبارها (محور العالم Axis Mundi) أو (سرّة الأرض) كدلالة على رمزية التقاء السماء والأرض عندها .



محور العالم Axis Mundi

http://bluclai.blogspot.com/2009_07_01_archive.html

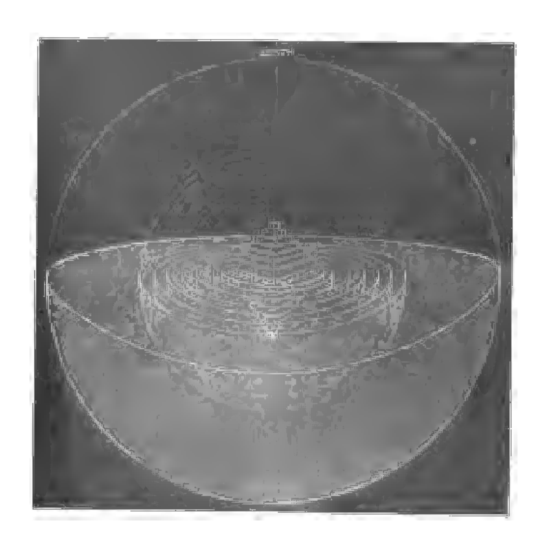
يرى السومريون مثلاً أنّ (نيبور) (نفرّ) هي سرّة الأرض، وأنَّ آخر مكان انفصلت فيه الأرض عن السماء هو (أوزموا) التي خلق فيها الإنسان حسب الأسطورة السومرية الخاصة بذبح آلهة العمل هناك وخلط دمها بالطين . ومركز نفر أو سرتها هو معبد الإله إنليل الذي يسمى بـ (رباط الأرض والسماء) .



الكون السومري وفي مركزه الأرض التي مركزها (نيبور)

http://amennu.web.surftown.dk/gv_0012b.htm

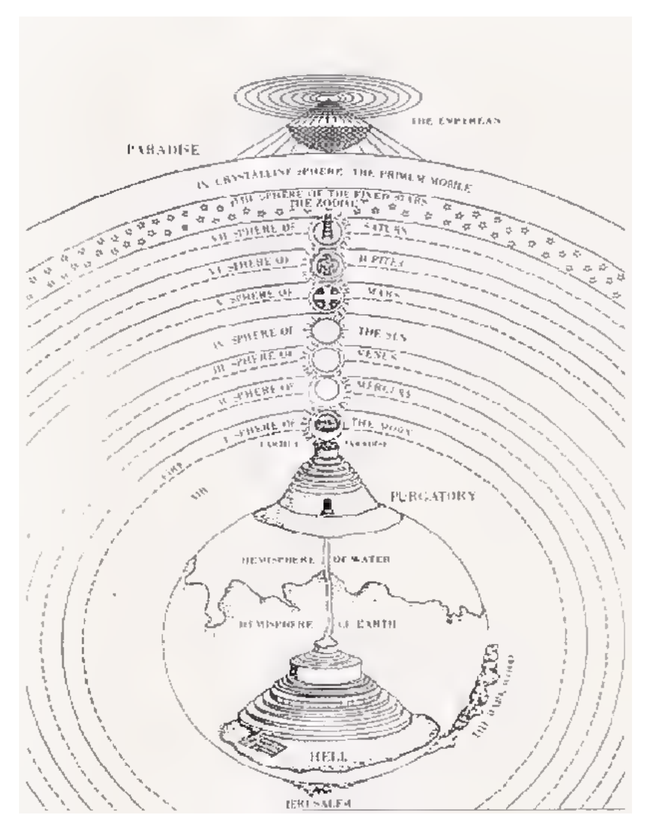
كذلك يعدّ البابليون (بابل) سرّة الأرض ويعدون برج بابل مكاناً لاتصال الأرض بالسماء .



الكون البابلي وفي مركزه الأرض التي مركزها بابل

http://www.sacred-texts.com/earth/boe/boe10.htm

ومثل ذلك يكون جبل (ثابور) في فلسطين (تبور تعني سرّة) وجرزيم عند السامريين وجبل الجلجلة عند المسيحيين .



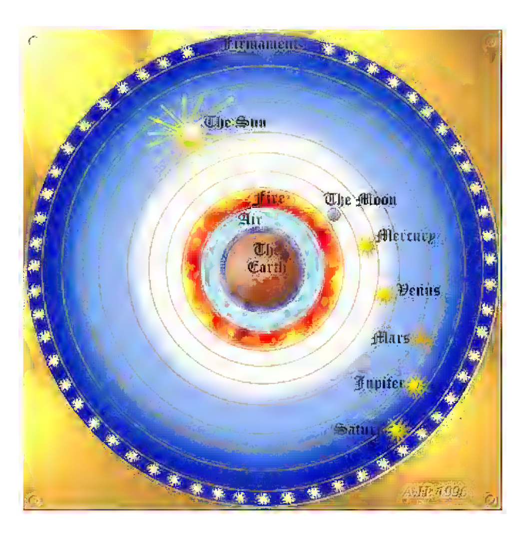
الكون كما رآه العبريون وفي مركزه الأرض التي مركزها أورشليم

http://www.horaryastrology.info

وعادة ما تكون الأماكن المقدسة (المعابد والمدن والأقاليم المقدسة) هي مناطق للقاء الأعلى والأرض والأسفل، هي تربط العوالم الثلاثة في محور واحد يمر بمركزها . وهو ما كانت تعنيه كلمة (دور - آن - كي) التي تعني معبد سبّار أو بابل وترجمتها الحرفية (صلة الأرض والسماء) التي عادة ما تكون مبنية على (باب ابسو) الذي هو مفتاح مياه العماء (نموّ) .

وكذلك كان الكون الإغريقي (الهيليني) الذي مركزه الأرض بصورة عامة وبلاد الإغريق هي مركزه .

وكان شعب المايا يعتقد أن مركز الكون هو الأرض وأن مركز الأرض هو بلادهم ومركزها المعبد الهرمي المدرج .



الكون الإغريقي وفي مركزه الأرض التي مركزها أثينا

http://disciforum.wordpress.com



كون المايا وفي مركزه الأرض التي مركزها أرض المايا

http://dcsymbols.com/mastersquare/page4.htm

وبذلك تكون الأماكن المقدسة مناطق مقامة على العماء ومفتوحة على السماء وهذا يشير إلى كونها مناطق تحويل الخليقة من البدء الهيولي إلى الخلق السماوي . وكذلك تكون الأماكن المقدسة منطقة بداية خلق العالم حيث ينتشر منها الخلق إلى ما حولها وما جاورها .

المكان السفلي الذي يرتكز فوقه الشاهد أو المكان المقدس يحتوي على الغيلان والشياطين مسجونةً أو محبوسةً في قمقمها، وقد يكون هناك التنين أو الثعبان الذي كان مصدر الشرّ في العالم ويمثل المكان المقدس (قفلاً) لحبس هذا الكائن الشرير تحته، فيما يمثل أعلى المعبد أو المكان المقدس (مفتاحاً) أو طوقاً لانفتاحه على عالم السماء أو النور وعقدة صلة معه . وهكذا يمثل رمز القبة المفتوحة (البارثنون الروماني) أو القبّة ذات المفتاح الهلالي أو الصليبي عند المسلمين والمسيحيين أماكن اتصال بالعالم الأعلى و يحتوى مركز العالم (الذي يخترق المكان المقدس) على مفتاح سماوي في أعلاه وعلى قفل سفلي في أرضيته ليكون هو مانع الشرور ومستقبل الأنوار في الوقت ذاته .

ومن هذا المنطلق أيضاً يكون البناء عملاً طقسياً لأنه ينطوي على فكرة إعادة بناء الكون من العماء (الهيولي) . وبمجرد أن يبدأ البناء يستعيد الإنسان دوراً مفقوداً قديماً هو بناء الكون الأول .

الإنسان المقدس والإنسان العادي

يتخذ النبي أو الكاهن أو رجل الدين قوةً استثنائية لأنه متصل بالقوة العليا وهو بذلك يمتلك القدرة على التحكم بالآخرين وبما حوله وهو ما جعل هذا الإنسان متفوقاً وزعيماً وقائداً .

أما الإنسان العادي فيمكنه أيضاً أن (يصاب بالقداسة) لوقت محدود عند الاتصال بالمقدّس من خلال ممارسته الطقوس التي تجعله يلامس المقدّس أو يعيد فعلاً بدائياً أو نموذجاً ميطيقياً، كالأعياد التي كانت في جوهرها استعادة لزمن أولي ومحاولةً للعودة إلى النماذج البدئية والرموز الأولى التي أسست للعالم والأشياء والخليقة . إن ممارسة هذه الطقوس تعمل على شحن الإنسان بقوة جديدة تجعله قادراً على تحمل الثقل العادي للزمن الذي يمثله (التاريخ) .

إن فعل التضحية بقربان يشابه ما في الأساطير من التضحية بإله مخطئ من أجل خلق العالم أو الإنسان . هذا ما نلمحه في أسطورة الخليقة البابلية عندما يضحّى بالإله (كنغو) قائد جيوش تيامت (الشريرة) .. ومن دم هذا الإله يخلق الإنسان .

ولذلك يكون تقديم القربان وإسالة الدم هو فعل تكرار لعمل قديم أسطوري من أجل مباركة المكان أو الإنسان وإعادة خلقه وفق نظام أسطوري قديم حصل ذات يوم . وقد كانت القرابين الأولى بشرية لكنها صارت فيما بعد حيوانية وربما نباتية في بعض الأحيان .

الطقوس المقدسة هي أفعال للتواصل مع الزمان أو المكان المقدسين اللذين كانا في بداية الخليقة أو في الزمن الإلهي المقدس . وهي بذلك تكرر ما سبق أن حصل في زمان نموذجي من قبل الآلهة أو الأبطال أو الأنبياء أو الأولياء .

الطقوس المقدسة لا تذهب فقط إلى الزمان الأول للكون أو إلى زمن الأسطورة بل قد تذهب إلى الزمن التاريخي الذي جرى فيه فعل عظيم من قبل الإله أو النبي أو الولي . وبهذا يمكننا فهم طقس القداس والتناول عند المسيحيين والحج عند المسلمين وأيام

عاشوراء عند الشيعة واستحضار حادثة كربلاء عن طريق (التشابيه) وتمثيل أدوار ما فعله جيش يزيد وما حصل لمعسكر جيش الحسين .

وعن طريق هذه الطقوس يشعر المؤمن أنه توحّد مع ذلك الزمان واكتسب طاقةً روحية كبيرة تؤهله للخوض في الزمن الفاسد (التاريخ) وفي الأماكن الفاسدة (الدنيوية) التي ستجبره عليها حياته اليومية .

يكف الإنسان المقدس عن أن يكون إنساناً عادياً أو أن يكون هو ذاته أو نفسه لأن عليه أن يقلد أو يكرر نموذجاً متكاملاً، وبلغة أخرى يجب أن يكون نموذجاً تحركه محاكاة أفعال متكررة لغيره مثل النبي أو الوليّ، فالنموذج الحقيقي هو هذا النبي أو الوليّ، وعليه أن يتمثله ويتخلص من شخصيته الحقيقية والـ (العادية) .

وبذلك يحاول الإنسان، الذي يرمي إلى أن يكون نموذجاً، إلى اتباع سُنّة وقوانين الأصول التي وضعها في الماضي ذلك النبي أو الولي . وهذا يعني انقطاعاً عن ذاته وصفاته الحقيقية وتخلياً عنها لصالح نموذج بدئي . وهو ما يُعدُّ خسارة لتنوع الذوات لحساب (النمط) وإن كان نموذجاً . ويتلبس هذا السلوك ليس رجل الدين أو المؤمن فقط، بل كل من يحاول تقليد الأبطال والعباقرة في الماضي على حساب تخلي الإنسان عن ذاته الحقيقية وهو ما يكشف عادات التكرار والتقليد التي لا تنتج شخصاً حقيقياً بل شخصاً مقلِداً ومكرراً .

أسطرة البطل التاريخي : تعمل المعتقدات الدينية على رفع النموذج أو البطل التاريخي من الملحمة إلى الأسطورة وعلى منحه نوعاً من الخلود الذي يعيده في بعض جوانبه إلى الزمن الميطيقي الأول .

إنَّ الحدث التاريخي، يجد ذاته، مهما بلغت أهميته، لا يعلق بالذاكرة الشعبية، ولا تلهب ذكراه المخيلة الشعرية، إلاّ عندما يدنو قرباً من نموذجه الميطيقي" (إلياد ‎:1987:84) .

ويقول إلياد مؤيداً تشادويك : الأسطورة هي المرحلة الأخيرة، لا الأولى، من صنع البطل .

إن الذاكرة الشعبية لا يمكن أن تحتفظ بذكرى تاريخية لأكثر من قرن أو قرنين، لكنّها يمكن أن تحتفظ بها لزمن أطول بكثير عندما تتأسطر هذه الذكرة التاريخية، وقد

تنال خلوداً في هذه الذاكرة عندما تتحول إلى نوعٍ من النماذج البدئية (الاركيتايب) حيث يفقد فيها الأشخاص كيانهم البشري ويتحولون إلى رموز تقترب من كونها إلهية وهيكلية .

يمكن للذاكرة الشعبية أن تضخّ من مخزونها الديني والروحي صفات وحكايات ورموزاً ترفع البطل التاريخي من مسرى التاريخ وتضعه في مسرى الأسطورة، وإذا ما تحقق ذلك فلا يعود للتاريخ (الحقيقي) للبطل أي معنى، لأن الذاكرة الشعبية أعادت إنتاجه وفق الأسطورة لا وفق التاريخ . والحقيقة إن هذا يحصل مع الكثيرين من الأنبياء والأولياء والأبطال الذين يلامسون روح الجماعة، فالذاكرة الشعبية تؤسطرهم وتمنع نسيانهم، وبمعنى آخر تحولهم من التاريخ (القابل للنسيان والاندثار) إلى الأسطورة (الخالدة) .

طقوس البذار والحصاد كعمل مقدس : كانت طقوس الربيع التي تجري، عادة، مع بداية السنة تعطي للنبات قداسة استثنائية حيث تكون النباتات في عزّ تكوّنها وربيعها، وكان يضفى على الكثير من النباتات صفة القداسة من خلال كونها شافية أو طبية أو مانحةً للخلود والقوة، وذلك من خلال صفاتها الحقيقية أو من خلال ربطها بأسطورة تمنحها هذه الصفات .

كان السومريون يعتقدون أنّ النبات هو ذاته إله الخضرة (آبو) أو (ديموزي) وكان يجري الاحتفال بزفافه من (إنانا) سيدة الطبيعة والخصب .

كذلك تكون عمليات البذار وكأنها طقوس دفن الحبوب في الأرض المعبرة عن موت الإله (ديموزي) أملاً في نهوضه في الربيع القادم . وقد كانت تجري عادة في الخريف أو الشتاء . حيث تسقط أوراق الشجر ويعم الغابات والمزارع الحزن والوجوم .

الرياضة : أيضاً كانت طقساً مقدساً ارتبط في الزمان البعيد بطقوس الإلهة الأم والمرأة الحاكمة التي كانت تختار رجلها من خلال المصارعة وفنون الرياضة . ولذلك أصبحت المبارزة مقدسة وارتبطت بفعل قتل التنين الذي كان مصدر الشر في العالم .

تتويج الملك كطقس مقدس : كان تتويج الملك طقساً دينياً من الطراز الأول، فهو يعني بدايةً جديدة تشبه بداية الخليقة، فهو يعني ولادة جديدة للشعب كلّه وللبلاد كلّها حيث

تختفي الشرور والأمراض ويتوقف التاريخ من أجل استذكار زمن كوني بدئي يظهر فيه من ينقل العالم من فوضاه إلى النظام وهو الملك .

الزواج كطقس ديني : يكتسب الزواج كطقس ديني معنىً مقدساً من خلال العود الأبدي لحادثة الزواج الإلهية التي تمت في الزمن البدئي . ولذلك يعمد الملك السومري أو البابلي للزواج من الكاهنة العليا (باعتباره ممثل الإله وهي ممثلة الإلهة) في أيام الأكيتو الربيعية ليتم، من خلال ذلك، مباركة كل زواج عند العامة، ولتتخصب النباتات والحيوانات من خلال هذا الزواج، وهكذا يكون (الزواج المقدس) تكراراً لـ (الزواج الإلهي) ويكون هذان نموذجاً (للزواج الديني) الذي يحصل بين أي رجل وأي امرأة ويوضّح هذا لماذا ترفض المجتمعات التقليدية (الزواج المدني) وتشدد على (الزواج الديني) لأنها تعتبر الأخير مباركاً من قبل الله أو الآلهة، ولأنه يجري وفق سنّة إلهية للجمع بين الذكر والأنثى أو السماء والأرض . . إلخ .

الفنون كطقوس مقدسة : الموسيقى والرقص والرسم والنحت، كلّها، كانت فنوناً مقدسة ولم تكن فنوناً دنيوية كما نتخيل، فالرقص هو حركات شعائرية لاستدعاء كائن فوق (إلهي، طوطمي) وللالتحام به، وكذلك الموسيقى التي هي فن إلهي لأنه يأتي من الغيب ويوصل الإنسان بالانسجام والإيقاع الكوني الواحد للعالم . وقد كان الرسم والنحت كذلك لأنها إعادة خلق للكائنات أو الأشياء بمباركة إلهية طقسية، ولذلك نرجح أنها كانت تجري وفق طقوس معينة ثم أصبح التخلي عن هذه الطقوس لصالح ما هو دنيوي .

الكتابة كانت فعلاً مقدساً وطقساً مقدساً، ولهذا السبب سمى المصريون كتابتهم بالكتابة المقدسة (هيروغليفيا) لأنها تتضمن صور ورموز الآلهة .

القمر والشمس : الأبد والتاريخ : تنطوي الطقوس القمرية على ممارسة عميقة للعود الأبدي، فدائرة القمر الرباعية (هلال، نصف بدر، بدر، هلال) توحي بدائرة العود الأبد الأبدي، بينما تعطينا حركة الشمس إيحاءً بحركةٍ مستقيمة تكون بين حدين هما الشروق والغروب .

والطريف في الأمر أنَّ القمر يمثل الإلهة الأم المسئولة عن التكاثر والإنجاب، في حين تمثل الشمس الإله الأب الذي مهمته التلقيح فقط . ولذلك ظلّ القمر في الأديان القديمة مرتبطاً بالنمط الأنثوي إذا كان القمر يفيد في قياس Mesurer الزمن (في اللغات الهندوأوروبية، أكثر الاصطلاحات الدالة على الشهر والقمر مشتقة من الجذر Me

الذي أعطى اللاتينية ايضاً Mensis, Metior, Mesurer) وإذا كانت هذه المراحل تبينقبل زمن طويل من السنة الشمسية وعلى نحو أكثر حسّية بكثير - عن وحدة الزمان (الشهر)، فهي تبين في الوقت نفسه عن (العود الأدبي) . (إلياد :1987:155)

والحقيقة أنَّ جذر Me يذكرنا بالنواميس السومرية للكون Me التي أثبتنا أن أصلها هو الإلهة الأم التي كانت مرجع هذه النواميس وأساس تكوينها .

لكن المفارقة الحقيقية تأتي من أن القمر صار هو مقياس الزمن التاريخي، وهو مصدر كلمة (تاريخ) العربية لأن إله القمر (ورخ) هو الذي كان مصدر اشتقاقها، في حين أنه يرمز إلى (الأبد) في مكان آخر .

الطقوس الطبية المقدسة : يُنظر للطقوس الطبية كطقوس مقدسة كانت تخلص الإنسان من حالة الفوضى والعماء الجسدي أو الروحي/ النفسي إلى الصحة التامة . وهي بذلك طقوس تتجلى في التخلص من التاريخ وعبْ الزمن واللجوء إلى الزمن الكلي (الأبد) عن طريق استذكار أو تلاوة أسطورة الخليقة الأولى للعودة من خلالها إلى الزمن الأول والمكان الأول، حيث يتم الامتلاء الكامل بالمقدس والذي سيطرد المدنس/ الشرور/ الأمراض ولذلك تروى الخليقة أولاً ثم يُصار إلى رواية التعاويذ أو الرقى لأنَّ ذلك هو الذي يحقق عود الامتلاء . ويجري التخلص من المرض عن طريق إرجاعه إلى الأصل الأعمى له بواسطة قراءة التعاويذ وملْء الجسد بالحقيقة الميتافيزيقية .

الجنس كطقس مقدس : تنطوي ممارسة الجنس على قاعدة أساسية هي قطع الزمن المتتابع التاريخي الكرونولوجي والعودة إلى زمن بدئي خلقي تتم خلاله استعادة التكوين الأول والبذار والخلق الأول والدوران في دائرة الزمن الكلي، والحصول على النشوة المكثفة التي هي نشوة كليّة أبدية .

الجنس هو لحظة كوزموغونية من الطراز الأول يتم خلالها إلغاء التاريخ والحاضر والعودة المبطنة إلى لحظة خلقية أولى هي في جوهرها لحظة خلق العالم كله والإنسان كله . وهي اللحظة التي يتم فيها خلق جديد وفناء وهمي لجسدين ماديين يقفان بوجه البنية الفيزيقية للعالم ويسعيان لنشوء عالم جديد وجسد جديد ولذّة حسيّة غامرة .

الطعام كطقس أبدي : يندرج تناول الطعام في وجبات مقدّسة في سياق استحضار الزمن البدئي لأن حفلات الآلهة والعشاءات الربانية كانت تحمل هذا المغزى .

إن ذبح الإله الخاطئ (كنغو) في أسطورة الخليقة البابلية واستعمال جسده في صنع الإنسان وخلقه يذكّرنا بوجبة طقسية إلهية كانت تقدمة لتكوين الإنسان . وكذلك تذكّر الوجبات الطقسية الطوطمية والمشاركة في الأكل من طعام واحد أو حيوان واحد مدعاة لتشارك المتناولين في رابطةٍ واحدة .

ومن هذه النقطة يمكننا فهم معنى (القربان) أو الاضحية حيث يكون القربان وسيلة لحياة جديدة بالنسبة للميت أو أهله الذين يشعرون بالتوحد فيما بينهم، ومع المقدس الذي يهبهم الحياة الجديدة .

إن تناول الطعام عملية طقسية مقدسة في أصلها لأن اجتماع العائلة أو الجماعة من أجل تناول طعام واحد لنبات أو حيوان يعني بالضبط أنهم يشتركون في صلة واحدة، وأن أجسادهم ارتبطت مع بعضها برباط مقدس واحد هو ذلك النبات أو الحيوان وهذا هو معنى رابطة الدم الثقافية التي يخلقها تناول الطعام المشترك . لكن تكرار عملية الطعام اليومية أفقدها قدسيتها، ولذلك يجئ (القربان) ليعيد أو ليذكّر بقدسية الطعام وقدسية تناوله من قبل الجامعة ولتجديد رابطة الدم التي تجمع بينهم بايولوجياً أو ثقافياً .

تُجلي رمزية القربان البراهماني مسألة تشييد الزمن بتكرار ولادة الكون على أوضح ما يكون . كل قربان براهماني فهو علامة على خلق جديد للعالم . وبالفعل، يعتبر تشييد المذبح (خلقاً للعالم) . فالماء الذي يُجبل به الصلصال هو (الماء البدئي)، والصلصال الذي يشكل أساس المذبح هو (الأرض)، والحيطان الجانبية تمثل المحيط الهوائي . . إلخ زد على ذلك أنَّ كل مرحلة من مراحل بناء المذبح يصحبها مقاطع من الشعر صريحة، بموجبها يجري تحديد الإقليم الكوني الذي خلق الكون، فإن للقربان، بالمعنى المخصوص للكلمة، هدفاً آخر : إعادة تكوين الوحدة البدئية، الوحدة التي كانت موجودة قبل الخلق . (إلياد :141:1987)

النوم كطقس أبدي : يتيح النوم للإنسان الذهاب إلى أعماقه وإلى زمن غير متعين يصادف خلاله النماذج البدئية ويلتحم بها، وهكذا يكون النوم فعلاً تطهيرياً لأنه يلامس الزمان والمكان المقدسين، وإن بدا بغير ذلك أحياناً .

النوم تخلصٌ من الزمن التاريخي وغوصٌ في زمن لا تاريخي، ربما كان وصفه بالمقدس تعسفياً ولكنه خارج الزمن وذات طبيعة أسطورية .

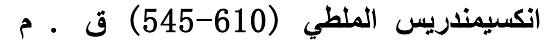
الخمر كطقس أبدي : يكون تناول الخمر ضمن نفس السياق المثولوجي الذي يجعله طقساً للنزول إلى الأعماق والعيش في الزمان/ المكان الأسطوري الذي بدأت به الخليقة، فهو تناول يدفعنا للاندماج بالنماذج البدئية والعيش في فردوسها . فهو وإن كان فعلاً دينياً قديماً لكنه يتيح فسلجياً تغريب الشعور والوعي والاقتراب من حافات اللاوعي الفردي والجمعي من أجل التماس مع النماذج والرموز البدئية التي تعطينا الشعور بالأمان والدفء بسبب من إيقاف مسرى التاريخ والأحداث المحيطة بنا، والعيش في زمن بدئي أسطوري، فهو يتماهى مع أوقات جني الكروم في الربيع وتحويلها إلى خمر يحمل طاقة إلهية ديموزية أو ديونيزيوسية كان الأسلاف يمارسونها في حفلات القصف والمجون التي تفصل بين سنة قديمة ميتة وسنة جديدة حيّة .

إذا كان تناول الخمر دنيوياً عملاً لا طقسياً لكنّ جذوره الطقسية ما زالت في قيعاننا الحسيّة على أنه عمل طقسي يوحدنا بدم الإله المقتول (ديموزي) أو (ديونسيوس) أو (المسيح) . ولذلك صار القدّاس تناولاً لدم الإله وخبزه الجسدي .

فلاسفة العود الأبدي

لم يظهر في الماضي البعيد أو القريب من وضعَ (العود الأبدي)، بمعناه البدائي الذي مارسته الشعوب المتدينة الشرقية والغربية، في إطار فكري وفلسفي باستثناء المفكر الروماني مرسيا إلياد الذي أفاض في شرحه وتحليله بعبقرية نادرة في كل كتبه وفي كتابه الخاص بالعود الأبدي بطريقة مركزة .

أما (العود الأبدي) بمعناه الفلسفي فقد بدأ التفكير به منذ فلاسفة الإغريق ما قبل سقراط وبشكل خاص عند أنكسيمندريس وهرقليطس .



انكسيمندريس الملطي (610-545) ق . م

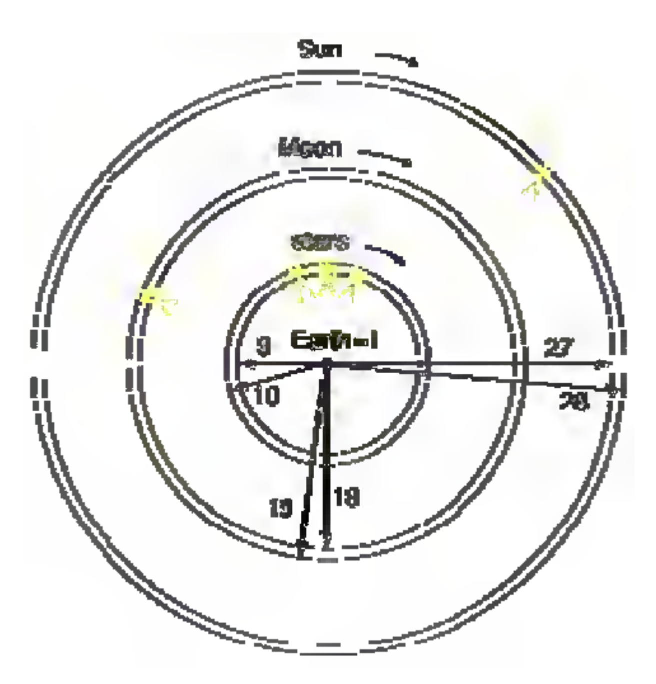


http://www.anderegg-web.ch/phil/anaximandros.htm

رأى انكسيمندر أن أصل الأشياء هو مادة لانهائية سمّاها الـ (أبيرون Apiron)وهو كتلة غير محدودة هيولية، ويرى أن هذا الأبيرون تمايز وتطور ونتجت عنه العناصر الأربعة (الماء، الهواء، النار، التراب) وقد تكونت الحياة من امتزاج

هذه العناصر الأربعة، ويرى أنّ الكائنات الحيّة ستموت وستعود إلى العناصر الأربعة التي ستعود بدورها إلى الأبيرون . ويرى بأن العالم بعد أن يختفي يظهر عالم جديد، وبذلك تتعدد الأكوان في دورة كونية لا نهائية، وكان هذا الرأي مخالفاً لما كان يراه فلاسفة عصره وفلاسفة لاحقون كبار مثل أفلاطون وأرسطو اللذين كانا يريان أنَّ هناك كوناً واحداً ولا وجود لعدّة أكوان ولا لعود ابدي .

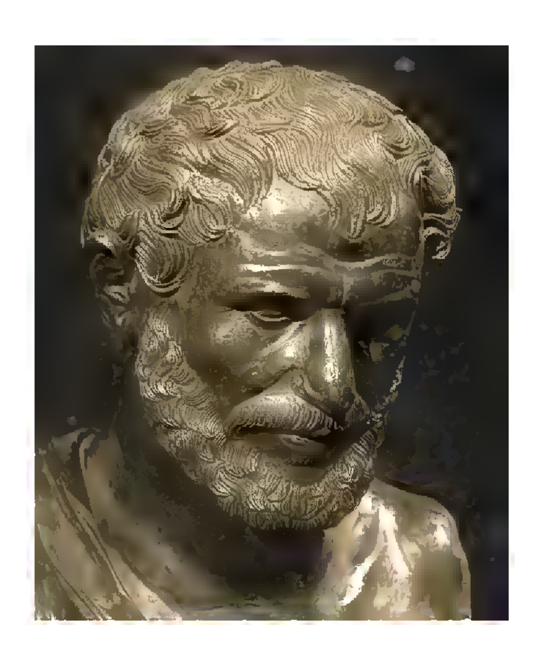
ويبدو لنا الكون في هذا الموقف وكأنه نتيجة لصراع بين الأضداد على أن تسود هذا الصراع فكرة العدالة متمثلة في التوازن الطبيعي بين الأشياء، أو بمعنى آخر عدم تجاوز النسب التي يترتب عليها وجود الكائن من حيث أن الوجود بحد ذاته خطيئة، والتكفير عنه هو فناء عوالم ومجيء أخرى إلى غير نهاية . ويظهر الاتجاه في المذهب وكأنه صورة لقصة الخطيئة من جهة، وصدى لمواقف هومر وهزيود نحو الكون من جهة أخرى . (آل ياسين :30:1971)



صورة الكون عند أنكسماندرس

http://li.wikipedia.org/wiki/Anaximandros

هرقليطس الأفسوسي (545-475) ق . م



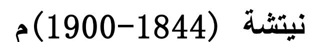
http://www.avondschool.be/school/PantaRhei.html

يرى هرقليطس أن النار هي أصل الكون التي تصدر عنها العناصر الثلاثة الأخرى (الهواء، الماء، التراب) والنار هي التي تشكل الحياة وتجعلها مستمرة وعندما تخبو النار في الكون يهفت ويفنى لتعود النار من جديد وتخلق كوناً آخر وهكذا .

وترتسم فكرة النار وتغيّرها بصورة الائتلاف بين الأضداد، فهناك قبل الائتلاف صراع دائم بين الأشياء التي يتركب منها العالم . هذا الصراع يتمثل في أنها تفنى في النار لتعود حيّة في معنى الوجود العام . وتتحرك نحو التراب فتذبل ذبولاً شاملاً، فوجودها إذن هو في بقاء التعادل بين الحركتين المتعاكستين؛ الهابطة والصاعدة على السواء، دون تغلب إحداهما على الأخرى، إن الطريق إلى فوق وإلى أسفل واحد، وإن البدء والنهاية في محيط الدائرة واحد، الخالدون فانون والفانون خالدون، أحدهما يعيش بموت الآخر ويموت بحياة الآخر . إن الحرب غاية كل شيء وإن التنازع عدل، وإن جميع الأشياء تكون وتفسد بالتنازع . إن الواحد متألف من كلّ الأشياء، وكل الأشياء صادرة عن الواحد، إن الحياة والموت شيء واحد . (آل ياسين :1970:51)

كان هيرقليطس يرى أن الكون لم يخلقه إله أو بشر وإنما هو موجود هكذا وسيظل في دورة الكون والفساد أو التكوّن والانحلال بواسطة النار إلى الأبد يحكمها قانون (لوغوس) داخلي محكم، يحتوي التناقض ويحضنه، بل إن النار هي هذا اللوغوس .

يمكننا أن نسمي هيرقليطس بفيلسوف الصيرورة، لأنه يرى أنَّ كل شيء في تبدل دائم، وهو ما يمكن أن نصف به الزمن التاريخي، أمّا الزمن الأبدي فيكمن في النار لأنها الحقيقة الأولى التي يصدر منها كلّ شيء ويعود إليها كلّ شيء . لكن هيرقليطس لم يفصح بدقة عن طبيعة العود الأبدي وآلياته .



نيتشة (1844–1900)م



كان نيتشه يؤمن بالعود الأبدي، وقد استقى الفكرة، كما يقول، من (زرادشت)، لكننا نرجح أنه اطلع على هذه الفكرة من خلال قراءته الثاقبة للفلسفة الإغريقية . وقد حاول أن يثبتها علمياً من خلال علم الطبيعة (الفيزياء)، حيث رأى أنّ مجموع قوى الكون ثابتة ومحددة، وهناك ثلاث فرضيات حول طبيعة هذا الكون فهو إما في زيادة أو في نقصان أو في ثبات .

وقد فند زيادة أو نقصان الكون بعدم وجود كون آخر يزيد عليه أو أنه كان قد فني لو أنه في نقصان بسبب قدمه . لذلك رأى أنه ثابت ومحدود، وأنه بسبب قانون العليّة أو السببية ستجر الحوادث بعضها بطريقة واحدة أو باحتمال واحد، وهكذا "فإن مجموع الظواهر والأحداث سيتكرر من جديد، بنفس النظام والطريقة والمقدار الذي وجد فيه في الدورة السابقة على هذه الدورة الثانية . وهكذا تستمر الحال وتأتي دائماً دورات جديدة لانهائية، ما دام الزمان غير متناهٍ . فالزمان اللانهائي إذاً مكون من دورات،

ولكل دورة زمانها المحدود، وكل دورة مماثلة للدورة الأخرى تمام المماثلة . فالإنسان منا إذاً تبعاً لهذه النظرية سيحيا من جديد نفس الحياة التي يحياها الآن، وسيعاني ما يعانيه، وسيكون حظه تماماً كحظه الآن" (بدوي 252:1975-253) .

العود الأبدي أحد المفاهيم النيتشوية . والحقيقة أن نيتشه لم يبذل جهداً كبيراً لشرح وتحليل فكرة أو فلسفة العود الأبدي عنده أو عند زرادشت أو عند الإغريق بل مرّ عليها مروراً عابراً في كتابه عن زرادشت وفي كتابه (هذا هو الإنسان) . (محمد أندلسي : http://mohamedandaloussi.maktoobblog.com 2002)

وخلاصة هذه الفكرة هي أن الوجود ليس صيرورة مستمرة لانهائية، وإنما تأتي فترة هي ما يسميه نيتشه باسم (السنة الكبرى) للصيرورة، عندما تنتهي دورة الصيرورة لتبدأ دورة جديدة . وهذه الدورة الجديدة تأتي عليها سنتها الكبرى فتنتهي من جديد . وهكذا زمان الوجود مقسم إلى دورات . وكل دورة من هذه الدورات تكرار تام للدورة السابقة عليها، ولا اختلاف مطلقاً بين الواحدة والأخرى . فكأن الوجود كله صورة واحدة تتكرر بلا انقطاع في الزمان اللانهائي : كل شيء يغدو، وكل شيء يعود، وإلى الأبد تدور عجلة الوجود، كل شيء يبيد، وكل شيء يحيا من جديد، وإلى الأبد تسير سنة الوجود، وهذا التكرار يتناول كل التفاصيل ويشمل كل الجزئيات : فكل الأحوال التي يمكن هذا العالم أن يصل إليها، قد وصل إليها من قبل، لا مرة واحدة، بل مرات لانهائية . فهذه اللحظة التي أنا فيها وجدت من قبل عدة مرات، وستعود من جديد، وقد وزعت فيها كل القوى كما هي في هذه اللحظة بالضبط، وهكذا الحال بالنسبة إلى اللحظة التي سبقت هذه اللحظة، وتلك التي ستتلوها" (بدوي 249:1975) .

ربما أراد نيتشه بفكرته عن العود الأبدي تحرير الإنسان من الأديان (التي استحوذت على الفكرة بطريقة لاهوتية) وتحريره من النزعة الإنسانية (الهيومانية) حيث يسعى لتحقيق التجاوز داخل كون مغلق صارم القوانين وتحريره من الأحلام والميتافيزيقيا ليجعله قادراً على العيش في عالم ذي صيرورة قدرية، وما عليه إلا قبول العالم كما هو والعيش فرحاً داخله دون أوهام .

إن مفهوم العود الأبدي هو أحد أهم المفاهيم في الفلسفة النيتشوية . وهو يندرج ضمن الإلهام الصوفي أو الوحي الديني أكثر من اندراجه ضمن الحدس الفلسفي المفهومي . والاعتقاد فيه والعمل بمقتضياته وتعاليمه يتطلب من صاحبه – حسب نيتشه – الكثير

من الجرأة والتهور . لهذا وجدنا نيتشه يستعمله كمعيار للتمييز بين النموذج الارتكاسي والنموذج الفاعل، أو بين الضعيف والقوي . فالقوي هو من يستطيع توكيد الطابع التراجيدي للوجود بدون ضغينة وبدون أوهام . وحسب كلوسوفسكي، فإن العود الأبدي يعمل على تفكيك الهويات الثابتة، ويجعل من المستحيل قيام "الذات" بالمعنى التقليدي – الميتافيزيقي لللفظ . وحسب دولوز تقتضي فكرة العود الأبدي إقامة تعالق بين ثلاثة مفاهيم هي : أفول المتعالي، وإرادة القوة، والعود الأبدي . فمع أفول المتعالي وحلول العدمية، تفقد الذات ضامن وحدة هويتها ووجودها، فتتعرّض للتفكك والتشظي . وحينما يصير الأنا مفككا، سيضطر إلى أن ينفتح على جميع الأسماء والهويات، ويضطلع بجميع الأدوار . وليس العود الأبدي غير أفول المتعالي وتفكك الهوية الذاتية أو القومية . إنها لا تعني غير العودة المتكررة للأشياء ذاتها في اختلافها إلى الأبد . وهذا ما يجعل مفهوم العود الأبدي النيتشوي يتعارض جذريا مع التصور الغربي اليهودي – المسيحي للتاريخ . لأن الأبدية التي يستلزمها العود تقتضي تفكيك بنية الزمن بما هو خط متدرج في تصاعده، وخلخلة التفاضل القائم بين آناته الثلاثة، حيث يصبح الماضي والحاضر والمستقبل – على حد تعبير فاتيمو – مجرد كيفيات مختلفة لإدراك التاريخ والأبدية . (محمد أندلسي2002: http://mohamedandaloussi.maktoobblog.com)

ستكون الصيرورة مهمة عند نيتشه لا باعتبارها التي تسيّر التاريخ بل لأنها ستكرر الوجود نفسه بين كل دورة عود أبدي وأخرى . ولذلك فالصيرورة هنا كونية وليست تاريخية . ولأننا سنتقبل فكرة العود الأبدي فهذا يعني حبنا للقدر وإذعاناً لقوانينه المطلقة، لكي نتفرغ لحياتنا بعيداً عن أوهام التغيير الكبرى . وهكذا فالإنسان لا يتحرر إلا من خلال انعدام إرادته وهو ما يسميه بـ (تخطي النقص) .

كان نيتشه يقول"أيها الإنسان! إنَّ حياتك كالساعة الرملية، ستعود من جديد وستذهب من جديد دائماً أبداً، وكل وجود من هذه الوجودات لا يفصله عن الآخر إلا الدقيقة الكبرى من الزمان، الضرورية لكي توجد من جديد كل الأحوال التي أوجدتك في دورة الكون . وحينئذ ستلقى من جديد كل ألمٍ وكل سرور، وكل صديق وكل عدو، كل أمل وكل خطأ، كل عود من الحشيش وكل شعاع من أشعة الشمس، وستجد نظام الأشياء كما هو عليه الآن، وهذه الدورة التي أنت حبة فيها ستتلألأ من جديد، وهناك في كل دورة من دورات الوجود الإنساني ساعة تقوم فيها عند الفرد الواحد أولاً، ثم عند عدد

كبير ثم عند الجميع، أكبر فكرة وأقواها : فكرة العود الأبدي لكل الأشياء " (بدوي 249: 1975-250) .

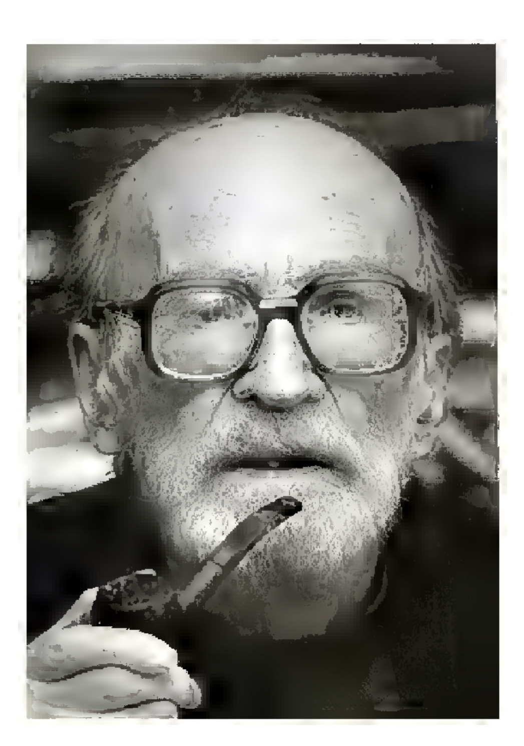
ويقول نيتشه "إنَّ عقيدتي تعلّم التالي : عش بحيث يكون عليك أن تتمنى الحياة مجدداً، هذا هو الواجبلأنك سوف تحيا مجدداً، في كل حال! ذلك الذي يكون جهده الفرح الأقصى، فليبذل جهده! من يحب الراحة قبل كل شيء، فليرتح! ومن يحب قبل كل شيء أن يخضع، ويطيع ويتبع، فليُطع! لكن فليعرف تماماً ما الذي يفضِّل، وليمتنع عن التراجع أمام أي وسيلة! فالأمر يتعلق بالخلود . هذه العقيدة ناعمة تجاه من لا يؤمنون بها، ليس فيها جحيم ولا تهديدات . من لا يمتلك الإيمان لن يشعر في ذاته إلا بحياة عابرة" (دولوز115: 1998)

العود الأبدي عند نيتشه نوعٌ من (الخلود) ولكنه خلود لا يستند إلى الأديان أو الأساطير بل إلى حقيقة فيزيائية كان يعتقد بها هو .

وقد رأى جيل دولوز أنَّ العود الأبدي هو نوع من الاستنساخ المستهلك أو الـ (سيمولاكر) وأنه"الصيرورة الحمقاء وقد ضُبطت وشُدت في مركز واحد" .

إن سر العود الأبدي، هو أنه لا يعبر قط عن نظام يعارض الكاؤوس ويُخضعه، إنه على العكس من ذلك، ليس إلاّ الكاؤوس، إنه القدرة على إثبات الكاؤوس . عوض انسجام التمثل يضع العود الأبدي شيئاً آخر، إنه يضع تيهه الخاص، ذلك لأن بين العود الأبدي والسيمولاكر رابطة عميقة بحيث إنَّ أحدهما لا يُفهم إلاّ عن طريق الآخر . . . إن دائرة العود الأبدي هي دوماً دائرة ذات مركز خارجي . لم يحد كلوسوفسكي عن الصواب في قوله عن العود الأبدي : إنه عقيدة سيمولاكر، إنه الوجود ولكن فقط حين يغدو الموجود سيمولاكر، إن العود الأبدي هو الذاتي والشبيه (دولوز :www.aljabriabed.net) .

مرسيا إلياد (1907-1986)



http://oqueacontece.wordpress.com/2009/12/20/mircea-eliade/

ربما كانت فكرة (العود الأبدي) هي العمود الفقري لكل فكر عالم الأديان مرسيا إلياد Mircea Eliade)) ، ورغم أنه وضع كتابه : (أسطورة العود الأبدي) (The Myth of the Eternal Returne) في عام 1949 وهو بعمر42 سنة لكن هذا الكتاب كان أساس أفكاره عن المقدس والدنيوي، بل وتاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية وكل فكره .

كان إلياد يرى أنَّ الإنسان البدائي هو الأكثر التصاقاً بمفهوم العود الأبدي لأنه كان يرى في العودة إلى الأصول الروحية التي خلقت العالم والكون طريقة لتكثيف كينونته وكينونة العالم ولإيقاف صيرورة التاريخ المدنس الذي يفرز دائماً عناصر زائفة . ولذلك أقام تضاده المعروف بين التاريخ أو الزمن المتواصل مع الأبد أو الزمن المقدس أو الأسطوري .

وكان يرى أن الطقوس الدينية هي التي تعيد هذا الإنسان البدائي أو المتدين إلى ذلك العالم الأصيل النقي ليلتقي هناك بالنماذج البدئية والرموز الأسطورية . وقد نظر إلى أعياد رأس السنة القديمة، بشكل خاص، على أنها طقوس لتوديع سنة تاريخية مدنسة واستقبال أو ولادة سنة جديدة يولد فيها الكون من جديد نقياً مقدساً، ورأى إلياد أيضاً أن

الأديان التوحيدية حاولت أن تجعل التاريخ تجلياً إلهياً عن طريق ظهورات مقدسة فيه أو انتظار نهاية مقدسة له عن طريق المخلص .

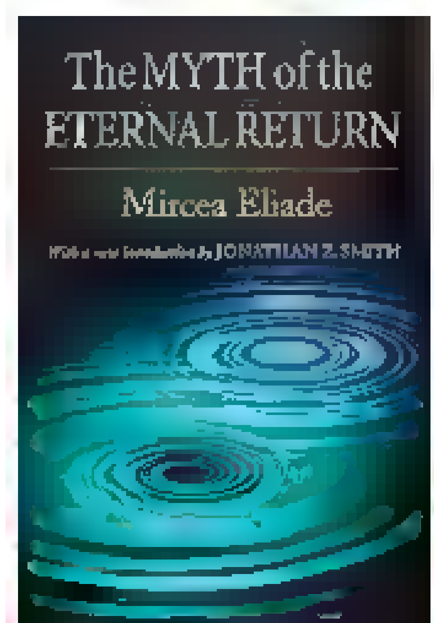
اعتبر إلياد أنَّ الإنسان البدائي، رغم تخلفه الظاهري، كان يُنظم الطبيعة التي حوله في نسقٍ فكري أصيل يمكنه من عيش حميم معها دون تصنّعٍ أو افتعال، وأنَّ العالم الذي فيه هو عالم أنطولوجي (وجودي) وليس عالماً كرونولوجياً (تاريخياً)، والطبيعة هي هذا العالم محتشدة بنماذج بدئية ورموز أسطورية تجعلها حيّة نابضة وذات معنى، في حين كان هذا البدائي يرى بأن التاريخ يُفسد هذا المعنى، ولذلك كان يقف بوجهه عن طريق طقوس العود الأبدي .

نظر إلياد باحترام وإعجاب للإنسان البدائي واعتبره شاهداً على اكتناز المقدس في الإنسان دون حاجته لأن يفلسفه أو يحلله أو ينقده، ولذلك كان يرى بأن فقدان الاهتمام والإيمان المقدس يجعلنا ضعفاء وخالين من المعنى .

وعلى هذا الأساس نظر إلى التكوين الروحي للإنسان فلم يعتبره سايكولوجياً أو اجتماعياً، بل هو تكوين أصيل يولد مع ولادة الإنسان ويكون المقدس جوهراً له، وسيكون هذا التكوين كينونة الإنسان وهويته ويحدّ من أثر الصيرورة التاريخية عليه، ينظر إلياد إلى المقدس على أنه أحد عناصر الشعور عند الإنسان وليس على أساس أنه مرحلة تاريخية كانت وهي في طريقها إلى الذبول والزوال، ولذلك فهو يضيف إلى علم النفس مثلما يضيف إلى علم الاجتماع حقيقة جديدة اسمها (الشعور الديني) الذي هو بنية أصيلة في الإنسان والمجتمع، لم تكن ممارسة الطقوس والاعتقاد بالأساطير إلا مرحلة من مراحلها، لكنها الآن يمكن أن تظهر بصور أخرى .

يؤكد إلياد أنَّ الإنسان البدائي يخاف من الحاضر والتاريخ، ولذلك يهرب إلى المقدّس عن طريق إقامة الطقوس واستحضار الأسطورة وهي تقنية وهمية حين يمارسها البدائي تصبح حقيقة يعيشها كما لو أنه تحت تأثير مخدر أو نشوة عميقة .

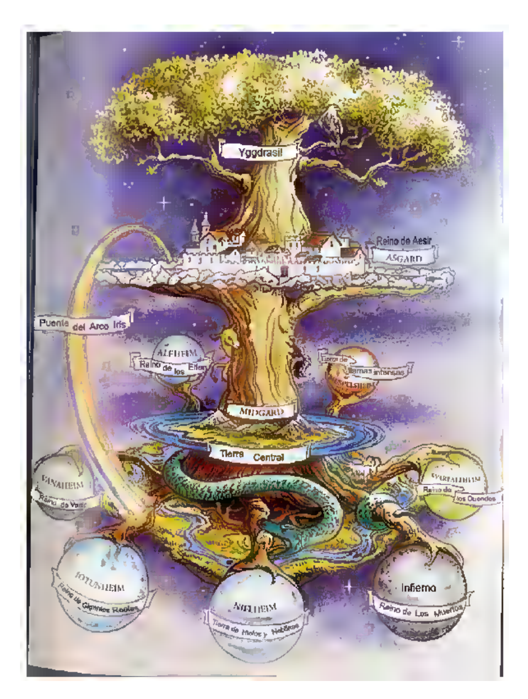






بعض مؤلفات مرسيا إلياد ومنها (أسطورة العود الأبدي)

الفصل الثاني
التطور الروحي لعقائد العود الأبدي



http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

الأديان القديمة
التكرار الأبدي والنماذج البدئية

كانت الأديان القديمة للشعوب والحضارات منذ سومر وحتى الرومان تلجأ إلى العود الأبدي كطريقة من طرق إلغاء التاريخ والعيش في الفردوس الطقسي لبدء الزمان عن طريق التكرار الأبدي واستحضار النماذج البدئية وكذلك فعل الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ أو الذي ما زال يعيش بدائياً في حاضرنا اليوم .

كان الإنسان يلجأ إلى (كينونة الأبد) ليشهرها بوجه (صيرورة التاريخ) من أجل إلغاء أو تجميد الأخيرة أو من أجل إشباع الصيرورة التاريخية بالكينونة الأبدية .

وبذلك تكون الصيرورة التاريخية أيضاً، من بين جميع أشكال الصيرورة مشبعة بـ (الكينونة) . ومن وجهة نظر التكرار الأبدي، تتحول الحوادث التاريخية إلى (مقولات) أو (فئات) فتستعيد بذلك النظام الأنطولوجي الذي كان لها في أفق الروحانية القديمة . بمعنى ما، يمكننا القول بأن النظرية الإغريقية في العود الأبدي كانت الرواية الأخيرة للأسطورة القديمة المتعلقة بتكرار البادرة النموذجية الأصلية، تماماً مثلما صارت عقيدة المُثُل أو الفِكَر الأفلاطونية آخر رواية لمفهوم النموذج البدئي وأكثرها إتقاناً . ويجدر بنا أن نشير إلى أن هاتين العقيدتين قد وجدتا خير تعبير لهما في ذروة الفكر الفلسفي الإغريقي (إلياد 216:1987) .

لكن أسطورة التكرار الأبدي والنماذج البدئية كانت قد تأسست منذ عصور ما قبل التاريخ والسومريين والمصريين والبابليين على أسس مثولوجية معروفة، وكان ميكانزم العود الأبدي يجري على شكل طقوس وأعياد رأس السنة وغيرها من الأعياد الدورية .

يتضمن استعادة الزمن الميطيقي، بالإضافة إلى التطابق مع النماذج البدئية والالتحام مع رموز الأسطورة، طرداً للأخطاء والشياطين والظلام والخطايا والأمراض ولكل ما هو سلبي : ففي هذه الاستعادة تتم عملية تطهير السنة الجديدة من الشرور المحيطة بها

القادمة من تاريخية السنة الماضية . وهو ما يجعلنا نتصور أهمية الطقوس التي يُقضى بموجبها على غولة الماضي وثعبانه .

ويُمثل الاحتفال بعيد رأس السنة البابلية (أكيتو) نموذجاً جيداً لهذا النمط من استعادة الزمن الأسطوري . وكان هذا يجري في الأول من نيسان (الذي يصادف الآن 21 آذار) ويستمر العيد لمدة اثني عشر يوماً . ولهذا العدد دلالة هامة جداً، فكل يوم من أيام الاحتفال يمثل أو يرمز لشهر جديد قادم من أشهر السنة الجديدة . ولذلك عمد المحتفلون على وضع جدولٍ طقسي لكل يوم .

ويُظهر تحليلنا لاحتفالات عيد الأكيتو أن هذه الأيام الاثني عشر مقسمة بالتساوي بين طقوس تراجيدية للأيام الستة الأولى وطقوس كوميدية للأيام الستة التالية وكما يلي :

تراجيديا الأكيتو :

اليوم الأول : التطهير

اليوم الثاني : الإنشاد

اليوم الثالث : النحت

اليوم الرابع : التلاوة والتمثيل

اليوم الخامس : تحرير الملك ومردوخ

اليوم السادس : استقبال وفود آلهة المدن

كوميديا الأكيتو :

اليوم السابع : الاحتفال

اليوم الثامن : التمثيل

اليوم التاسع : الاحتفال والطعام

اليوم العاشر : الزواج المقدس (الملك والكاهنة العليا)

اليوم الحادي عشر : تسجيل الأقدار والمصائر

اليوم الثاني عشر : وداع وفود آلهة المدن .

وهذا ما دعانا إلى التفكير بأن التراجيديا والكوميديا بمعناهما الدرامي الديني الاحتفالي كانا يجريان في هذا العيد وفق أساليب منظمة ودقيقة في الدراما الدينية السومرية والبابلية قبل ظهورهما المنظم والدنيوي في المسرح الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد .

في تراجيديا الأكيتو تدلّ الطقوس على ظهور الفوضى والغرق في العماء ومحاسبة الملك وتحوّل العبيد إلى أسياد، وظهور الملك الكاذب وإزاحة الرتب والاعتراف السلبي .

وفي كوميديا الأكيتو يولد عالم جديد وتعاد هيبة الملك والإله مردوخ وتعمّ الاحتفالات والأفراح ومآدب الطعام ويتيح الزواج المقدس ولادةً جديدة للأرض والبلاد والإنسان .

إن النصف التراجيدي الأول يقتضي العودة إلى العماء والظلام، في حين يتصف النصف الكوميدي الثاني بولادة كون جديد وتكوين زمن جديد وسنة جديدة .

وهكذا يكون عيد الأكيتو متضمناً للاركيتايب السلبية التي يغرق بها العام الماضي وللأركيتايب الإيجابية التي يولد منها العام الجديد، وهكذا يُعاد خلق الكون من جديد، في عيد الأكيتو، كترميز لتطهير الزمن من التاريخ وعودته إلى الأسطورة . وبلغةٍ أخرى لتخليص الزمن من الإنسان وإعادته إلى الله أو الآلهة كنوعٍ من تطهير فساده الذي اكتسبه من أفعال البشر .

ومن هنا، بالضبط، يمكننا فهم الطوفان (والكوارث الكونية الكبرى) على أنها غسل تطهيري للعالم من شروره التاريخية لإعادة ولادته بمباركة الآلهة والآباء الكبار المرتبطين بها . وفي حادثة كالطوفان يلتقي الآلهة بالأبطال الأسطوريين، ويمنح هؤلاء الأبطال مسحةً إلهية ربما تكون عن طريق الخلود .

إن نوحاً وزيوسيدرا وأتونابشتم هم الأبطال الملحميون الذين يلتقون في لحظة نهاية الطوفان مع الآلهة، فُمنح نوح طول العمر وزيو سيدرا وأتونابشتم الخلود في دلمون .

إن منطقة التحام السنة القديمة بالسنة الجديدة هي منطقة تعايش التناقضات، فأرواح الموتى غالباً ما تحضر جنباً إلى جنب مع الأحياء، والسماء والأرض والعالم الأسفل تكون متصلة مع بعضها، لأن نهاية العام القديم الاسكاتولوجية تعني بداية العام الجديد الكوزموغونية . وهذا الجدل يتّضح تماماً في احتفالات أعياد رأس السنة تحديداً .

إن إلغاء السنة القديمة والزمن الماضي بأكمله هو إيقاف لمسرى (التاريخ) بواسطة حضور (الأبد) الذي هو (أسطورة) لا زمان ولا مكان لها . وبمعنى آخر إن إلغاء التاريخ هو وسيلة لولادة عالم جديد يبدأ أسطورياً لكنه سرعان ما يندرج في التاريخ، من جديد، بسبب سيادة الأعمال الدنيوية وندرة الأعمال الطقسية .

كان الإنسان في عصور ما قبل التاريخ يعيش نوعاً من (الأبد) حيث تترعرع (النماذج البدئية) و (الأسطورة) ويختفي التاريخ بسجلاته الكرونولوجية . ولذلك ظهرت في تلك العصور فكرة الخلود لأن الإنسان لا يمكن أن يتصور حياةً فانيةً في ظل دورة أبدية يحركها هو والقوى الغيبية التي يعتقد أنها تحيط به .

ولذلك حين بدأت العصور التاريخية (بعد الكتابة) بدا الإنسان وكأنه يدون يومياته عن طريق الكتابة رغم أن ظلّ الآلهة لم يكن غائباً، لكن الكتابة كانت، بطريقة أو بأخرى، نوعاً من التاريخ في حين كان الرسم نوعاً من الأبدية .

هل يمكننا وفق هذا تفسير العدد الهائل من الصور الذي تحفل به الكتابة الهيروغليفية المصرية التي تنسجم كثيراً مع التراث المصري المثقل بفكرة الخلود والأبد، في حين تختفي الصور نهائياً في الكتابة الرافدينية بسبب من عقائدهم التي لا تهتم بالخلود كحقيقةٍ ثابتة مطلقة بل تسعى إليه مغامراتهم وأخيلتهم أحياناً .

ما قبل التاريخ أبد مزروع بالرموز والصور والأخيلة والنماذج البدئية والأشكال التي تعطي للإنسان إحساساً باللامتناهي . أما العصور التاريخية وظهور الحضارات فكان تدويناً للتاريخ وابتعاداً متدرجاً عن الأسطورة والأبدية باتجاه الحياة اليومية المادية الواقعية .

وينطبق هذا على المجتمعات البدائية، التي ما زالت تعيش اليوم على الأرض، فهي مجتمعات تعيش في كنف الأبدية وفي (فردوس النماذج البدائية) كما يسميها إلياد . وهي لا تمضي في الزمن إلاّ بتقدمها البايلوجي دون أن تتركه يتحول إلى تاريخ . لكن هذه المجتمعات تُدرك أن التاريخ هو (مجموعة خطايا) أما الأبد أو الأسطورة فهو فردوس لامتناهٍ، ولذلك يشعر البدائي أنه (كائن ساقط) من الفردوس إلى الأرض، من الأبد إلى التاريخ . ولذلك يجد أنَّ سبيله إلى السعادة هو قطع التاريخ بزمن أسطوري هو الطقس . . طقس العود الأبدي لكي يتحمل عبء التاريخ .

هكذا تمّ طرد آدم وحواء من الفردوس الإلهي وهو المكان الأسطوري المقدس إلى الأرض المدنسة وهما يحملان الخطيئة التي هي نوع من الدنس، وهكذا سيحنان في لحظة وجد خاصة إلى عالم الفردوس وهما يصارعان التاريخ .

إن عصور ما قبل التاريخ التي استغرقت من عمر البشرية ما يقرب من 99% هي الأبدية قياساً لـ1% التي تشكل العصور التاريخية . ولذلك يجد الإنسان نفسه أمام جذور غائرة في أعماق الزمان ستكون له ملجَأً روحياً ومسرحاً كاملاً للنماذج البدئية (الأركيتايب) التي تشحن لاشعوره الجمعي . أما الـ1% من تاريخه فلا تعدو أن تكون زمناً نجساً وملوثاً لأنه خرج عليها ولأنه لم يعد أسطورياً كما يجب، هكذا يفكر البدائي والرجل المتدين، وهكذا يبتعدان عن التاريخ الجاري ويغرقان في الأبدية الأسطورية .

إن الإنسان وهو يعيش عصور ما قبل التاريخ يمكنه أيضاً أن يتحسّس في وعيه ولا وعيه الجذور الأبعد له قبل أن يكون بشراً . . أي في جذوره الحيوانية السحيقة . . ولذلك يكون الماضي السحيق حيوانياً في رموزه وهيوليته وعدم تعينه الشكلي . .

إن عالم الحيوان هو عالم غامض يتردد بقوة على الإنسان في أعماقه الشعورية واللاشعورية لأن الإنسان، مهما فعل، فإنه يحمل الرواسب الحيوانية فيه والنازحة من شجرة الحيوان التي ظهر فيها .

وهكذا يصبح الأبد زمناً ما قبل تاريخياً حيوانياً غائصاً في الأصول السحيقة، وتكون العودة إليه مفعمة بالنشوة خصوصاً أن (فرويد) يؤكد بأن الأنا السفلى التي هي مصدر اللاشعور الفردي هي أيضاً مصدر الغرائز والقوى الحيوانية في الإنسان .

التاريخ إذن مجموعة خطايا ويجب التطهر منها بالعودة إلى الزمن النقي الأصيل الأول إلى زمن (الأبد) الذي هو أغلب الزمن البشري، وتتم هذه العودة عن طريق التهتك والسلوك القريب من سلوك الحيوان والغرائز، وعن طريق الاعتراف .

الأبد يتمتع ببنية ميتافيزيقية أما التاريخ فيتمتع ببنيةٍ فيزيقية، وهو ما يجعل الإنسان العائد إلى الأبد نشواناً بفعل إلهي، في حين يتحطم الإنسان الساكن في التاريخ حين يرتطم بقوة الإسمنت التاريخي المحكم المادية .

إن إلغاء التاريخ هو مطلب الإنسان البدائي والإنسان المتدين وربما الشاعر والفنان (ويتم ذلك بطريقة مختلفة) . فالتاريخ يلقينا في عاصفة الأخطاء والتحديات اليومية، أما

(الأبد) فيضعنا في غيوم لا نهاية لتجوالها في السماء .

إن التقاء (الأبد) بـ (الحاضر) في الممارسة الطقسية يعني إلغاء الماضي التاريخي . وهذه غاية الطقس الأساسية .

في أيام المحن والشدائد يشعر الناس أنَّ هناك حاجةً كبيرة لقطع التاريخ واللجوء إلى الأبد لكي ينتعش الزمن المحتضر بفعل التكرار الكرنولوجي التاريخي . وهذا يفسر ما تلجأ إليه الشعوب أو الأفراد، حين يواجهون محنةً كبيرةً، إلى اللجوء للعود الأبدي المتمثل بالدين أو الطقوس الدينية التي تعيدهم إلى اللحظة النقية الدائرية المشبعة بالنماذج البدئية .

الأديان الغنوصية الأدوار الكونية ونهاية العالم

ابتكرت الغنوصية، عبر كل مراحلها، طريقة أخرى غير التكرار الأبدي لمواجهة التاريخ وتحمّل أعبائه . فقد وضع السومريون أولاً ثم صاغ البابليون النظرية الفلكية الخاصة بالأدوار الكونية وأدوار العالم والتي ترى أن الكون والعالم يمران بأدوار منتظمة تبدأ من الخلق وتنتهي بالدمار ثم تعاد هذه الدورات بانتظام وإلى الأبد .

وقد كان لابتكار كهذا أن يكون عاملاً جديداً في فهم معنى الزمن والإيمان بدوريته وتكراره، وهو ما يدعونا لتحمل عبء التاريخ باعتباره حالة عرضية سرعان ما تنتهي بكارثة ثم يعاد خلق الكون من جديد وهكذا .

وقد مرت نظرية الأدوار الكونية ونهاية العالم بمراحل وشعوب استطاعت وضع صياغات دقيقة لها وكما يلي :

1 . الأدوار البابلية
2 . الأدوار الإيرانية
3 . الأدوار الهندوسية
4 . الأدوار البوذية
5 . الأدوار الإغريقية
6 . الأدوار الهيلنسية .

وسنحاول أن ندرس، بعناية خاصة، الأدوار البابلية باعتبارها بداية هذه النظرية ثم نوضّح التطورات الخاصة التي ابتكرتها الشعوب الأخرى .

إن الأدوار الكونية هي جمع بين أساطير التكوين وأساطير الموت أو نهاية العالم أو الاسكاتولوجيا Eschatology التي يمكن تعريفها بأنها العلم الذي يتعلق بالموت ونهاية

الأشياء . وقد اتسع استخدام هذا المصطلح ليشمل كل مراحل الموت وما قبله وبعده، وأصبح يدل على موت ونهاية الكون والآلهة والإنسان والأشياء بصورة عامة .

ارتبطت التصورات الاسكاتولوجية منذ القدم بالتصورات المثولوجية وتبادلت معها الأنظمة والقيم . . وظلّت هكذا، فقد حملت الأساطير أفكاراً أساسية عن موت العالم ونهايته وموت الإنسان وفنائه .

لكن النقلة الكبيرة للإسكاتولوجيا الكونية كانت بسبب علم الفلك البابلي الذي أعطانا تصورات جديدة مبنية على أسس فلكية وحسابات رياضية، ونتج عن ذلك ظهور مفهوم (الدورات الكونية الكبرى) و (العود الأبدي) و (أدوار العالم) .

فالدورات الكونية، والزمنية بشكل عام، كانت تحدد بدايةً للعالم ونهايةً له على أساس فلكي . وقد أسس البابليون في وقت مبكر هذا المفهوم وانتقل عنهم إلى الشرق عند الهنود والصينيين والفرس أولاً، وأثّر تأثيراً كبيراً في دياناتهم . كما انتقل إلى الغرب القديم عند الإغريق والرومان وأصبح جزءاً من علومهم الفلكية والفلسفية والدينية .

الزمن الدوري (الدورات الكونية)

عرف السومريون ثم البابليون فكرة الزمن الدوري في أبسط أشكاله من تتابع الليل والنهار وربما قبل ذلك من تتابع الساعات والنبضات (الثواني) وتكرارها . ولكنهم عرفوا السنة الكونية الكبرى التي أسموها الـ (سار Sar) . وقد اقتبسها الإغريق بما أسموه بدورة الساروس Saros عن البابليين، وقد كانت السار أو الشار تعني الدائرة، وتشكلها عددياً أربع علامات مسمارية متصلة تحاول أن ترسم دائرة، وهذه العلامة تشير إلى العدد (3600)، وتشير هذه اللفظة أيضاً إلى معنى الملك أو الشهر وتشير إلى الدورة السماوية والأرضية .

وقد أطلق الكلدانيون اسم دورة الساروس على دورة القمر حين عرفوا أن دورة القمر حول الأرض تستغرق حوالي (345 يوماً) وأن كل223 شهر قمري تعادل 18 سنة شمسية و11 يوم حيث يحصل الخسوف والكسوف .

وقد لاحظ علماء اليوم أن دورة الساروس الواحدة تحتوي على 43 كسوفاً للشمس و28 خسوفاً للقمر .

وهذا يعني أن دورة الساروس البابلية القديمة جداً أصبح لها معنى مختلف، فقد ارتبطت حصرا بالقمر . ولكن المصطلح الفلكي القديم لها، بابلياً، هو الدورة الكونية التي يكون طولها 3600 سنة، أي إن الكون يبدأ خلقه بزمن ثم ينتهي هذا الكون بعد 3600 سنة، إمّا بالطوفان أو بالحريق . ولذلك نرى أنَّ زمن ما قبل الطوفان يقترب من عشرة أضعاف هذا الزمن .

وهكذا قدر الإغريق زمن دورة الساروس بـ (36000) بعد أن وجدوا أنَّ حركة الكوكب في فلكه دائرية تنتهي في النقطة التي بدأت منها وهي ذات الفكرة التي ظهرت فيما بعد عند هيراقليطس وأفلاطون من فلاسفة اليونان (انظر الجابري :1985:55) .

وهذه الدورة هي بداية ونهاية الحياة ثم عودة بدئها من جديد . وإذا عدنا إلى رقمها البابلي فسنجده يرسم بـ (علامتين مسماريتين) أي ذات الدائرة التي تشير للرقم 3600 وفي وسطها علامة الرقم 10 بالبابلية وهذا يعني 3600 10= 36000 وهو عدد سنين دورة الساروس اليونانية .

وعلامة السار البابلية الكبرى (36000) تحمل دلالة رمزية عميقة لأن وجود رقم 10 الذي يشير إلى الإله ننورتا إله العاصفة والأمطار زحل، يعني فيما يعنيه، أنَّ هذه الدائرة بلغت ذروتها عندما توسطها، زحل وهذا يعني نهاية الزمان الدوري الكوني بالطوفان . وهذا يتفق مع أفكار نهاية الكون عند البابليين بالفيضان العام أو الحريق العام لتبدأ بعدها دورة جديدة، لأنه حين يحدث اتصال الكواكب في برج السرطان تنخفض كل الأشياء وتعود إلى أصلها وتتحول إلى ماء . وحين يحدث اتصال الكواكب في برج الجدي فإن كل الأشياء تتصاعد وتلتهب وتتحد مع النار وتفنى فيها .

وعلى هذا الأساس نرى أن الخليقة الأولى انتهت بالطوفان كما تذكر ذلك الأساطير السومرية والبابلية بالإضافة إلى جدول إثبات الملوك السومريين وبنفس الطريقة عرف البابليون دورة (شار)، ودورة النيراس (كيش أ) والسنة الكونية الأصغر (الساسوس) التي سمّاها البابليون (كيش) والتي يبلغ عدد سنواتها ستين . وفيما يلي الدورات الكونية الكبرى التي عرفها البابليون ثم الإغريق وكذلك الدورات الزمنية .

الدورات الكونية الكبرى :

1 . دورة الساروس الكبرى 106060= 36000 سنة (في البابلية شار أو)

2 . دورة الساروس الصغرى 6060 = 3600 سنة (في البابلية شار)

3 . دورة النيراس 1060= 600 سنة (في البابلية كيش أو)

4 . دورة الساسوس 60 سنة

الدورات الزمنية الصغرى :

5 . الدورة السنوية = سنة واحدة 360 درجة (يوم) وتسمى ديش

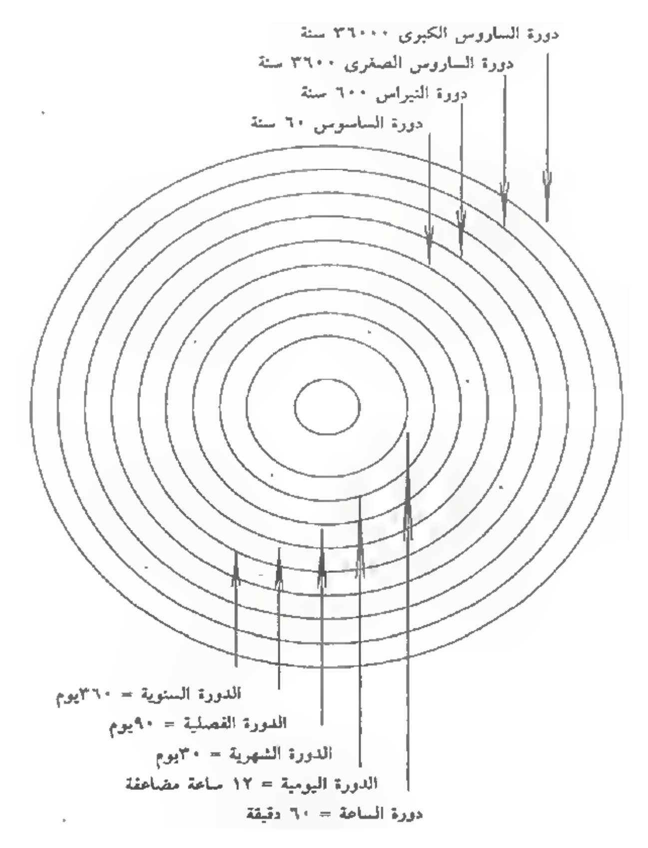
6 . الدورة الفصلية = 3604= 90 درجة (يوم)

7 . الدورة الشهرية = 360 12 = 30 درجة (يوم)

8 . الدورة اليومية = 360 أوش (الأوش = 4 دقائق) أي 12 ساعة مضاعفة

9 . دورة الساعة = 3600 ثانية (والثانية هي النبضة)

وهكذا يكون البابليون قد عرفوا الدورات الكونية الكبرى والدورات الزمنية الصغرى وفق سياق رياضي فلكي منتظم أسس عليه الإغريق نظرياتهم المعروفة في هذا المجال .



الدورات الكونية والزمنية عند البابليين

تعتبر الثانية أبسط دورة وتعبر عنها نبضة القلب، وأول دورة زمنية تتكون من 60 ثانية وهي الدقيقة، ثم تأتي الساعة .

أما اليوم فكان ينظر له على أنه مكون 12 ساعة مضاعفة أو من 360 أوش (حيث الأوش يساوي 4 دقائق) وقد يشير هذا إلى أن البابليين قد أكدوا ضمنياً ما عرفناه نحن فيما بعد بخطوط الطول التي تحتاج الأرض في حركتها حول نفسها أن تقطع المسافة بين خط وآخر بأربع دقائق، أي أنها تقطع في النهار والليل 360 خطاً وهكذا تنتظم بقية الدورات الزمنية . وتنتهي كل دورة زمنية بنوع من الكارثة وتبدأ بنوع من الحياة، فالدورة اليومية تبدأ بشروق الشمس وينتهي نصفها الأول بغروبها، ثم يبدأ نصفها الثاني بظهور القمر (سين) وتنتهي باحتجازه في العالم الأسفل ليومين أو ثلاثة .

والدورة الفصلية كانت تبدأ مع الربيع حيث يبعث تموز من الموت وتنتهي بمقتل تموز ودفنه في الخريف .

والدورة السنوية كانت تبدأ في الربيع وتنتهي عند مشافه وكان عيد الأكيتو البابلي يعبر عن هذه الدورة خير تعبير، حيث يمثل نهاية العام الماضي بخلع الملك وبدايته بإعادة تتويجه زواجه الإلهي المقدس .

وقد انتقلت هذه الدورات بلغتها وعمقها الميثولوجي والاسكاتولوجي إلى جميع شعوب الأرض وتمثلتها بطريقة مشابهة أو أجرت فيها بعض التحويرات .

فقد كان الهنود في الحقبة الفيدية والبراهمية يعتبرون أنَّ وحدة قياس الدورة الكاملة وعمرها 12000 سنة تتألف من أربعة عصور متناقصة حيث العالم يتدهور خلالها . ومن العصر الذهبي (الربيعي) وحتى العصر الأخير تنحل البيضة الكونية الكبرى فلا يبقى منها سوى المحيط الأولى الذي ينام فوقه فيشنو الإله الأكبر ثم يبدأ دورة جديدة وهكذا . .

إن السار ودورة السار يشكلان جوهراً أساسياً في الفكر البابلي ويعبران عن تكامله وقوته المتماسكة، فهما يعتمدان على الرياضيات الستينية التي كانت منطلق الفلاسفة اليونان في الفلسفة الأدوار الكونية والمدارات الفيضية لاحقاً . ونرى ذلك في أوضح صورة عند أفلاطون وفيثاغورس ثم إفلاطين . فضلاً عن تأثيرها في فلسفة الفلك اليوناني فقد وجدنا السنة الكبرى لدى اليونانيين موزعة بين 18 سنة و1000 سنة و 10800 سنة و18000 تفتقر هي الأخرى إلى المقياس الذي تؤشر فيه خاتمة المطاف للدور الفلكي باستثناء المدة المقررة بـ 10800 سنة فإنها مرتبطة بظاهرة السعد والتفاؤل لأنها حصيلة علاقة بعالم الفلك معبراً عنها بالمعادلة (حاصل ضرب 30360 =10800) التي تعني حاصل ضرب متوسط عمر جيل الإنسان والجيل الثاني وهو عدد درجات اليوم في الحساب البابلي . ونلاحظ هنا أنَّ الفلك اليوناني وفكرة (السنة الكبرى) لم يفلتا من تأثيرات الفلك البابلي القائم على الحساب الستيني، (الجابري57:1985-58) .

وسنرى أنَّ البابليين قد حددوا بداية الساروس بالعصر الذهبي الذي تغنوا به حيث تتطابق الأشياء مع كمالها كما تتطابق الدرجات الـ360 مع بعضها فيكون محيط الدائرة هو مركزها تماماً، ثم تبدأ الدائرة بالاتساع والتكون حتى تنتهي الدورة الكونية بالانفجار بعد أن تكتمل، حيث تتضاعف إلى 36000 مرة، وفيها يكون (الفيضان العام) و (الحريق العام) وهو يوم الفناء والمعاد وهكذا . . وقد تسربت هذه الأفكار الكونية

الفلسفية إلى الفلسفة اليونانية ثم إلى الأديان السماوية، وكان لها نتائج في غاية الأهمية . وبهذا يتكون الزمن من حدَّين مطلقين غير ماديَّين هما (الماضي والمستقبل) ومن حدّ نسبي مادي (حاضر) .

وتذكر الصورة السابقة بما قدمته نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) حول نشأة الكون وامتداده وتقلصه التي وضعها أدورد لومتير عام 1927 .

لم تكن فكرة العود الأبدي اليونانية، التي استغرق في شرحها وتفصيلها المفكرون والعلماء الإغريق، فكرة إغريقية خالصة بل كانت تمتد بجذورها العميقة إلى التراث السومري والبابلي . ولعلّ فكرة الزمن الدوري التي شرحناها تمثل وجهاً أساسياً من وجوهها الفلكية، لكن هذه الفكرة تستند إلى المثولوجيا الرافدينية بشكل أساس، وتجد تطبيقاتها في الطقوس والشعائر الدورية وفي الأعياد بشكل خاص .

يعتبر عصر الخليقة الأول الذي بدأ به الكون والآلهة هو العصر المثالي الذي احتوى على بذرة العالم الأولى، وفي هذا العصر تقرر كل شيء، وخلق كل شيء، ورسمت أحداث المستقبل القادمة كلها . . ولذلك فإن هذا العصر هو العصر الحق الذي سيعود له العالم ذات يوم، أو يجب استعادته بين وقت وآخر للتذكير به .

وقد رأينا على المستوى الفلكي والتنجيمي كيف كان البابليون يرون أن ما يحدث في الأرض هو صدى لما يحدث في السماء . وأن شكل مدن ومعابد وعمران الأرض مرسوم في السماء سلفاً إذ إن هناك (فرات سماوي) و (دجلة سماوية) ونفرّ سماوية وبابل سماوية مرسومة لمقاسات النجوم أو على لوح النجوم .

أما كيف سيعود العالم إلى ذلك العالم المثالي الذي هو عالم التكوين أو الخليقة الأولى، فقد كان السومريون والبابليون يرون أنَّ العالم يمر بأدوار تبدأ بعد عصر الخليقة قوية نشطة، ثم تبدأ بالذبول والتلف ثم النهاية التي تتم، عادة، عن طريق الطوفان أو الحريق أو العواصف أو الزلازل على المستوى الكوني . . فينتهي ذلك العالم الذي دبّ فيه الخراب والفساد . ويتطهر (بالماء أو النار أو الهواء أو التراب) وهي نفسها عناصر الخلق الأولى، ويعود إلى هذه العناصر من جديد وتبدأ خليقة جديدة وعالم جديد وآلهة (ربما جديدة) .. وهكذا .

وكان مرسيا إلياد يرى : أن الطوفان يمثل عوداً أبدياً إلى المرحلة الكونية الأولى أو إلى مرحلة العماد المائي ثانية، ثم يبدأ من هذه المرحلة من جديد التكوين ثانية، ولذلك تكون أسطورة الطوفان السومرية المنشأ والعالمية الانتشار أسطورة تجسد فكرة العود الأبدي وتحتشد بالمعاني الرمزية العميقة . (إلياد 87: 1986)

أما كيف يستعيد الإنسان أثناء حياته ذلك العالم المثالي ويتذكر البداية المثالية الإلهية الكونية البدئية، فقد كانت عن طريق القانون الثاني لفكرة العود الأبدي، وهي الطقوس والشعائر الدورية . ولعل أهم الطقوس طقس عيد رأس السنة البابلية (الأكيتو) الذي كان بمثابة عيد العود الأبدي بمعنى الكلمة .

إذا كان عيد الأكيتو النيوليثي في سامراء غايته استنزال المطر عن طريق حركة شعور النساء الراقصات ورمزية الكون الدائري والصليب المعقوف (السواستيكا) وحركته الدائمة . فإنَّ عيد الأكيتو السومري أصبح يؤدى في أوقات دورية بمعدل مرتين في العام الأول في فترة الاعتدال الخريفي عند بذر البذور، والثاني في فترة الاعتدال الربيعي وهي فترة الحصاد وولادة الحيوانات وطقوس الزواج المقدس .

وكان هذا يعني ضمناً أن الأكيتو الربيعي هو عيد استعادة الولادة الكونية الأولى والإخصاب . أما الأكيتو الخريفي فهو عيد تذكر موت الكون ودفن عناصره الأولية (البذور) لكي تعود في الربيع وهكذا، من هذين العيدين السومريين ظهر عيد الأكيتو البابلي الذي وسّع مفهوم العود الأبدي كثيراً .

في الأكيتو البابلي، الذي يستمر لمدة (12) يوماً، كانت أسطورة الخليقة (إينوما أليش) تتلى، وكان يزاح تاج الملك وتسود العالم الفوضى . وهو ما يشير على عودة العالم إلى بدايته قبل أن تنظمه القوانين (أي إلى الهيولى قبل التكوين) ثم يستعيد الملك تاجه وعصا ملكه، وتعود للعالم القوانين والتوازنات ويبدأ عصر جديد تكون فاتحته عملية الإخصاب الإلهي التي كان يعبر عنها بزواج الملك (ممثل الإله مردوخ) من الكاهنة العليا (ممثلة الإلهة صربانيت زوجة مردوخ) .

ومن الإخصاب (الإلهي/الملكي/ الأرضي) تتم استعادة الخلق الجديد للعالم . هذا الطقس هو طقس عود أبدي بامتياز لأنه كان يمثل موت العالم القديم وظهور العالم الجديد في الوقت نفسه .

الأديان التوحيدية تأبيد التاريخ

اخترعت الأديان التوحيدية سبلاً جديدة لتحمل التاريخ في محاولة منها لوضع صيغة جديدة من التعامل مع (الأبد) و (التاريخ) ولكنها بطبيعة الحال لم تستطع نهائياً إيقاف الطرق السابقة لتجميد أو تحمل التاريخ في العود الأبدي التكراري أو العود الأبدي الدوري اللذين ابتكرتهما الأديان والمعتقدات القديمة والعرفانية (الغنوصية)، ولعل أهم سبل تحمل التاريخ هي :

1 . **تحمل الألم** : اعتبار الألم جزءاً من التاريخ لا بد من حمل جزء منه نيابة عن البشرية لكي يبقى الأبد حاضراً أو قابلاً في التاريخ، فالأبد هو السعادة والتاريخ هو الألم، ولا بد من تحمل الألم لنيل السعادة الأبدية .

2 . **الإيمان** : وهو التسليم للخالق بقدرته على فعل كل شيء، الخير والشر، وينطوي هذا الإيمان أيضاً على الشعور بمقدرة الفرد على إنجاز الأعمال العظيمة عند الإيمان بالقدرة على فعلها . وهكذا يكون الإيمان وسيلة لتجاوز شرط التاريخ واليقين بأنه يحمل مغزى ما بعد تاريخي . وهكذا يكسر الإيمان التاريخ بل يحوله إلى ضرورة ما ورائية .

3 . **القدرية** : وهو الاعتقاد بأن دورة الكون حتمية وقدرية ولا بدّ من حصول ما يحصل من أحداث التاريخ لكي ينجز الأبد مهمته في ابتلاع التاريخ واحتواء الناس في سعادة أبدية لا متناهية .

4 . **تأبيد التاريخ** : وهو تلويث أو تلطيخ التاريخ بأبديات ترفع من قيمته بحيث يصبح التاريخ شاحنة أبدية تعانق المسرى الذي ينتظر العالم من دورة كاملة حتمية الحصول .

الأبد هو السعادة والتاريخ هو الألم :

أصبح الأبد والعود الأبدي هو منطقة السعادة الحقيقية، واستطاع البدائي (والمتدين) أن يكافح ضد بؤس وشقاء التاريخ الذي يَنْتج عنه ألمٌ فادحٌ يكاد يودي بالإنسان .

كان لا بد من تحويل الألم إلى سعادة وذلك بالعودة إلى الأبد والعيش في فردوسه، لكن الألم يحتاج تبريراً أكثر من تحمل عبء التاريخ الروتيني، فالألم قسوة وأذى وليس روتينياً، ولذلك كان لا بد للعود الأبدي البحث عن نماذج بدئية تبرر الألم . ولم يكن غير تبديل الفصول ودورات القمر وسيلة لذلك، وهنا لجأ الإنسان البدائي إلى الطبيعة مرموزة بقصة إلهية (أسطورية) تبين أنَّ الألم يصيب الآلهة دون سبب أيضاً، ولكن الألم سينتهي وتعود السعادة ثم يأتي الألم وهكذا .

كانت أسطورة ديموزي السومرية نموذجاً كونياً شكل أساس (أسطورة الألم) لكل الشعوب . بل إنّها حين تحولت إلى نموذج بدئي أصيل استطاعت أن تبرر آلام المسيح والحسين والحلاج وغاندي . . إلخ .

لا بدّ إذن من العثور في (الأبد الإلهي) على أصل للألم والاعتبار به وممارسة طقوسه لتجاوز الألم الشخصي .

كان هذا هو السبيل الذي انتهجته الأديان القديمة للتخفيف من شقاء التاريخ وألم الزمان . لكن الأديان التوحيدية لم يكن بإمكانها تصور الإله المطلق متألماً أو مقتولاً (بشكل مؤقت) أو مجروحاً، فقد أسبغت عليه صفات مجردة غير حسية عادةً، ولذلك لجأت إلى أسلوب آخر يبتكر وسيلةً أخرى لتحمل الألم وهو اعتبار ألم التاريخ نوعاً من التجلي أو الوحي أو الحضور الإلهي في التاريخ . أي أن يتم استحضار الأبد والمطلق، هذه المرة، إلى التاريخ . وهنا لا يتم استعادة الأبد بل استعادته ليحل في التاريخ فيخفف عن الألم بل ويفسر ما يجري أيضاً .

استحضر المندائيون ملاكهم الأكبر (مندا إد هييّ) ليكون شاهداً على الخلق الأول لآدم، وليعمّد المسيح وليرفع روح (نشمثا) يحيى (يهيا يهانا)، وليضرب أعداء المندائيين من اليهود خاصة عندما اضطهدوهم . إن (مندا إد هييّ) القادم من عالم النور (الأبد، المطلق) يحضر في فقرات من التاريخ ليفعل شيئاً ما ويساعد على تفسير أو تحمل أو إنقاذ التاريخ . وهذا ما يمكن أن نسميه بـ (الاستدعاء الأبدي) وهو عكس (العود الأبدي) إنه إحداث (Occurance) الأبد وليس العود (Recurrence) إلى الأبد .

وكذلك فسّر العبريون محنهم بغضب يهوا عليهم وتجلى يهوا على لسان الأنبياء الذين كانوا يعتبرون عذاب وشقاء بني إسرائيل نوعاً من العقاب الإلهي . بل إن الإله كان يتجلى لهم في تسليم الشريعة لموسى عند العليقة وعبور البحر وانتصارهم على أعدائهم، بل إن العقيدة المسيّانية أو المسيحانية عندهم (والتي تقضي بظهور المسيح المخلص في آخر الزمان) هي نوع من التجلي أو الوحي الإلهي الموعود .

المسيحية بدورها صادرت التاريخ كله واعتبرته امتداداً بين بداية الكون ونهايته، لأن المسيح قد ظهر وتجلى في نقطةٍ فيه وسيظهر في آخر الزمان . وبذلك يكون الله/ المسيح قد ابتدأ الزمان وظهر في منتصفه وسيختم الزمان . وإذا كان هذا الإله سعيداً بين الأبد الأول والأخير فإنه كان سعيداً في وسطه أيضاً لأنه تحمل الألم وحوّل التاريخ إلى جزءٍ من الأبد، لقد أصبح هنا للشقاء معنىً كوني وأزلي بل وضروري وحتمي .

في الإسلام يصبح التجلي الإلهي عن طريق الوحي والكلمة (اقرأ) ليكون عقداً بين الله والنبي . ثم يظهر في أحداث التاريخ الأخرى ويصبح الحسين المدافع عن العقيدة سيد شباب أهل الجنة . فهو يعود للجنة رغم تضمخه بالدم والألم . ولذلك يصبح استذكار عزاء الحسين عند الشيعة نوعاً من العود الأبدي، لكن علم الحسين بموته وإصراره على الموت وحادثة الموت نوعٌ من (الاستدعاء الأبدي) لتصحيح مجرى الأخطاء . ومثل هذا يتم تفسير ظهور (المهدي المنتظر) عند المسلمين الشيعة والسنة . باعتباره انتظاراً لنهاية التاريخ المدنس .

الأديان التوحيدية، إذن، ابتكرت طريقة معاكسة للعود الأبدي هي (الاستدعاء الأبدي) إضافة إلى العود الأبدي الذي تشترك به مع الأديان القديمة .

وهكذا ابتكر الإنسان، مع الأديان التوحيدية، طريقة جديدة لتحمل التاريخ عن طريق اعتباره وحياً أو حاملاً لوظيفة أخروية خلاصية (المسيح والمهدي المنتظر) . وإذا كان الإنسان القديم، في الأديان القديمة، قادراً على إلغاء التاريخ عن طريق التجديد الدوري والأعياد والتكرار والنماذج البدئية فإنَّ الإنسان الموحِّد أصبح قادراً على تحمل (وليس إلغاء) التاريخ لأنه مسرىً يحملُ تجلياً إلهياً كما أنه وعدٌ بنهاية إلهية . وبذلك يكون الموقف المضاد للتاريخ موجوداً أيضاً وحاضراً بقوة .

الفصل الثالث
عقائد العود الأبدي



http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

الهرمسية والعود الأبدي

يعرِّف مرسيا إلياد الهرمسية بأنها مجموعة المعتقدات والأفكار والتطبيقات المنتقلة في الأدب الهرمسي، والمقصود بذلك مجموعة من النصوص ذات القيمة غير المتساوية المحررة بين القرن الثالث قبل وبعد المسيح . ويميز عادة بين صنفين منها : الكتابات العائدة للهرمسية الشعبية (تنجيم، سحر، علوم خفية، كيمياء . . إلخ) والأدب الهرمسي العلمي، وبالدرجة الأولى، منه السبع عشرة أطروحة باللغة اليونانية للمدونة الهرمسية . ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنّه يوجد بين المجموعتين نصوص فيها وحدة قصد . (مرسيا إلياد 2006ج209:2) .

كانت النصوص الشعبية تاريخياً هي الأقدم، ويرجع بعضها إلى القرن الثالث ق . م، أما الأدب الهرمسي والفلسفة الهرمسية فقد تفتحتا بصورة خاصة في القرن الثاني بعد المسيح في الأجواء الهيلنستية . ويقول مرسيا إلياد أن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره يبدو مصرياً خاصة بالنسبة للنصوص القديمة، وقد عزز ذلك اكتشافات الكتابات المصرية في الفيوم عام 1930 في منطقة نجع حمادي .

وقبل التعرف على هذه النصوص لا بد لنا من التعرف أو البحث في الشخصية التي تنسب له هذه النصوص وهو هرمس، فمن هو هرمس؟

هرمس (الإله، النبي، الحكيم)

يعتبر هرمس واحداً من أكثر الشخصيات غموضاً في التاريخ وقد تنازعت نسبه أمم كثيرة في روايات ومراجع مختلفة وسنقوم بتلخيص شديد الإيجاز لأصوله المتعددة هذه عند الأمم القديمة :

1 . **الأصل البابلي :** حيث يروى أنه كان بابلياً، ويقرن ببناء بابل بعد الطوفان، ويتعزز أصله هذا بارتباطه بعلوم الفلك والتنجيم البابلية وببناء الهياكل أو

المعابد الخاصة بالكواكب والنجوم في بابل .

2 . **الأصل المصري :** ويروى أنه كان مصرياً بعد الطوفان، وأنه بنى الأهرام ويرتبط بشخصية (امحتب) الحكيم والمهندس المصري الذي هندس بناء الهرم المدرج، وكان وزير الملك المصري (الفرعون) زوسر من الأسرة الثالثة في مصر .

3 . **الأصل الحرّاني :** حيث يروي الحرانيون أن هرمس هو (بوذاسف) الذي بنى هياكل الكواكب في بلادهم .

4 . **الأصل المندائي :** حيث يرد ذكره في كتابهم المقدس (كنزا ربّا) باسم دنانوخت صاحب الكتب والمعارف الكثيرة الذي صعد إلى السماء ثم عاد إلى الأرض .

5 . **الأصل العبري :** حيث تذكره التوراة على أنه (أخنوخ) الذي صعد إلى السماء، وله سفر باسمه في مخطوطات البحر الميت .

6 . **الأصل العربي :** الذي نادت به المراجع اليمانية حيث رأت في هرمس أخنوخ أو إدريس وهو قحطاني وأبٌ لـ (صابي) الذي تختلط شخصيته بشخصية إدريس .

7 . **الأصل الفارسي :** اسمه عند الفرس (أبجهد) وكان جده (جيومرث) أي آدم في التراث الفارسي القديم .

8 . **الأصل الإغريقي :** الإله هرمس (رسول الآلهة) وإله اللصوص والمسافرين والتجار وهو ابن الإله زوس من الإلهة مايا وكذلك اختلطت شخصيته بالإله (اسكلابيوس) إله الطب عند الإغريق . ويرتبط بكوكب عطارد (ميركوري) عند الرومان .

9 . **الأصل الهندي :** بوذا (غوتاما سدهارتا)

والحقيقة أن هناك جدلاً واسعاً حول أصل هرمس وشخصيته المتراوحة بين الألوهية والنبوة والحكمة والملوكية، ويعتقد أن تسمية هرمس مثلث العظمة أو المعظّم ثلاثاً أو

مثلث النعم أو مثلث الرحمة هي ألقاب يجمعها مصطلح (Hermes Trimagestus) وقد أطلقت عليه لأنه جمع بين (النبوة والحكمة والملوكية) .

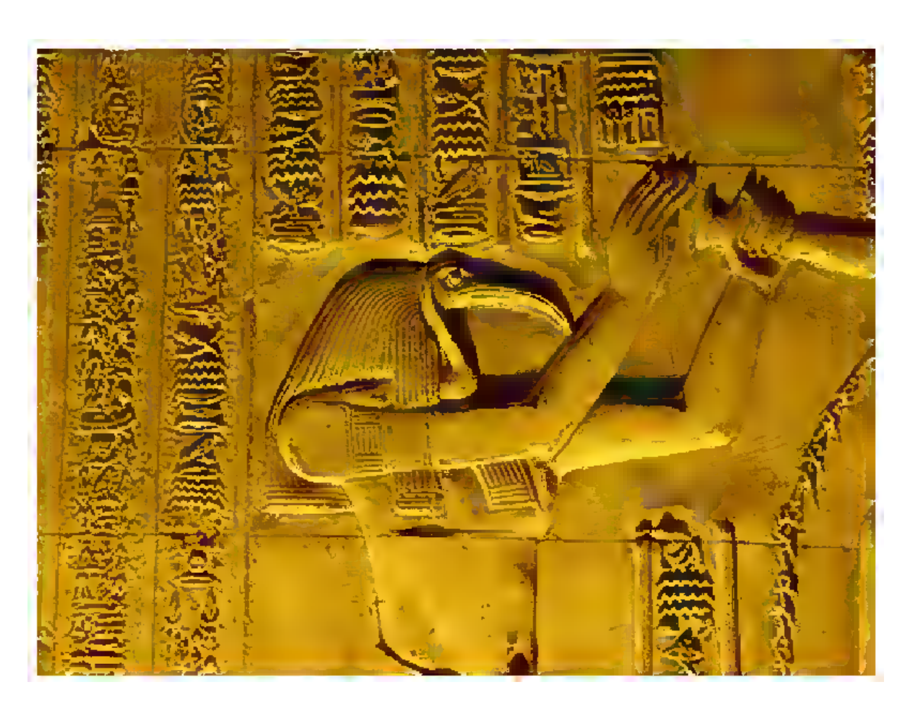
كما ذكره سفر التكوين في التوراة باسم أخنوخ، وذكره الإنجيل بنفس الاسم، وذكره القرآن الكريم باسم (إدريس) .

وتُجمع المرويات على أنه أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وأول من خاط الثياب ولبسها، وفي صفاته ما يدل على اهتمامه بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب . . إلخ، وأنه أول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء وغير ذلك كثير .

والحقيقة أننا لا يمكن التوسع، هنا، في البحث عن شخصية هرمس الحقيقية رغم أن الأمر يستحق ذلك، لكننا توصلنا في كتابنا (موسوعة الفلك عبر التاريخ) إلى أن هرمس هو أحد ملوك قبل الطوفان، خلافاً لكلِّ الآراء المطروحة، وقادتنا المقارنات اللغوية والآثارية إلى الإله السومري (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة والسحر في سومر والذي كان يرمز له بإنسان يلبس ملابس سمكية ظهر في زمن أحد ملوك ما قبل الطوفان وهو الملك (أمينون)، وأعطى له معارفه وشرائعه، ثم أعطى هذا الملك تلك المعارف والشرائع إلى ملك آخر هو ايفيدوراكوس الذي سبق (أوبار توتو) والذي يُشك بأنه نفسه (زيو سورا) أي نوح السومري . . ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومري بين (أمينون) و (ايفيدوراكوس) وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من ملوك سومر قبل الطوفان . (الماجدي69:2000-70) .

ويبدو أن هذه الشخصية انتشرت شرقاً وغرباً ففي مصر ارتبطت باسم الإله (تحوت) وباسم الوزير (امحوتب) وباسم الفرعون خوفو (حيث كان هرمس يسمى خنوفيس الذي يتطابق مع خوفو)، وتنسب لهؤلاء بناء الأهرام (لاحظ كلمة هرم لها علاقة بهرمس) وفي بلاد فارس طوبق مع (أبجهد) حفيد آدم الفارسي وكذلك مع (أهورا مزدا) إله النور الذي يقترب من لفظ (هرمز) .

وفي اليونان ظهر هرمس بمثابة الرسول الملكي . . وهكذا



الإله تحوت

http://hermes-thoth.forumactif.net/philosophie-f1/thoth-isis-et-osiris-la-triade-t19.htm

ويتضح من عودتنا للمراجع التي ذكرت هرمس وأهميته أن هذه الشخصية تتمتع بأهمية كبيرة في علوم الأقدمين وتعزى لها الكثير من المنجزات . لكننا نشك في أن تعاليمه كانت مدونة منه مباشرة، بل كانت شفاهية، وتمّ تدوينها في القرون الثلاثة قبل الميلاد في العصر الهيلنستي في مصر، وتحديداً في الاسكندرية، وظهرت هذه المدونات كمرجع أساسي لمدونات أخرى باللغة اليونانية ثم اللاتينية ثم السريانية ثم العربية والعبرية! وكلها نصوص موضوعة على لسان هرمس أو إدريس أو أخنوخ، ولكنها ليست بالنصوص الأصلية أبداً . . فقد طوى الدهر هرمس ما قبل الطوفان في حدود 3000 ق . م، ولا تتعدى هذه النصوص التي كتبت منذ القرن الثالث قبل الميلاد غير نصوص موضوعة على لسانه ومنسوبة إليه . ولكنها مع ذلك تشير على بعض الأسس التي يمكن اعتمادها كمنطلقات أولى للمبادِئ الهرمسية التي كانت أشبه بالعلوم أو التعاليم الخفية، ثم أصبحت في العصر الهيلنستي أساس الفلسفة الهيلنسية الأفلاطونية الجديدة وأساس الغنوصية .



صورة متخيلة لهرمس مثلث العظمة

Hermes Trismegistos

http://www.lightways.de/16.html

المتون الهرمسية (الهرمسيات)Hermetica:

تعرف مجموعة النصوص الهرمسية الشعبية والأدبية (الفلسفية) بالمدونات الهرمسية التي يبلغ عددها حوالي 17 نصاً مكتوباً باللغة الإغريقية، وهناك نص مكتوب باللغة المصرية والكتابة الهيروغليفية يعتبر أصل تلك النصوص .

أما الكتب الإسلامية فقد ذكرت عدة نصوص منها ما ذكرها القفطي في كتاب (تاريخ الحكماء) وغيرها .

المدونة الهرمسية المصرية منسوبة للإله (تحوت) إله المعرفة والحكمة المصري القديم وهي تجعل من الإله (أتوم) بمثابة الله الواحد الخالد الخالق الذي يسمى أيضاً

العقل الأول وهو الذي خلق عقل الكون الذي خلق الكون وهذا خلق الشمس والإنسان على صورة الشمس . والزمن له حركة دائرية ثابتة .

يتغير كل شيء في الزمن أبداً، تولد الكائنات ثم تفنى ثم تعود للوجود من جديد، كالنباتات التي تموت كل شتاء، لتبزغ بأدوات جديدة في كل ربيع، وكل هذه التحولات تحكمها قوانين طبيعية لا تفتر، وبهذه القوانين يمكن القول بأن الكون ثابت بالضرورة لا يتغير .

ينتظم الزمن عمليات التغيير الطبيعية في الكون، ويقاس بدورات الشمس والكواكب التي تدور في أفلاك ثابتة، ويرى هرمس الزمن كالدائرة، في حين نحن نراه في منظورنا الحديث كالخط المستقيم من الماضي إلى المستقبل، إلا أننا في الواقع نقيس الزمن كدائرة، فاليوم دائرة تبدأ بشروق الشمس ويبدأ ثانية عند شروقها في اليوم التالي، والعام دائرة زمن تقاس بدورة الأرض في فلكها حول الشمس، وهناك دورات شاسعة للزمن تحسب بحركة أفلاك النجوم . وكل هذه الدورات بالضرورة تعيد الأمور إلى ما كانت عليه في البداية، ومن المستحيل القول بأينية تلك البدايات، فليس للدائرة نقطة بداية فلا مجال للقول ببدايتها . ويشير هرمس إلى فهم أعمق للزمن، حيث ينتهي وجود الماضي، والمستقبل آت ولم يوجد بعد، والحاضر لا يكاد يوجد في عدم ثباته، فاللحظة تنتهي حتى عندما نقول (الآن)، ولا يمكن أن نمسك بالحاضر، فبأي وجه يمكن القول بوجوده؟ وهذا الفهم الصوفي لطبيعة الزمن الوهمية هي طريقة للتبصر في وحدانية الإله الذي وجد فيما وراء الزمن . فليس للإله ماضٍ ولا مسقبل ولا حاضر، وليس له غير الأبدية، وتحررنا من ربقة وهم، الزمن هو واحد من المداخل التي نجرب بها الربوبية . (فريك 2002:51) .

أما عن خلق الإنسان فيراه بدءاً ثم عوداً على بدء عندما تعود روحه إلى الأعالي :

"الخالق الذي ندعوه أتوم لعجزنا عن تسمية أفضل عندما خلق الملاك الثاني الذي هو الكون كان مبتهجاً لقد كان خلقه جميلاً مترعاً بالإحساس فأحبه كابن له ولرحمته، أراد أتوم أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه فخلق بمشيئته الإنسان كي يقلد حكمته الربانية وحبّه الإلهي وسأل أتوم كل ملاك في السماء : ماذا يمكنك أن

تقدم للإنسان الذي سوف أخلقه؟ فقالت الشمس أنها سوف تسطع طول النهار تغذي بالضحكة والفرحة عقول الفانين والعالم أجمع″ (فريك 57:2002-58) .

ويصف هذا النص فيض الخليقة من أتوم على الإنسان ثم يعود ليرفع هذا الإنسان من كينونته المادية عن طريق ارتفاع روحه عن الجسد المتحلل الفاني (وهذا يخالف اللاهوت المصري القديم بخلود الروح والجسد معاً) ثم ترتفع إلى الفضاء وترتقي السماوات السبع، حيث تتطهر في كل واحدة من واحدة من صفاتها المادية، وحين تصل على الطبقة الثامنة وتتحد بالإله أتوم وتصير من ملائكته وتفوز بالخلود فيهلل الملائكة لها ويسبحون بانتصار الروح .

وتوصي التعاليم المصرية أن يدرب الإنسان روحه على هذا الصعود طالما كان حياً حتى لا يضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى، وبذلك يكمن الأمل في حياة الخلود .

أما المدونات الإغريقية فأشهرها رؤيا هرمس المسماة بـ (المدونة الهرمسية Corpus Hermeticum) والتي تعرف عادة بـ (نص بوامندريس) وتكاد تشكل هذه المدونة الأساس النظري للهرمسية الهيلنستية التي ألقت بظلالها الواضحة على التصوف المسيحي والإسلامي .

وتصف هذه المدونة رؤيا هرمس في (32) مقطع تمضي عبر طريقين الأول نازل يسمى (المبدأ) وفيه الفلسفة الهرمسية النشكونية حيث يلد العقل (النور والأب) ابنه الأول الذي هو الكلمة أو الإله الصانع، ثم يلد هذا العالم وهكذا، أما الطريق الثاني فهو الصاعد ويسمى (المعاد) حيث تعود النفس إلى خالقها عبر طريقٍ تتخلص فيه مما علق فيها من الجسد .

ويتضح لنا من هذين الطريقين أنهما اصل الأفلاطونية الجديدة التي وضعها أفلوطين .

والحقيقة أن الفلسفة الهرمسية النشكونية هي صورة مثولوجية كانت موجودةً ضمناً في شجرة أنساب الآلهة الشرقية ثم الهيلينية، وقد تحولت بدلاً من أسماء الآلهة إلى مفاهيم فلسفية مثل العقل والكلمة والنفس، وقد جرى هذا كلّه بسبب تأثير الفلسفة الإغريقية على العالم الهيلينستي . ولننظر في هذا المقطع العاشر من المدونة :

"وفي حين انطلقت كلمة الله واتحدت مع العقل الصانع (لأنهما جوهر واحد) تاركةً العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية التي صارت خاصة بالطبيعة التي صنعت الآن . ولذلك صادرت العناصر السفلى من الطبيعة متروكة لنفسها، محرومة من العقل، فبقيت مجرد مادة" (الجابري 2004:265) .

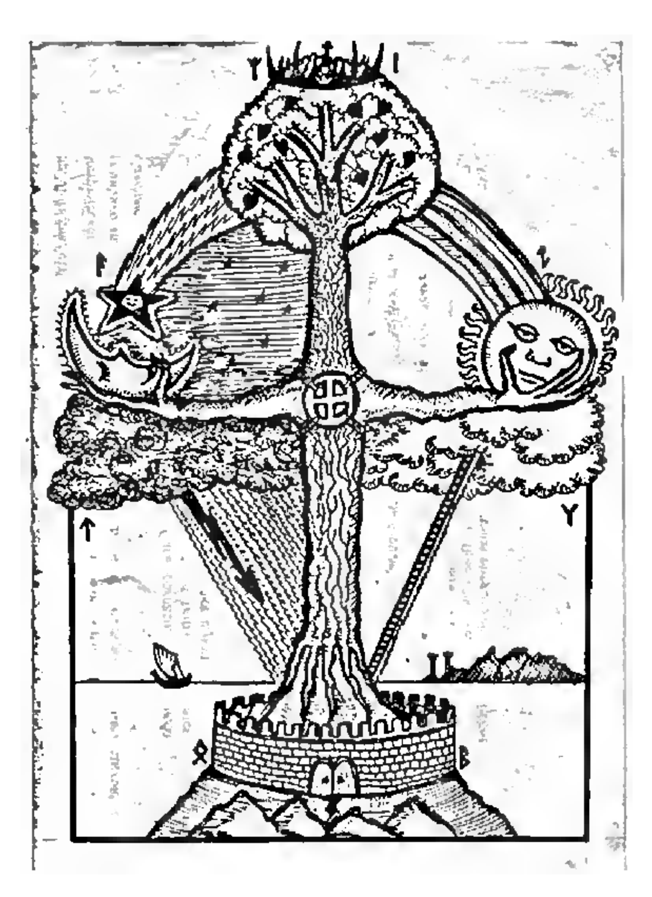
الفلسفة الهرمسية :

تشكل الهرمسية أو الفلسفة الهرمسية أساس الأفلوطينية والغنوصية وجوهرها، فقد سبقت ظهور الأفلوطينية عندما كانت في صورتها المصرية الأولى المنحدرة من تعاليم هرمس القديم بل ومن أسطورته تحديداً، حيث صعد إلى السماء وتنزل إلى الجحيم كما تروي الأساطير .

والفلسفة الهرمسية ذات هيكل مثولوجي خفي تستر بالمفاهيم الأفلوطينية وأحياناً الأرسطية فهو خليط فلسفي أسطوري يبدو وكأنه يروي قصة هبوط إله وصعوده، حيث ينشأ عن هبوطه خلق العالم والإنسان والروح، وينشأ عن صعوده نهاية الإنسان والعالم وعودة الروح إلى هذا الإله .

طريق المبدأ أو الخليقة (الطريق النازل):

1 . **العقل الأب :** تبدأ حركة العقل الأول من حركة (النور) الذي يناظر العقل الأول حيث يرتفع النور إلى أعلى وتظهر ظلمة داكنة رطبة مرعبة إلى الأسفل كأنها أفعى (وهذا تشبيه أسطوري يذكّر بالأفعى الأولى في الأساطير السومرية وهي نمّو ونون المصرية والكاؤوس الإغريقية . . إلخ) ينتج عنها ظهور النار، أما من النور فينتج عنها الكلمة التي تحتضن الطبيعة (وتمثل الإله الابن الصادر من الإله الأب الذي هو العقل الأول أو النور) ثم تصعد النار إلى الأعلى ويتبعها الهواء بينما يتكون في الأسفل الأرض والماء .



دورة الصعود والنزول الهرمسية

http://www.botozemel.com/FSB-en/librarium/librarium.htm

2 . **العقل الابن : بماأنَّ** العقل الأب ذكر وأنثى في الوقت نفسه فقد أوجد :

أ . **العقل الصانع** : وهو إله النار والنفس الذي صنع المدبرات (الكواكب) السبع التي تغلف بدوائرها العالم الحسي، ويسمى تدبيرها : القدر . ثم اتحدت كلمة الله مع العقل الصانع (لأنها من جوهر واحد) تاركة العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية الخاصة بالطبيعة والتي تركت لوحدها محرومة من العقل فبقيت مجرد مادة .

وعندما دارت دوائر الأفلاك ظهرت حيوانات في الطبيعة بدون عقل، أي أنها مكونة من العناصر التي كانت تتجه إلى أسفل (الهواء والماء والتراب)، فأنتج الهواء ذوات الأجنحة، وأنتج الماء الحيوانات السابحة، وأنتج التراب أو الأرض الحيوانات البرية والأليفة .

ب . الإنسان السماوي : أنجبه العقل الأب (وهو أخو الإله الصانع) وكان شبيهاً بالأب فأُعجب الأب بابنه لأن الله أحب صورته في ابنه وسخّر له جميع مخلوقاته .

دخل الإنسان السماوي كرة عالم الخلق فرأى مصنوعات أخيه من الكواكب السبعة فأشركته معها في تدبيرها ورتبتها، فاطّلع على ماهيتها وشاركها في طبيعتها، أي اكتسب منها نورها، ثم اخترق مداراتها وإذا به وجهاً لوجه مع الطبيعة، فلما رأت الطبيعة (عالم المادة والكائنات الفانية والمحرومة من العقل) لما رأت هذا الكائن السماوي المضيء وقد تحلّى بالجمال الخالد ابتسمت له حباً وعشقاً، ورأى هو صورته المنعكسة على الماء فأحبها وأراد أن يسكن هناك، فلما فعل ذلك وسكن الطبيعة المرحومة من العقل واحتضنته الطبيعة فاتحدا لأنهما كانا يحترقان عشقاً أحدهما إلى الآخر وهكذا حصلت الخطيئة بالحب .

3 **. الإنسان الأرضي :** أنجبت الطبيعة من الإنسان السماوي سبعة كائنات آدمية، تناظر بعددها طبائع المدبرات السبعة، كان كلٌّ منها ذكر وأنثى في آن واحد، وقد ولت وجهها جميعاً نحو السماء .

انفصلت الحيوانات والكائنات الآدمية السبعة، التي كانت كلها ذكراً وأنثى في الوقت نفسه، انفصلت إلى صنفين صنف الذكور وصنف الإناث، وأمرها الله بالتزاوج، فتزاوجت وتكاثرت بمساعدة العناية الإلهية وبتوسط مجموع الكرات السماوية .

وهكذا تكون الجسد البشري الذي هو الظلمة القاتمة التي منها خرجت الطبيعة الرطبة، ولكن داخل هذا الجسد هناك نور (ولا تسميها النصوص : نفس أو عقل أو روح) وهذا النور الذي يحملُ طبيعة الإنسان السماوي والعقل الأب محبوسٌ داخل الجسد وعليه أن يعود إلى أصله .

طريق المعاد أو المعراج السماوي (الطريق الصاعد):

1 . إذا كان الإنسان متوجهاً نحو الشهوات غارقاً فيها فإنه عندما يموت لا تتحرر روحه إلى الأعلى فيقوم الشيطان برشقه بسهام من جهنم، وبذلك يستمر هذا الإنسان في

توجيه رغباته نحو الشهوات بدون حدود، يقتل في الظلام دون أن يشبعه شيء، وهذا ما يعذبه ويُلهب باستمرار النار التي تحرقه .

أما الإنسان الذي عرف نفسه وابتعد عن الشهوات فإنه عندما يموت يفسد جسده وتختفي صورته فيترك للشيطان أناه العادية التي تتعطل عن الشعور وتعود قواه الغضبية والشهوانية على الطبيعة المحرومة من العقل، أما هو فيصعد بحواسه الجسمانية إلى السماء ليصادف الكواكب .

2 . في عالم الكواكب وهياكلها يترك الإنسان حواسه في كل كرة كوكبية وكما يلي :

أ . القمر : يترك فيه قوة النماء والنقصان

ب . عطارد : يترك فيه قوة الخبث والاحتيال

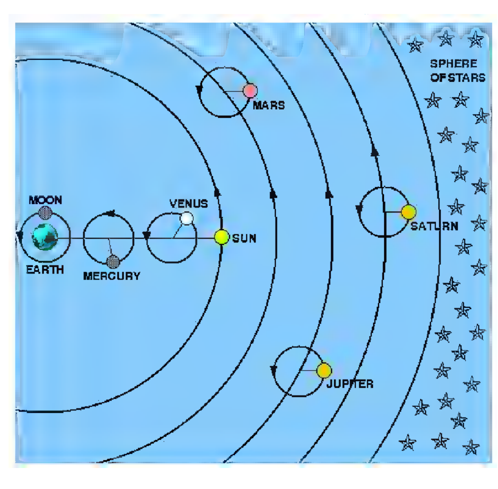
ج . الزهرة : يترك فيها وهم الرغبة

د . الشمس : يترك فيها كبرياء الحكم

هـ . المريخ : يترك فيه التهور الكافر والادعاء الكاذب

و . المشتري : يترك فيه الشهوات المحرمة التي يولدها الغنى

ز . زحل : يترك فيها الكذب الذي يكيد كيداً .



مرور الروح عبر عالم الكواكب

http://my.opera.com/six_string_wizard/

3 . يصل إلى السماء الثامنة متحرراً مما خلقته فيه طبائع الكرات الفلكية، لا يملك غير قوته الذاتية فيسبِّح للأب مع القوى التي يسمعها تسبّح، ويتوجه مع الحضور ويصعدون، في نظام بديع، نحو الأب مسلّمين أمرهم له فيصيرون مثله ويتّحدون بالله، لأنَّ هذه هي النهاية السعيدة لمن يملكون العرفان، نهاية أن يصيروا هم الله أو يتحدوا به .

هذا هو شرح خلاصة النص الهرمسي (بوامندريس) الذي كان على ما يبدو أساس الأفلوطينية والغنوصية معاً . لكننا سنجد دورة في شكلها البكر الحقيقي الأول في الديانة المندائية، وهو ما سنشبعه نقاشاً في الفصول القادمة .

الغنوصية والعود الأبدي

الغنوصية طريقة نظر خاصة للعالم والمعرفة والدين . والغنوصية كظاهرة تمتد إلى أديان الشرق القديم، أمّا كجهاز معرفيّ وكفلسفة ورؤيا متكاملة فهي من نتاج العصر الهيلنستي، ونرى أنها كانت الحاضنة التي ظهرت فيها الأديان التوحيدية، فهي المسافة الفاصلة بين تعدد الآلهة والتوحيد، ولولاها لما كان بالإمكان الوصول إلى التوحيد في الذي نادت به الأديان التوحيدية، ولهذا السبب فإنّ الأديان التوحيدية بعد أن استقرت وتكامل جهازها اللاهوتي والطقسي صبّت جام غضبها على الأديان والمعتقدات الغنوصية . لقد ظهرت قبل اليهودية والمسيحية وأثرت على الأديان السماوية كلها، وكذلك على الفلسفات والعلوم منذ العصر الهيلنستي ثم العصر الوسيط .

الغنوصية (Gnosticisme) أي العرفانية مشتقة من الغنوص Gnose وهي كلمة يونانية الأصل (Gnosis) معناها المعرفة، وقد استعملت أيضاً بمعنى العلم والحكمة وتترجم إلى العربية بصيغة (العرفان) . الفرق بين العرفان Gnose والعرفانية Gnosticisme هو أن العرفان حالة خاصة بصفوة معينة من الناس تعني معرفة الأسرار الإلهية، أما العرفانية (الغنوصية) فهي المذاهب الدينية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد تحديداً والتي تدّعي أنها مشيدة على نوع من المعرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معرفة باطنية، ليس بأمور الدين وحسب، بل أيضاً بكل ما هو سريّ وخفيّ كالسحر والتنجيم والكيمياء . . إلخ (الجابري 2004:354) .

والغنوصية مفهوم ديني ترتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة، وذلك من خلال المعرفة Gnosis وكان لها أصولها قبل المسيحية ولكنها انتشرت في القرن الثاني الميلادي واتخذت صوراً مسيحية ووثنيةً . المهم في هذه النظرية (من حيث اشتقاقها اللغوي) أن الخلاص فيها يتم عن طريق المعرفة أو الـ Gnosis التي اشتقت منها الغنوصية . وبالتالي فالغنوصي هو ذلك الـ Gnostikos أي (العارف أو العالم) و (الغنوصية) هي الـ Gnostike أي تلك المَلَكة (وهي الاسم المقدر dynamis التي

تصفها هذه الصفة) المعرفية، فهذه المَلَكة المعرفية أو الطاقة المعرفية هي، كما يرى أتباعها، طريق الوصول للخلاص من الخطيئة . (عبد الغني 1999:231) .

العرفان وأصوله :

ينحدر العرفان من أصول شرقية بعيدة تصل إلى الديانة السومرية التي كان (دموزي) يشكل أحد أهم رموزها الروحية، وتمثل حالة اختفاء (دموزي) ونزوله إلى باطن الأرض أو العالم الأسفل (في أسطورته الشهيرة مع إنانا) أول إشارة لنزول إله أو رجل متأله مثل دموزي (الذي أصبح تموز عند الأكديين والبابليين) إلى العالم الآخر الباطني العميق والخفي كذلك تمثل أسطورة صعوده إلى العالم السماوي (فقد ظهر في أسطورة آدابا حارسا لأبواب السماء) أول إشارة إلى العالم السماوي والرحيل إليه .



دموزي في رقيم سومري

http://www.bibleorigins.net/cherubimorigins.html

والعرفان أو الغنوص هو عدم الإيمان بالعالم الظاهر وعدم المشاركة في العالم المنظور والإحساس بالغربة عنه حيث يجد (العارف) نفسه غريباً عن العالم ككل، عن

الكون الذي يجد نفسه داخله ومطوقاً به، هو غريب عنه لأنه يشعر بأنه ليس منه وبأنه يختلف عنه جوهراً وطبيعة، وبالتالي فالوصف (غريب) ينسحب أيضاً على العالم وعلى القوى التي صنعته وتحكمه . (الجابري 2004:256) .

ونرى أن العرفان نشأ من رفض العالم المنظور والتعلق بعالمين غير منظورين أحدهما باطني حيث الأسرار والخفايا والثاني سماوي حيث الإله الواحد الذي يجب اللحاق به والاتحاد معه .

كان الإله السومري (دموزي) إله الحظائر والمراعي ثم تحول إلى إله الخصب عندما تزوج إلهة السماء (إنانا) ثم تحول إلى أحد آلهة العالم الأسفل عندما نزل فيه، وهناك ما يشير على صعوده على السماء .

ونرى أن (عبادة دموزي) كانت أصل العرفان والغنوص كحالة قائمة في الشرق القديم . ومعروف أن عبادة دموزي انتشرت في الأمم المجاورة بأسماء أخرى (تموز البابلي أدونيس الفينيقي، أوزيريس المصري، أتيس الفريجين وديونسيوس الإغريقي . . إلخ) وقد حملت عبادة هؤلاء الآلهة العرفان سرياً معهم في العبادات السرّية والخاصة .

ويقيناً أن الكهنة طوّروا مفهوم العرفان إلى مستوى الطقوس والشعائر التي ظهرت في تلك التراجيديات والكوميديات الشعائرية بمناسبة النزول إلى الأعماق أو الصعود إلى الأعالي .

ويكون مطلب (العارف) هو توظيف الدين والمعارف الدينية للدفع بالموقف العرفاني إلى أقصى مداه . . إلى طلب الخلود، إلى الرجوع إلى موطنه الأصلي ويرى بأن هذا "السقوط، الذي أصابه، والذي يتمثل في مغادرته عالم الخلود والارتماء في هذا العالم المملوء شراً، لا بد أن يكون نتيجة لذنبٍ، نتيجة لخطيئة، ولذلك لا بد من العمل من أجل الخلاص، وهكذا يزداد شوقاً وحنيناً إلى العودة إلى حاله الأصلية . إنه يتصور (البعث والنشور) على أنه رجوع إلى حال سابقة سامية، حال من الحرية الكاملة، حال ينزع فيها عنه ثيابه وكل ما يشدّه إلى هذا العالم ليعود إلى الحال التي كان عليها قبل ميلاده، لا قبل تكونه الجسماني . إنها (النشأة الأخرى Regeneration أو الميلاد الجديد Renaissance إنه المعاد . (الجابري2004:257) .

لقد عبّر العرفان عن نفسه في محاولة الخلاص التي شبّعت العقائد والمذاهب الشرقية القديمة السرّية منها بشكل خاص عن طريق تلك الطقوس الغامضة التي كان يخضع لها المتعبدون ويمارسونها .

العرفانية وأصولها :

العرفانية (الغنوصية) رؤية خاصة للعالم مبنية على أساس معرفي محكم حيث ترى العرفانية أن العرفان الحق لا يتم من خلال العلم الظاهري أو الفلسفة حيث الاستدلال والمعاني المجردة وإنما من خلال معرفة النفس لذاتها ولأصلها السماوي ولطريق تخلصها من المادة والجسد وطريق عودتها على الله والاتحاد معه لأنها جزءٌ إلهي في الإنسان .

إذن هي معرفة النفس لأصلها وخلقها ومبدئها ومعادها وهذا النوع من المعرفة خاصٌ جداً لا يعرفه أو لا يحصل عليه إلاّ أولئك الذين اختارهم الله وهم صفوة من الروحانيين الذي يختلفون عن النفسانيين أصحاب النفوس الفقيرة والجسمانيين أصحاب الشهوات الجسدية . ولا تحصل هذه المعرفة عبر تدرج معرفي وتعلم متسلسل وإنما تحصل في النفس عن طريق الكشف والإلهام .

ونرى أن العرفان الذي ظهر في سومر في العقيدة الديموزية بلغ ذروته وأخذ شكل الديانة والعقيدة العرفانية في عهد آخر ملك بابلي وهو نبونائيد (556-539) ق . م، ويسمى أيضاً نبونيد أو نبوناهيت الذي ترك ديانة بابل الرسمية القديمة (ديانة مردوخ) وحاول إرساء ديانة أخرى بديلة عنها كان الإله سين إله القمر أساساً لها بل كان إلهها الوحيد، ونرى أنه كان نبياً موحداً ورث العلوم الدينية عن أمه (أدد - كبّي) كاهنة إله القمر في حرّان .



نبونائيد : آخر ملك بابلي / العرفاني الكبير

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Nabonidus.jpg

وقام نبونائيد بصياغة عقيدته الجديدة بعد تأمل طويل في عقائد سومر وبابل القديمة وتوصل إلى أن الخلاص لا يتم إلاّ بتنقية النفوس والإيمان العميق بالروح الإلهي داخل الإنسان وتتبع مسراه حتى العودة به إلى خالقه الأعلى والابتعاد عن الطقوس الشكلية لجمهرات الآلهة المتعددة، وكانت عقيدة دموزي (تموز) قد نضجت على يده في صيغة هبوط وصعود للنفس البشرية من أجل الخلاص، وربما اقتبس من عقائد ما بعد الموت المصرية (وتحديداً من عبادة أوزيريس المقابل لتموز) فأدخل العقاب والثواب والجنة والنار والحساب في العقائد العراقية التي كانت لا تؤمن بها . وهكذا اكتملت على يديه عقيدة تموز/ البعل/ أوزيريس . . في هيكل قمري ينبضُ بالأنوثة ويذكر بالديانة الأمومية وجعلها بسيطة خاليةً من الآلهة المتناسلة حيث الإله الأب (القمر) الذي يرسل ابنه الإله المخلّص (تموز) أو (الابن) لينذر البشر ويقصّ عليهم قصة الخلق والميعاد أو الهبوط والصعود ويخلص أرواحهم من أجسادهم الفانية . . أي أنه طرح مفهوم خلود الجسد المصري جانباً، وأخذ بمفهوم خلود الروح الرافديني ولكن في بناء إسكاتولوجي مصري .

هذا الملك النبي لاقى مقاومة شديدة من قبل كهنة مردوخ والديانة البابلية الرسمية، ولكنه وجد صدىً لعقيدته عند أسرى يهوذا في بابل، ونرى أن العقيدة اليهوذية تحولت إلى عقيدة يهودية بفعل تلاقحها مع تعاليم نبونائيد العرفانية . أما نبونائيد نفسه فقد قام بالتبشير بديانته خارج وادي الرافدين، فذهب إلى حرّان (التي كانت معقل الهرمسية) ثم ذهب إلى سوريا الشمالية والجنوبية ووصل إلى شبه جزيرة سيناء في مصر، ثم توجه باتجاه جزيرة العرب نحو واحة تيماء وجعلها عاصمة دينية له، وكلّف ولده الأمير (بلثازار) بحكم بابل نيابة عنه . كانت تيماء قريبة من الحجاز وتلقت دعوته وأصبحت مع بلاد فلسطين مركزاً لنشر دعوته العرفانية .

انتشرت دعوته في جزيرة العرب عند ترحاله إلى مدن يثرب وخيبر وددان، وتخبرنا الآثار عن وجود عدة معابد أنشأها هناك . وعندما سقطت بابل على يد كورش الفارسي الأخميني (539) ق . م أُسر نبونائيد ورُحِّل إلى بلاد فارس، لكنه استطاع أن يفرّ من الأسر ويعود إلى جزيرة العرب ليواصل دعوته هناك .

ونرى أن الدعوة العرفانية التي قام بها نبونائيد استمرت بعد وفاته وظهرت في نزعات ومذاهب التوحيد في جزيرة العرب وفي العراق والشام . وستكشف الآثار والبحوث التاريخية عن أهمية هذا الرجل ودعوته ذات يوم .

ونرى أن نبونائيد اعتمد في عقيدته العرفانية على الهيكل الهرمسي الذي يمثل القمر أساساً له وهو ما تركه في أهمية هذا الإله في مصر، وكيف شكل تحوت (إله القمر المصري وهو إله المعرفة والحكمة) أساس البرديات الهرمسية قبل العصر الهيلنستي، حتى إذا ما جاء العصر الهيلنستي وطغت الفلسفة الهيلينية الممزوجة بالأديان الشرقية ظهرت المدونات الهرمسية والعرفانية المهجنة بين الهيلينية والمصرية .

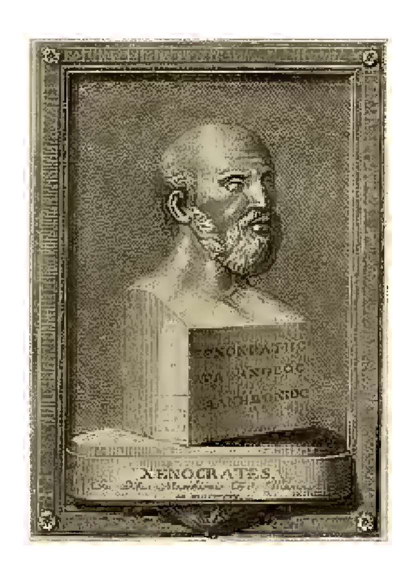
العرفانية إذن ذات جذور بعيدة قد يكون أبعدها العرفان السومري لكن نبونائيد هو الذي صاغ النظرية العرفانية ثم ظهرت الفلسفة العرفانية الهيلنستية وبينهما تمّ ظهور دين عرفاني مهم هو (المندائية) الذي قام بربط العرفان النبونائيدي مع العرفان الهيلنستي .

والمندائية ديانة غنوصية (مندا تعني عرفان أو معرفة في اللغة الآرامية) ظهرت في جنوب العراق وهي ذات جذور قديمة لكن الصياغة الغنوصية النهائية لها حصلت بعد نبونائيد .

وفي العصر الهيلنستي كانت الغنوصية قد أخذت شكلها النهائي وجمعت، هي الأخرى، بين أديان الشرق القديمة والفلسفة الهيلينية، ونرى أنها (أي الغنوصية الهيلنستية) كانت الرحم الذي ظهرت منه المسيحية خصوصاً في عقائد الخلاص اللاهوتية وأقانيمها الثلاثة . مثلما ظهرت اليهودية من (الغنوصية النبونائيدية) إبان الأسر البابلي لأهل يهوذا .

أما الأصل الهيليني الذي ساهم في صياغة الغنوصية صياغة هيلنستية فنعثر عليه عند أفلاطون (الذي تعدّ فلسفته المثالية ذات أصول هرمسية وفيثاغورية) .

بعد أن أنشأ أفلاطون نظامه الفلسفي المثالي في أكاديمية أثينا توفي وتولى أمر الأكاديمية الأفلاطونية إسبوسيبوس، ثم تولاها أكسانوقراطيس، وقام هذا الأخير، بشكل خاص، بتحويل فلسفة أفلاطون إلى رياضيات وأدخل عليها تأويلاً ثنائياً، حيث قام بتطوير فكرة أفلاطون عن الإله (الواحد) الذي كان كلّه خيراً محضاً، أمّا الشرّ فكان ينتج عن خطيئة في النفس ارتكبتها في حياتها الأولى فقال أكسانوقراطيس (ربما بتأثير الثنوية الفارسية عن إلهي الخير والشر) بأن الإله الواحد الخير أنجب إلهاً هو الإله (الصانع) الذي يشوبه نقص قياساً بالإله الواحد (حيث كان أفلاطون يرى أن الكمال أول والنقص تضاؤله) وأن هذا الإله الثاني هو الذي صنع العالم والنفس اللذين يشوبهما النقص، وهكذا جعل اكسانوقراطيس مبدأين أولين أحدهما خيّر هو (الواحد) والآخر يعتريه نقص فهو مصدر الشر وهو (الثاني) . وهكذا وضع الله (الواحد) في مكان قصي ونزهه عن المادة . . وقال إن النفس لا تدركه بالتدرج بل بالإشراق المفاجِئ .



أكسانوقراطيس (زينوقراط) (396-314)

http://en.wikipedia.org/wiki/Xenocrates

هذا التطوير الإكسانوقراطي كان الجذر المناسب الذي تتحور فيه الأفلاطونية لتتناسب مع الغنوصية الشرقية وينتج عنهما النظام الغنوصي الهيلنستي .

يضاف إلى ذلك الأصل الفارسي الذي ظهر في عقائد الثنوية المزدية ثم الزرادشتية التي تقول بإلهي الخير والشر ويمسك بناءَها النظام الهرمسي .

كل هذه الأصول انحدرت من الماضي لتتفاعل مع بعضها في بوتقة العصر الهيلنستي الجامع لعقائد الأمم الشرقية والغربية ومن كل هذا تظهر الغنوصية الهيلنستية التي كانت ذروة العقائد الغنوصية .

الفلسفة الغنوصية :

ظهرت الصياغة الهيلنستية للفلسفة الغنوصية قبل ظهور المسيحية وتناولت ثلاث مشكلات أساسية سنطرحها هنا بإيجاز :

1 . **مشكلة الشر في العالم** : كما قلنا في الفقرة السابقة قام اكسنوقراطيس بتطوير فكرة الإله (الواحد) أو الخير المحض وشطره على إلهين الأعلى هو (الواحد) المبرأ من الدنس وهو الخير المحض والذي بعده وهو بمثابة ابنه هو (الاثنين) وهو المشوب بالشر الأقل كمالاً وينسب له صنع المادة .

قام الفلاسفة الغنوصيون بتطوير هذه الفكرة ووضعوا هيكلاً فلسفياً فسروا من خلاله مبدأ التكوين والخلق فلسفياً وتكون تشكيل هذا الهيكل الفلسفي الغنوصي كما يلي :

1 . الهيكل الغنوصي الأول :

استقر الهيكل الغنوصي الأول على أساس وجود ثلاث مراتب فيه هي :

1 . الإله المتعالي الواحد (العقل الأول) : وهو الإله المنزّه الذي لا علاقة له بالعالم (لم يخلق العالم) وهو الخير المحض اللامدرك السكون الرؤوف

الرحيم وهو الهاوية وهو ذكر وأنثى معاً .

2 . الإله الصانع (العقل الكلي) : وهو الذي ولده من ذاته الإله المتعالي الواحد ليقوم بصنع العالم وهو إله مشوب بالنقص، ويعتبر مصدر الشرّ، ولذلك فهو إله شديد العقاب .

3 . المادة الأزلية : التي هي الشرّ كله وهي من صنع الإله الصانع، والإنسان ينغمس فيها حيث الإنسان روح إلهية من العقل الأول لكنها موضوعة في جسد مادي ومحبوسة فيه، أي أنها خير داخل سجن من الشر .

ويقيناً أنّ هذا الهيكل الثلاثي يشبه إلى حدّ كبير ذلك الهيكل الثلاثي المثولوجي الذي انتهت له كل أنساب الآلهة الشرقية القديمة المصرية والكنعانية والآرامية التي وصلت على مشارف العصر الهيلنستي بهذا الإيقاع الثلاثي رغم أن هذا الثالوث الإلهي الشرقي كان مركباً بصيغة أخرى وهي (الأب والزوجة والابن) باستثناء الثالوث الآرامي الذي كان مركباً من (سيميون وسيما وسوما) حيث سيميون الأب البحري وسيما وسوما أقنومان ذكري وأنثوي ربما مثلاً الجسد والروح . أمّا فكرة الإله الأب المتعالي وابنه الشاب الصانع فقد كانت من أكثر الأمور شيوعاً في المثولوجيا الشرقية .

2 . مشكلة الخلاص :

قلنا في فقرات سابقة أنَّ جميع الأديان والعقائد والمذاهب السرية نشأت بسبب مشكلة الخلاص سواء في الحياة أو الموت، ورأينا كيف أنَّ مشكلة الخلاص بعد الموت قد سيطرت على العقائد الاسكاتولوجية المصرية ثم العقائد الشرقية والإغريقية القديمة السرّية الطابع .

ولا شك أنَّ الغنوصية كانت قد نشأت أولاً بسبب فكرة الخلاص أيضاً (خلاص دموزي من العالم الأسفل) .. ولكنها مع الصياغة الهيلنستية كانت قد توصلت إلى أفكار جديدة تماماً .

ولكي تكتمل فكرة الخلاص الغنوصي لا بدّ من وضع هيكل تفصيلي للغنوصية في المبدأ والمعاد يكون قادراً على تفسير الخلاص فلسفياً، ولأجل تحقيق هذا استعانت الغنوصية بالهيكل الهرمسي الذي وضعته الهرمسية البابلية، حيث يقول سيرجي هوتن

""لقد أخذ العرفانيون من البابليين الأسطورة التنجيمية الكبرى Le grand mythe astrologigue الخاصة بهبوط النفس وصعودها : النفس تهبط من السماء العليا عبر الدوائر الفلكية السبع فتتلقى في كل منها استعدادات خاصة، وبعد الموت تتم العملية العكسية فتصعد النفوس تاركة في كل دائرة فلكية ما سبق أن أخذته منها . أمّا فكرة المخلّص الذي يخلص نفسه le sauveur sauve ، المنقذ الذي ينقذ أجزاءه النورانية المشتتة في المخلوقات الدنيا (الجسم، المحسوسات) وهو بذلك ينقذ نفسه، هذه الفكرة أصلها "إيراني"(Hutin 1964:83)

وكان هذا الأمر يستدعي تعديلاً أو تفصيلاً في الهيكل الغنوصي الأول الذي كان مصدره المباشر أفلاطوني محوّر .



أسطورة الصعود الغنوصي

http://hermes-thoth.forumactif.net/philosophie-f1/thoth-isis-et-osiris-la-triade-t19.htm

وبالعودة إلى الهيكل الهرمسي نجد أن هناك أربعة مقامات للعقل الأول (الأب) والثانية للعقل"الثاني" (العقل الصانع+ الإنسان السماوي) ثم الإنسان (النفس) ثم المادة .

وهكذا ظهر الهيكل الغنوصي مختلفاً عن الهيكل القديم والهيكل الهرمسي :

1 . العقل الأول (الواحد، الخير، النور) وصفة النور هذه مصدرها هرمسي .

2 . الأيونات والأراكنة (الأركونات) وهي أرواح إلهية تصدر عن العقل الأول زوجاً فزوجاً (ذكراً وأنثى)، متضائلة في الألوهية كلما ابتعدت عن المصدر، ويمكن القول أن هذه الأيونات تشكل ما يقابل (العقل الصانع)، وكانت تعتبر بمثابة آلهة الكواكب أو الكواكب نفسها، وكان بعضهم يسميها الكلمات والبعض يجمعها في (الكلمة) ويسميها فيلون الاسكندري بالملائكة أو القوات، وغيرهم يسموها الجنّ، وغيرهم يسميها الوسطاء (ويروي الغنوصيون عنهم قصصاً غامضة وغريبة) .

3 . وقد حاول أحد الأيونات (الأركونات) أن يرتفع إلى مستوى العقل الأول (الله) فطرد من العالم المعقول، وعن هذا (الأيون الخاطِئ) صدرت أرواح شريرة مثله ثم صدرت المادة أو العالم المحسوس .

4 . قام الأيون الخاطِئ بحبس النفوس البشرية (الصادرة من الأيونات الصالحة، داخل المادة وهي الأجساد وهكذا خُلق الإنسان .

5 . أصبحت هذه النفوس تتوق للخلاص من سجنها الجسدي وذلك بالتطلع إلى الكواكب ودحر الشهوات الجسدية والتحرر منها وحرب الشياطين والشر ثم الالتحاق بالأيونات ثم بالعقل الأول، وهذا هو طريق الخلاص الغنوصي .

ويقسم الغنوصيون الناس على ثلاث طوائف"متمايزة بالطبيعة لا بالنية والإرادة فحسب : الطائفة الأولى هم الروحيون وهم من أصل إلهي يكفل لهم النجاة، أولئك هم الغنوصيون صفوة البشر، والطائفة الثانية الماديون المركبون من المادة وهي التي تعوقهم عن الصعود فوق العالم السفلي، والطائفة الثالثة الحيوانيون وهم الذين يؤلفون طبقة وسطى قابلة للارتفاع والسقوط، للنجاة والهلاك . . ووسيلة النجاة قهر الجسم وإطراح كل ما يثقل النفس ويمنعها من بلوغ المقرّ الروحاني النوراني الذي هبطت منه"" (كرم (د . ت) : 244-245) .

3 . **الظاهر والباطن :** المبدأ الثالث من مبادِئ الغنوصية يترتب على تصنيفها الأخير للناس، فعامة الناس من الماديين والنفسانيين يأخذون المعرفة من العلوم الظاهرة

كالفلسفة والعلم التجريبي، أمّا خاصة الناس من الروحانيين الغنوصيين فيأخذون بالعلم العرفاني الذي هو العلم الباطني .

والعلم الظاهر هو الأخذ بالأشياء والظواهر والنصوص كما هي، ويتمّ تلقي هذا العلم بالخطوات التعليمية التدريجية . أما العلم الباطن فهو الغوص في أعماق الأشياء والظواهر والنصوص وكشف أسرارها الحقيقية (لا معانيها الظاهرة) ويتم تلقي هذا العلم بالكشف والإشراق المفاجِئ في الألباب والقلوب . . وسرّ هذا الكشف سببه أن النفس أو الروح الغنوصية أو الباطنية الطابع تتلقف بسرعة وبنوعٍ من الومض أسرار المعرفة الإلهية (بشكل خاص) لأنها مصنوعة من مادة روحية خفيفة مرتبطة بالله أو بالعقل الأول .

وهذه النفوس في تشوق متبادل مع الله هي تريده وتريد معرفته، وهو يريدها ويريد جذبها، ولذلك تختفي الحواجز بينهما، ويمكن تفسير فكرة الوحي على هذا الأساس . فالنفوس الشفافة الإلهية الطابع هي القادرة على تلقي الوحي بدرجة أعلى بكثير من النفوس المادية الظلامية الطابع المكبلة بلذاتها وماديتها .

شفافية النفوس الخاصة هي التي تصلها بالله مباشرة وأحياناً عن طريق الوحي (عند الأنبياء مثلاً) . أما أصحاب النفوس المظلمة الهابطة في المادة فلا تتطلع إلى الله بل تعرفه معرفة العابر وتسحبها دونيتها على المادة والملذات والشر والشيطان والعالم الأسفل .

طرق تطبيق العود الأبدي
كيف يتوقف التاريخ؟

عرفنا أن العود الأبدي لا يتم، عملياً، إلاّ بتوقف التاريخ، وهذا ما كان يفعله البدائي وما زال يفعله الإنسان المتدين . فالمتدين هو إنسان بدائي أيضاً لأنه يعيش حاضراً مصادراً من قبل الماضي، أي إن حاضره يكرر الماضي دائماً . ولذلك يكون المتدين نسخة مكررة من أصل لأنه أساساً يعيد الحركات والأفعال والأقوال التي تم تدوينها في الماضي، فهي شفيعته لدفع نجاسة الحاضر .

كان الإنسان القديم يشعر بالظواهر الدورية في الطبيعة بل إنّه كان يشعر أنَّ الطبيعة كلّها عبارة عن دوائر تتصل بداياتها مع نهاياتها، ولذلك كانت أفعاله وطرائقه دوريةً هي الأخرى، لأنه ملتصقٌ بالطبيعة إلى درجة عدم مفارقتها مطلقاً، فهو يعيش في كنفها كأنه صخرة أو نهرٌ أو نبات أو حيوان فيها، ولذلك فهو دائري معها . أما الإنسان الذي ينفصل، عن طريق الثقافة والوعي، عن الطبيعة فلا شك أنّه يختار طريقاً لا دورياً فهو يتطامن مع حركة التاريخ المستقيمة الذاهبة إلى أمام دون عودةٍ .

وهكذا يستمر الجدل بين الدائرة، التي هي زمان دوري مكرر، والمستقيم الذي هو زمان متصل في اتجاه واحد .

يبدو لنا العود الأبدي وكأنه شعور بالذنب من المضي في مسايرة التاريخ المستقيم، ولذلك توجّبت العودة إلى الأسطورة الدائرية، إنه خوف من التاريخ وهربٌ دائري منه .

لقد ابتكر الإنسان البدائي والمتدين طرقاً عديدة لإيقاف مسرى التاريخ ولتحمّله وتجميده، وقد ناقشنا أغلبها في تضاعيف هذا الكتاب، لكنّنا سنجملها هنا وهي :

1 . **النماذج البدئية** : حيث يتمّ الاتصال بها واستعادتها باعتبارها القاسم المشترك الأعظم بين الجماعة في قاعها اللاشعوري العميق، وهي تختزن المحركات الأولى للوعي واختصار العالم في رموز وإشارات وأشكال .

2 . **استعادة الأسطورة** : حيث يتم تلاوتها أو تمثيلها أو حضورها المادي بين الجماعة لتمارس إعادة ربط بينهم .

3 . **أسطرة أبطال التاريخ (مسّ المقدّس)** : إقامة رباط مقدس بين الأبطال وبين الآلهة ورفعهم إلى مستواها جزئياً لكي يمارسوا فعلاً خارقياً في تأثيرهم وحضورهم .

4 . **أسطرة حوادث التاريخ** : وتحويلها إلى مقولات أسطورية يتم نقل الحادثة من مجرى التاريخ المتلاطم إلى دائرة الأسطورة فتصبح نموذجاً أسطورياً جديداً، وبذلك تتمّ أسطرة التاريخ نفسه أحياناً .

5 . **الرؤيا الاسكاتولوجية وتحمل الألم** : حيث تعمل الرؤى الأخروية والتي تصنع سيناريوهات مقدسة لنهاية العالم مثل ظهور الأنبياء والمخلصين، بحيث تعمل على وضعه نهاية مقدسة للتاريخ (بعد أن وضعت بدايةً مقدسة له، وعملت على تشطيبه بالمقدس عن طريق أسطرة بعض حوادثه وأبطاله، وهذا ما يجعل المؤمن يتحمل التاريخ باعتباره وسيلةً أو مركباً لبلوغ الغاية المقدسة التي هي ظهور المنتظر والمخلص، ثم خلاص العالم كلّه .

6 . **النظريات الدورية والنجمية والإيمان بالحتمية** : حيث تمَّ ابتكار مدارات الكون الزمنية وفلسفات نهاية وبداية الزمن المتكررة ليتم الاقتناع بالحتمية الأزلية، وهو ما يخفّف العبء على الإنسان الفاني ويعطيه الأمل في عودة قادمة إلى ما لانهاية، وهذا نوعٌ آخر من الإحساس بالخلود أو ابتكار الخلود .

7 . **تكرار طقوس الأعياد الدورية** : الذي يعيد وضع المؤمن في جوهر الزمن الدوري الذي يُشعره بالسكينة والهدوء .

8 . **الإيمان** : هو الاعتقاد القلبي القائم على التسليم دون مناقشة عقلية لما سيحصل، فهو عون على الكوارث التاريخية وإجراءٌ خاص للحماية من عصف التاريخ .

9 . **الاعتراف** : حيث يكون الاعتراف بالخطايا التي كان التاريخ سببها نوعاً من التقرب إلى دورة الزمن الأسطوري، فالخطايا تُثقل الروح وتمنعها من الحركة

الدورية .

10 . **تحمّل الألم** : باعتباره ضرورة لا بدّ منها للوصول إلى الخلاص .

11 . **القدرية والجبرية** : حيث يكون الإنسان مستسلماً لما تفعله الأقدار به باعتبارها مسيّرة، إمّا من قبل خالق عظيم جبار، أو هي حركة ميكانيكية للطبيعة والزمن تجعل الإنسان ذرة صغيرة داخل دولابها الكبير المحتوم الحركة والغاية .

12 . **تأبيد التاريخ** : عن طريق حق بعض أبطاله وأحداثه بالمقدس وهو ما يجعل التاريخ يلتوي لصالح الزمن الدوري، وبذلك يُعاد بناء التاريخ قدسياً ويتخلص من صلابته ويتحول بيد المؤمنين إلى دائرة مقدسة هو الأخرى وخصوصاً في مناطقه المقدسة الرخوة .

الفصل الرابع
أساطير العود الأبدي



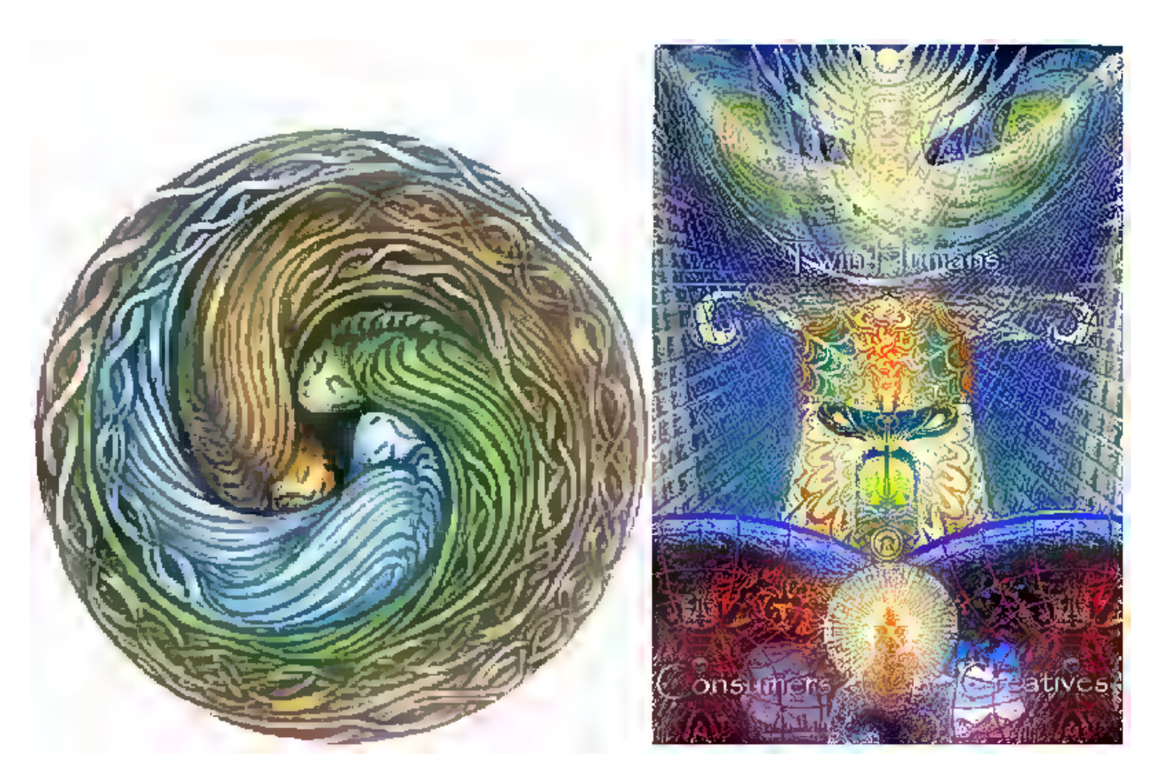
http://www.theoldoutpost.com/catalog/product_info.php?products_id=706

مثولوجيا أدوار العالم

انقسم الزمن الدوري الواحد للعالم إلى أربعة أدوار تناولتها علوم الفلك والتنجيم والأساطير والأديان بعامة، وانعكست تطورات هذه الحقول عن أدوار العالم في بعضها . وصار لزاماً علينا تناولها في شكلها المتداخل هذا، فقد انقسمت أدوار العالم إلى أربعة أدوار كبرى هي :

1 . الدور الذهبي :

وهو الدور البدئي حيث بداية التكوين والخليقة، وهو الدور الذي تظهر فيه الإلهة الأم الخالقة الأولى (عند السومريين نمّو وعند البابليين تيامت) .. وتتمّ في مراحله الأولى خلق الآلهة، وفي هذا العصر تسود النزعة القمرية ويكون الفردوس هو مكان هذا الدور، ويسمى (ربيع العالم) حيث تظهر أساطير الربيع والولادة والشجرة كرمز مركزي وظهور البطل الإلهي .



الألهة الأم الكبرى الإلهة الأم بداية الحياة والخصوبة

http://farm1.static.flickr.com/167/434632620_d300b15540.jpg?v=0
http://www.squidoo.com/symbols-of-motherhood

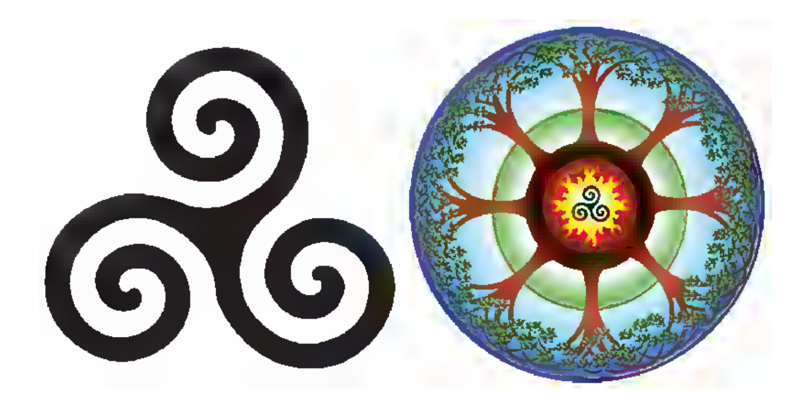
وعلى المستوى الفلكي تكون فيه السماء والأرض في بدايته متطابقتين، ويكون ما قد تقرر في السماء قد انطبع أو تقرر على الأرض، وهكذا فإنه بعد انفصالهما . . تظهر النزعة الفلكية التي تقول بأن الأقدار والمصائر الأرضية لها ما يقابلها في السماء من رسم ونجوم وخطوط وأفلاك . ويكون الفلك والتنجيم علماً واحداً .

والأرض الفردوسية هي الأساس في هذا العصر، ولذلك يكون التراب هو العنصر الفعال . ويكون الاعتدال الكوني شاملاً حيث تتطابق كل الأشياء والأفلاك مع بعضها وتتطابق درجات الدائرة الـ360 درجة .



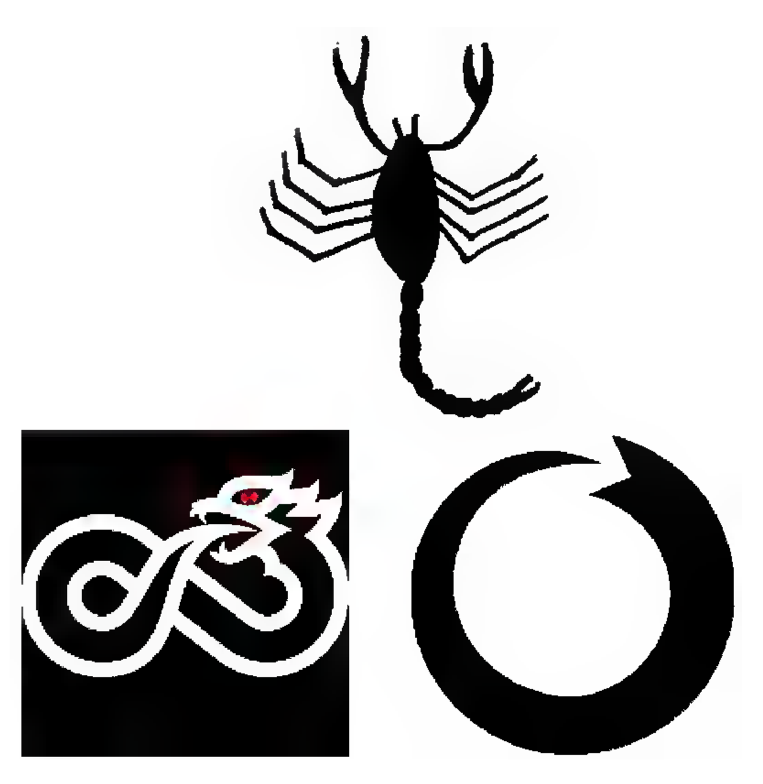
الإلهات الأم من مختلف الحضارات والشعوب

http://www.squidoo.com/symbols-of-motherhood



مندالا الإلهة الأم رمز الإلهة الأم

http://www.youbelongin.com/mandala.html



العقرب والأفعى : رمزا الإلهة الأم والدور الذهبي

http://studwww.ugent.be/~jdzutter/



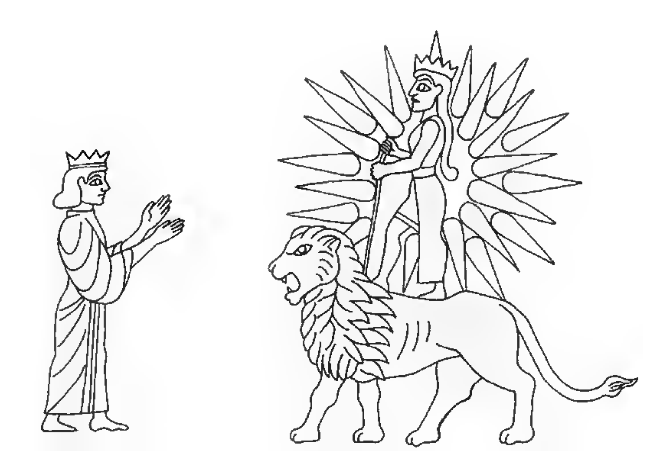
رمز الخليقة : ويعني انفتاح دائرة الأوروبوروس وتحررها من الدائرة المغلقة

2 . الدور الفضي :

وهو الدور الذي تكون فيه الخليقة قد اكتملت ويسود فيه البطل الذكوري، وتتحول الإلهة الأم إلى إلهة عذراء متقلبة، عاشقة ومحبة في نصفها الأول وقاسية ومدمرة في نصفها الثاني، لكن الذكر (الإله أو البطل الإنساني) هو السائد، ويسمى هذا الدور (

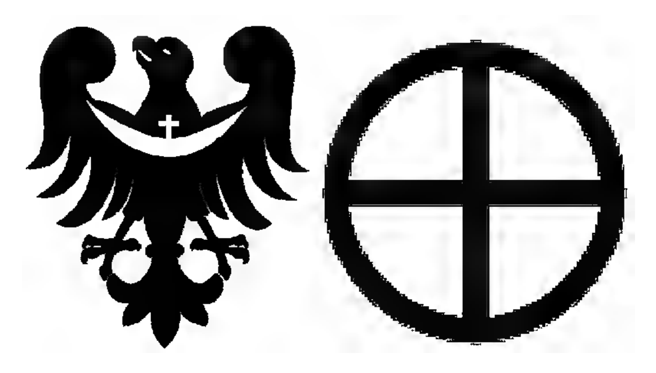
صيف العالم) حيث يشهد صعود النزعة الشمسية، ويكون العنصر الأساس هو النار، ويمثل الإله شمش أو الإله البابلي مردوخ هذا العصر تماماً وتمثله عشتار الأنثى في مقابل ذلك .

ويقوم الإله الشمسي بقتل أو سجن الإلهة الأم الترابية المائية الظلامية، وتظهر مثل هذه الأساطير دالة على انهيار المرحلة الهيولية الفوضوية الكاؤوسية وبدء المرحلة الكونية المميزة النظامية المضيئة . ولعلّ أسطورة الخليقة البابلية هي النموذج النوعي لمثل هذه الأسطورة التي توضح كيف انتقل العالم من الفوضى إلى النظام، وكيف سيطر الإله البطل الشمسي الهوائي على العالم .



الإلهة عشتار في طور العذراء الشمسي ومن رموزها الأسد

http://www.matrifocus.com/SAM08/spotlight.htm



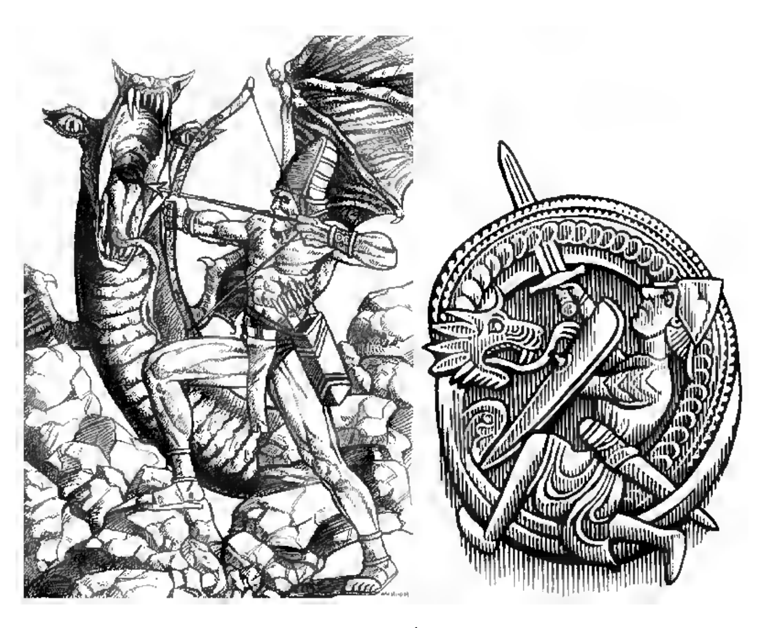
الصليب والنسر : رمزا البطل الشمسي والدور الفضي

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Silesian_Eagle.svg



الإله مردوخ : رمز الإله الشمسي

http://courses.cit.cornell.edu/nes263/student2007/jml248/order.html



قتل التنين (الإلهة الأم) من قبل البطل الشمسي

http://www.tolkienlibrary.com/press/870-The_Legend_of_Sigurd_and_Gudrun.php?246
http://www2.kenyon.edu/Depts/Religion/Fac/Adler/Reln101/links101.htm

وعلى المستوى الفلكي، حيث يستقل علم الفلك ويقوم بدراسة اتضاح نجوم وأفلاك السماء وحركتها ودورانها . وتظهر الأبراج السماوية كشكل من أشكال خطوط الطول

والعرض السماوية التي تتقرر بها اتجاهات السماء وحركة الشمس والقمر، والنجوم والأفلاك .

أما علم التنجيم فيبدأ بالربط الملفق بين النجوم والملوك، وييسر منجزات علم الفلك للبلاط الرسمي أو يتدنى به إلى المستوى الشعبي .

وحقيقة الفيزياء الكونية (بعيداً عن علمي الفلك والتنجيم) هي نضوج واكتمال تكون النجوم والأفلاك وحركتها المنتظمة . وذروة نطاقها الهندسي والرياضي حيث الاعتدال الفلكي .

3 . الدور النحاسي :

وهو الدور الذي بدأت فيه جذور العالم بالهبوط، وظهرت أساطير التدمير واختطاف الآلهة والأبطال إلى العالم الأسفل لفترات قصيرة أو طويلة . إنه دور (خريف العالم) حيث تتغلب فيه القوة القاسية الهدامة للإلهة الأنثى، وتقوم بأدوار الاختطاف والتدمير انتقاماً من تهميش دورها في العصر الفضي، وجعلها منطقة للمتعة واللذة فقط .

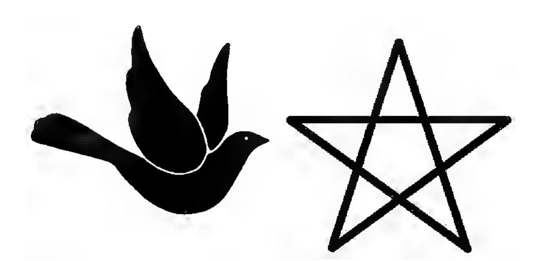
ولعل أساطير الحركة من وإلى العالم الأسفل، وأسطورة إيرا وأسطورة هبوط عشتار إلى العالم الأسفل البابلية تمثل أساطير هذا الدور . وفي هذا العصر يسود علم التنجيم والسحر ويتنحى علم الفلك وتزداد مكانة التنجيم الأسود إذا صح التعبير، حيث النجوم والأفلاك ترتبط بالعالم الأسفل وعالم الموت، وأغلبها ينذر بالويل والثبور وتزداد مساوئ الناس وتكثر الفتن ويصعد التنجيم الشعبي إلى ذروته، أمّا علم الفلك فيعتني برصد الحركات الشاذة والغريبة للنجوم والأفلاك .

وتظهر في الفيزياء الكونية حركات النجوم والأفلاك باتجاهات الشمال والجنوب بعيداً عن مواقعها المألوفة . . وتموت بعض النجوم ويختفي بعضها الآخر .



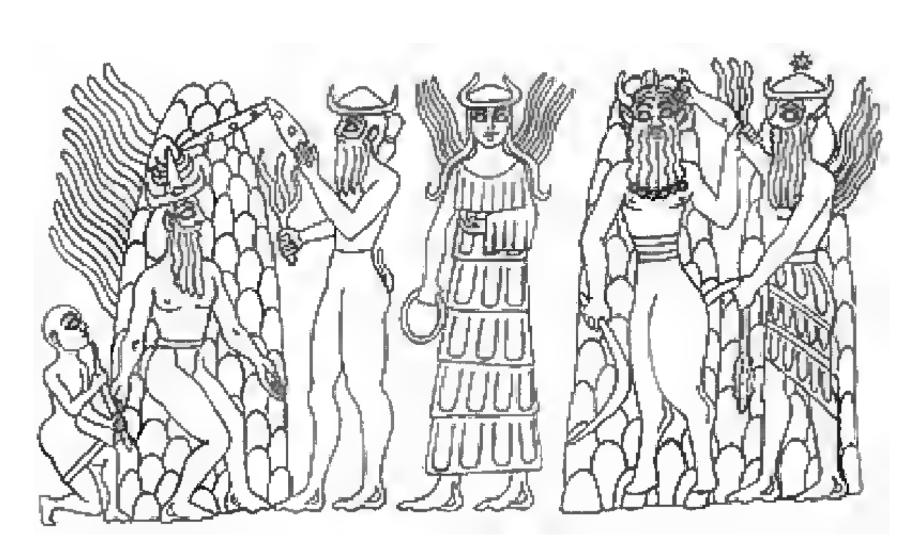
الإلهة عشتار في طورها النحاسي المحارب مع أسلحتها

http://www.matrifocus.com/SAM08/spotlight.htm



النجمة الخماسية والحمامة : رمزا الإلهة عشتار في طورها النحاسي

http://www.londonbaystationery.com/?page_id=5



نزول إنانا الى العالم الأسفل

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

4 . الدور الحديدي :

وهو دور الموت الذي يبدأ بظهور النذير والتحذيرات من قدوم الخراب الشامل والتدمير الكلي للحياة، ويظهر علم الاسكاتولوجيا (علم الموت) وهو يحصي أساطير وطقوس وعقائد الموت .

على مستوى الآلهة يموت الكثير منهم ويختفي نهائياً في العالم الأسفل، وعلى مستوى الطبيعة تستقبل الطبيعة دماراً شاملاً عن طريق أحد العناصر الأربعة الخلقية الأولى وهي في مرحلتها الغاضبة المدمرة (الماء للطوفان، النار للحرائق الكبرى، الهواء للعواصف الكاسحة، الأرض للزلازل والبراكين) . ويمكن أن نطلق على هذا الدور (شتاء العالم) .



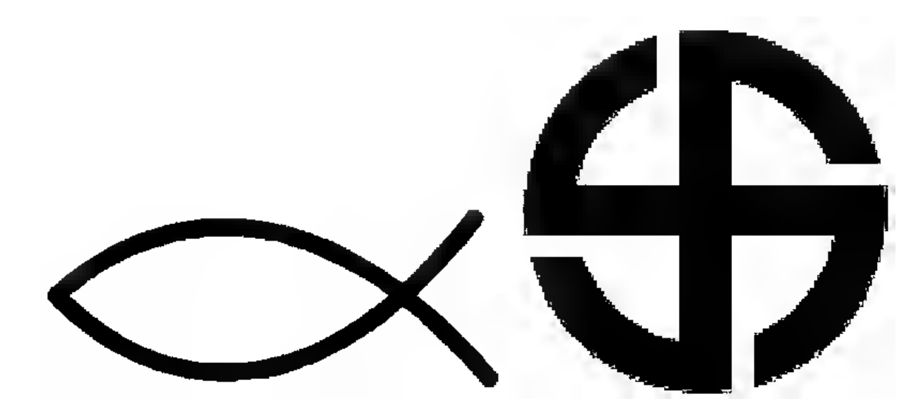
ليليث أو أرشكيجال وهي هنا الإلهة عشتار في طورها الشتائي الليلي وهي تتحول إلى الهة ليلية محاطة باللبوتين والبومتين

http://www.matrifocus.com/LAM05/spotlight.htm

أما على مستوى الإنسان فإنه يتحطم ويموت ويغرق أو يحترق أو يعصف به أو يدفن في الأرض . . ويعود إلى أصله، وهكذا تسود هذا العصر الطوفان بشكل خاص .

كما تظهر أيضاً أساطير ومحاولات خداع الموت مثل أساطير البحث عن الخلود (كلكامش، آدابا إيتانا . . إلخ)

وتظهر الإلهة الأنثى في ذروة بطشها حيث تقوم في آخر مراحل هذا الدور بالالتفاف على نفسها والعودة ثانية تدريجياً إلى السكون والهيولي .



الصليب المعقوف (السواستيكا) والسمكة : رمزا الإلهة الأم في طورها الأخير

http://ngfl.northumberland.gov.uk/clipart/Greeks/pages/Greek%20symbol%20scorpion_jpg.htm



وعلى المستوى التنجيمي والفلكي لا يعود هناك أثر لهذين العلمين، أما الفيزياء الكونية للعالم فتكون فيها النجوم والكواكب، إمّا على مدار السرطان السماوي وعند ذاك تنخفض كل الأشياء وتعود إلى أصلها وتتحول إلى ماء . وإما على مدار الجدي السماوي حيث تتصاعد الأشياء وتلتهب وتتحد بالنار وتفنى بها .

وإذا كان الإنسان في العصر الذهبي قد خلق وتكون فإن البابليين أطلقوا على اليوم الأول الذي خلق فيه الإنسان الأول (أومو)، وهو يشير أيضاً إلى بدء العصر الذهبي وبدء الخليقة بأكملها . ووصف السومريون والبابليون ثلاثة أماكن أساسية لحلول الإنسان في العصر الذهبي الفردوس هذا هي (دلمون) و (أدنو) و (دوكو)، وكانت دلمون هي الأرض التي لا موت ولا مرض ولا شيخوخة ولا حزن ولا ظلم فيها، وهي أرض البحرين التي كانت مدينة من المدن السومرية الجنوبية في الخليج العربي . أما (أدنو) فهي عدن ومعناها (الأرض السهل) وهي عموماً ما بين النهرين، أو الأرض الواقعة على حافة المياه قرب مصبّ النهرين دجلة والفرات في الخليج العربي . وكانت تغمرها الأهوار، وكان الإنسان سعيداً . وقد أخذتها الأساطير العبرية وأنشأت منها أسطورة جنة عدن وآدم وحواء .

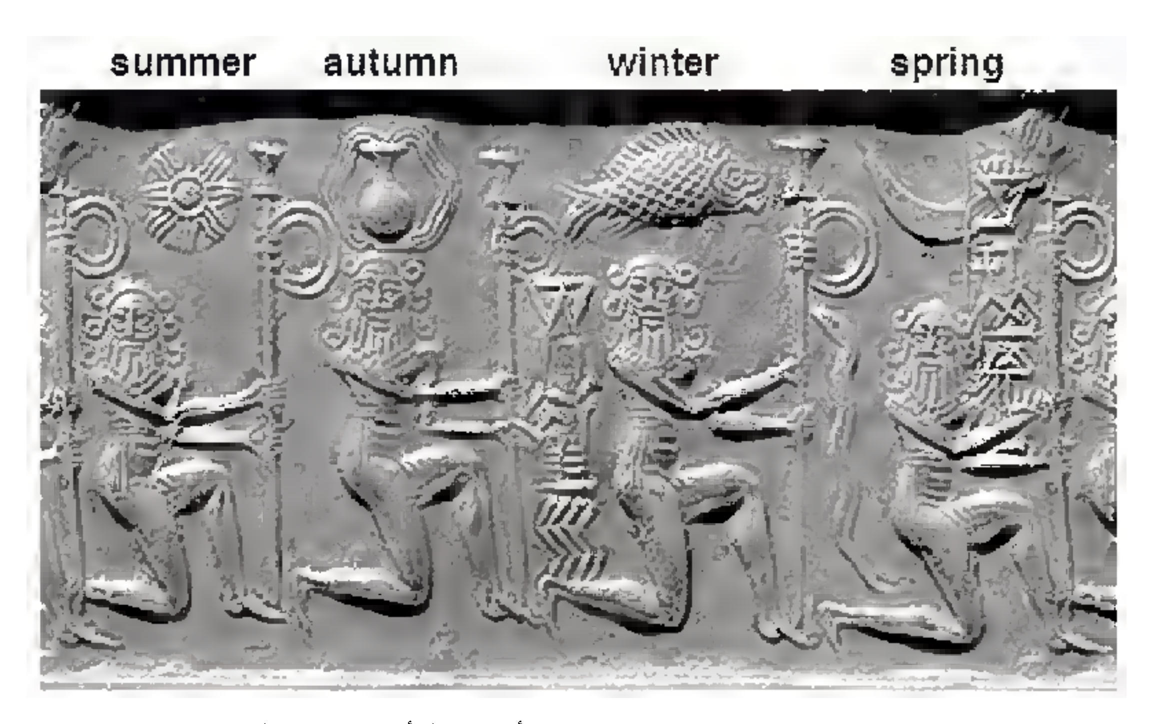
بعد هذا الزمن، أي في الزمن الفضي يسقط الإنسان من الجنة أو من السماء تعيساً معاقباً مطروداً من قبل الآلهة، والسقوط هنا هو رمز العقاب . ولكن الإنسان يقوم بمعونة الآلهة ببناء الأرض والمدن تساعده الآلهة عندما تمنحه النار والزراعة والمعادن والمعول (الفأس) .

لكن الإنسان يرتكب الخطيئة دائماً فتغضب الآلهة وتقوم بإنزال أنواع العقاب المؤقت عليه، وينفجر العالم الأسفل بين حين وآخر عليه ليبتلع منه أفواجاً، ويسود العصر النحاسي الذي هو عصر التدمير .

وبعد ذلك يحلّ عصر نهاية الإنسان ويفنى الإنسان كلياً (لكن نخبة مختارة قليلة تنقذ عادة لتعاود بداية العصور من جديد) ويدخل البشر في عالم الموت ويحل اليوم

الأخير من أيام الخليقة وهو (يوم الحشر) حيث تجتمع درجات الدائرة 360 في المركز وتفنى السعادة وتنكمش الحياة وتتحول إلى عدم .

وقد رمز العراقيون الأوائل لأدوار العالم بفصول الكون الأربعة التي تناظر فصول الأرض، وقد صوروها على لوح طيني يظهر فيه جلجامش وهو يحمل عصا الملوكية وتعلوه رموز الفصول، فالربيع رمزه الهلال (سين) والأفعى (الألهة الأم نمو أو تيامت)، والصيف رمزه الشمس (الإله شمش)، والخريف رمزه جرة الماء أي الإله إنكي أو إيا، والشتاء رمزه السمكة التي ترمز هي الأخرى لإنكي ولنانشة أيضا .



جلجامش يحمل رموز الفصول الأربعة (أدوار العالم)

http://tomvanbakel.punt.nl/?gr=779834

أعطى البابليون أهمية خاصة لأدوار العالم وطبيعة العالم والآلهة والإنسان فيها عبر الكثير من أساطيرهم ومدوناتهم التراثية الدينية والتنجيمية والفلكية . لكن الكتاب الغربيين (تبعهم الكتاب العرب في ذلك) نسبوا هذه الأدوار إلى اليونان وربما إلى الفكر الغربي المعاصر لكننا وضعناها هنا بالشواهد البابلية الدقيقة . وسنعود لهذا الموضوع في كتب أخرى لنناقشه موسعاً وشاملاً .

الأدوار الإيرانية

وضعت الديانة المزدكية أدوار العالم الثلاثة (الذهبي، الفضي، الحديدي) ورأت أن كل دور يدوم 3000 سنة وبذلك يكون عمر العالم 9000 سنة . بينما كانت الزروانية (وهي ديانة أخرى) قد وضعت أربعة أدوار للعالم (الذهبي، الفضي، النحاسي، الحديدي) وجعلت لكل دور3000 سنة وعمر العالم 12000 سنة، وقال الاثنان إن العالم سينتهي بكارثة كونية عن طريق النار والماء .

الأدوار الهندوسية والبوذية



http://www.2013.net/multidim/mayas/mayatime.htm

كان الهندوس يرون أن هناك أربع دورات كونية هي كما يلي :

1 . **دور اليوغا** : حيث كلمة يوغا تعني (عصر) وتتكون من (فجر يدوم 400 سنة، ويوغا تتراوح بين 1000-4000 سنة حسب موقعها كما سنرى، وغسق يستمر 400 سنة أيضاً .

2 . دورة مها يوغا التي تتكون من أربع يوغات وكما يلي :

الفجر الأول : 400 سنة .

كريتا يوغا : 4000 سنة .

الغسق الأول : 400 سنة .

ترتيا يوغا : 3000 سنة .

الغسق الثاني : 400 سنة .

دوا بارايوغا : 2000 سنة .

الغسق الثالث : 400 سنة .

كالي يوغا : 1000 سنة .

الغسق الرابع : 400 سنة .

وبهذا يكون عمر دورة المهايوغا 12000 سنة .

4 . دورة الـ (كالبا) التي تتكون من (1000 مها يوغا) تفصل بين كل مهايوغا وأخرى فترة تسمى (بارالايا) .

5 . دورة الـ (براهما) التي تتكون من (55 كالبا) تفصل بين كل كالبا وأخرى فترة تسمى (رانياروك) .

ولم تختلف البوذية عن الهندوسية إلا بالأسماء وعدد السنوات فقد كانت هناك الدورات الكونية الآتية :

1 . دورة اليوغا

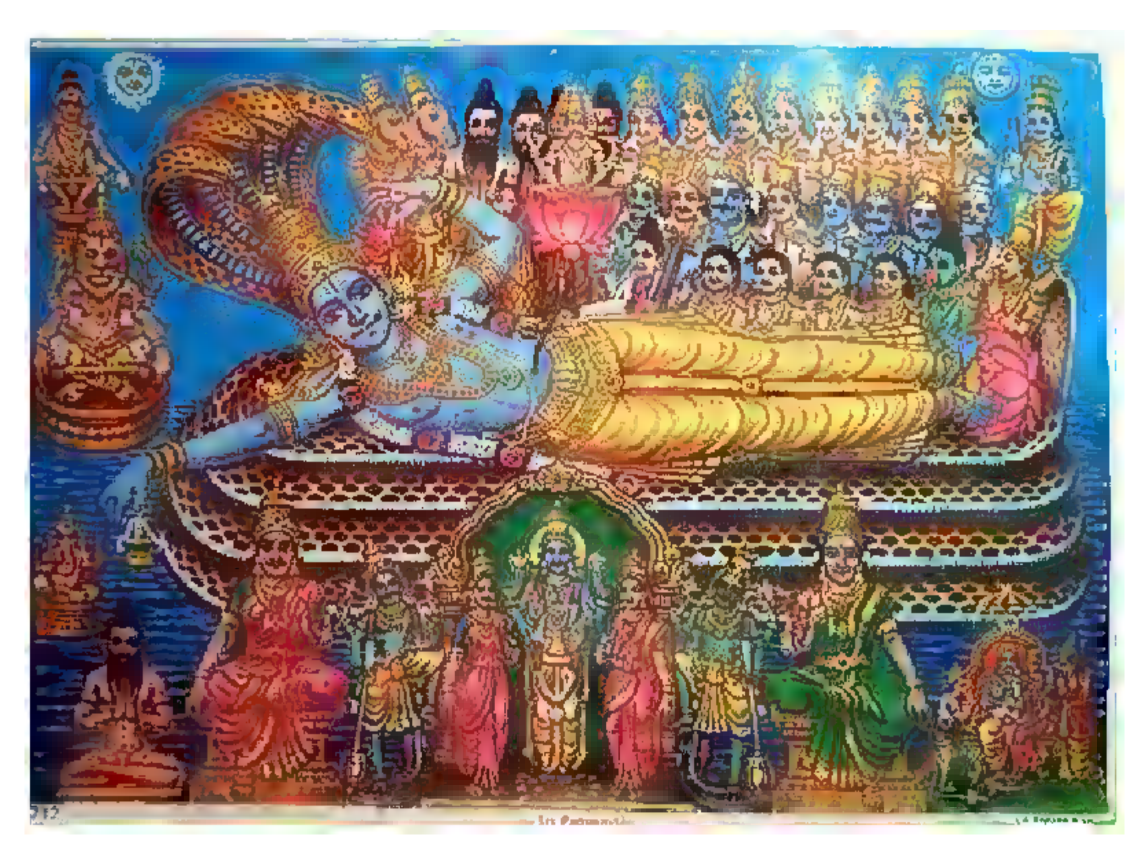
2 . دورة الـ (أسامخيا)

3 . دورة الـ (كالبا) أو (كابا) =4 اسامخيا

4 . دورة بوذي ساتوا = 100.000 كالبا

الأدوار الهندوسية والبوذية تقلل من قيمة بداية العالم أو الكون والزمن الكوسموغوني أو البدئي الأول لأنها تضع سلسلة طويلة من البدايات والنهايات بلا حدود، وهي بذلك لا تتفق مع العود الأبدي التكراري الذي كانت تلجأ إليه الديانات القديمة التي

تعتمد على النماذج البدئية . إنها بهذه الطريقة تريد أن تقول إن البدايات كثيرة والنهايات كثيرة، ولا بد من تحمل المسرى التاريخي باعتباره يوصل هذه البدايات والنهايات .



براهما الذي خلق نفسه بنفسه

http://killingdenouement.wordpress.com/2009/04/13/in-the-beginning-was-the-language-and-the-language-was-gravity/

إن مفهوم العصور الأربعة يأتينا بعنصر جديد : تفسير (وبالتالي تبرير) الكوارث التاريخية، والانحطاط التدريجي يُصيب الإنسان على جميع الأصعدة، بيولوجية واجتماعية، أخلاقية وروحية . الزمان، لمجرد أنه يدوم، يزداد سوءاً باستمرار الشرط الكوني، وضمناً باستمرار الشرط الإنساني . لمجرد أننا نعيش حالياً في الـ (كاليبوغا)، وبالتالي في عصر الظلمات، الذي يجري تحت علاقة التفكك وينتهي بكارثة، إنَّ قدرنا هو أنْ نتألم أكثر من إنسان (العصور السابقة) . (إلياد 1987:207) .

الأدوار العبرية

استقى العبريون أدوار العالم من أيام الخليقة السبعة الواردة في سفر التكوين عندما خلق الله العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، وهكذا رأوا أنَّ أدوار العالم هي سبعة، ففي الأدوار الستة الأولى يزداد تدريجياً دور الشيطان والشرّ، وفي الألفية السابعة يُسجن الشيطان في بدايتها وتعيش البشرية هذه الألفية براحة وسعادة لكنه في نهايتها يفلت من سجنه وينتصر فيفنى العالم . وعند بداية الألفية الثامنة يعاد خلق العالم ويبقى إلى الأبد خالداً . وخلال الألفيات الستة الأولى هناك كوارث قحط ومجاعة وأمراض وحروب .

في بداية الألفية السابعة يظهر المسيح المنتظر وهو الذي يسجن الشيطان لكن هذا الشيطان يعود ليخرب العالم ويُنهيه . ولكن نهاية العالم تقضي بانتهاء الخطاة والأشرار وظهور الموتى وانتصار (الأبد) على (التاريخ) .

وهكذا يكون (آخر الزمان) حاضراً على الدوام في ذهن المؤمن محفزاً إياه على الصمود، بل إنَّ آخر الزمان هذا يمكن أن يكون في الحاضر من خلال ولادة عدد أكبر من المؤمنين، وهو ما قامت عليه المسيحية فيما بعد، وبشرت به وهو ما سيكون طريقة للتغلب على التاريخ أو تأبيد التاريخ في الديانات التوحيدية الأربع .

الأدوار الإغريقية

كان الفلاسفة الأوائل قبل سقراط قد أشاروا إلى الأدوار الكونية في نظرياتهم الفلسفية مثل انكسمانس وانكسماندر وأنبيدوقلس الذي قال بالنار الكونية التي هي الشمس . ووضع الفيثاغوريون نظاماً كونياً صارت الشمس مركزه عند ارسطرخوس الفيثاغوري .

ومع أفلاطون اتضحت صورة أساطير الفردوس الأول والحريق الكوني الأخير . وكان أفلاطون منظّر النماذج البدئية والذي وضعها في هيكل شامل من المُثل . وكان يُرجع الكوارث الدورية إلى دورة الأجرام السماوية، ويرى في هذه الكوارث تطهيراً للإنسان والجنس البشري (كما في العقائد الإيرانية) .

لكن نظرية الأدوار الكونية أنضجها الفلكيون والفلاسفة الغنوصيون عند الإغريق وأخذها الرواقيون وطوّروها، وأصبحت أسطورة (الحريق الكوني) هي أسطورة العود الأبدي في شكلها الدوري .

وقد عرف الإغريق والهيلنستيون الأدوار الأربعة لخلق العالم، وكذلك عرفها الرومان فيما بعد .

أولاً - أسطورة العصور الأربعة :

يقسم تاريخ الإنسان في الأساطير الإغريقية إلى أربعة عصور، ظهر في كل عصر نوعٌ أو جيل من البشر يختلف عن الآخر، وكان يبدأ كلُّ عصر بزوجين مختلفين من البشر، وعصور الإنسان هذه بحسب الإغريق هي (العصر الذهبي، العصر الفضي، العصر النحاسي، العصر الحديدي) .

قبل العصر الذهبي بدأ خلق الإنسان الذي يبدو في المثولوجيا الإغريقية وكأنه منحدر من الآلهة، وفي رواية أخرى من الطين والماء وفي كلتا الحالتين فإن الإنسان يشبه الآلهة في كل شيء إلاّ خلودها .

ولنبدأ أولاً بخلق الإنسان بحسب الرواية الأولى من الآلهة :

لم تكن بداية خلق الإنسان سعيدة أو مريحة على ما يبدو اسم عصرها بل كانت شاقة ومليئة بالصعاب والتحديات .

عرفنا أنَّ الجبابرة التيتان آلهة الهواء المنتصرين هم الذين سادوا الكون، ويبدو أنَّ هناك فرعين أساسين منهما شكلا فيما بعد الآلهة والإنسان، فمن كرونوس (الهواء) ظهر زوس وهو كبير الآلهة فيما بعد، ومن يابت (الترابي) ستظهر سلالة الإنسان حيث تزوج يابت (أو جابت أو يابتوس) من كليمينيه إحدى الأوقيانيدات، ولنلاحظ اتحاد الماء والتراب وأنجبا أربعة أولاد كتب عليهم العذاب والويل من قبل زوس وهم :



كرونوس : اله الهواء والزمان

http://msgallardo.pbworks.com/The-Lightning-Thief

1 . أطلس الذي حمل الكون على كتفيه .

2 . مينويتيوس الذي سجن في مكان مظلم بعيد .

3 . برومثيوس الذي سينهش النسر كبده مقيداً لأنه سرق نار الآلهة . معنى اسمه (الفكر المتقدم) .

4 . أبيمثيوس الذي له علاقة بنسل الإنسان الرجل الذي ستسلط الآلهة عليه باندروا (حاملة كل الشرور) ومعنى اسم أبيمثيوس (الفكر المختلف) .

إنّ أبيمثيوس هو الرجل الأول أو (آدم الإغريقي) الذي خلق له زوس وآلهة الأولمب المرأة (حواء الإغريقية) والتي اسمها باندورا لكن هذه الرواية ضعيفة .





بروميثوس مقيداً ينهش كبده النسر أبيمثيوس وبندورا

http://www.theoi.com/Titan/TitanPrometheus.html
http://eliasastrologia.blogspot.com/2008_01_17_archive.html

الرواية أو الأسطورة الأكثر شيوعاً هي أنَّ الآلهة بعد أن نظمت الكون ودبرت أمور الخلائق . . . ظهرت الحاجة على خلق كائن أسمى من الحيوان يشبه الآلهة في شكله .

أُعطي برومثيوس هذه المهمة وأخذ من تراب الأرض وعجنه بالماء وصنع الإنسان على صورة الآلهة، بعكس الحيوانات، قامة منتصبة . وكان يساعده في هذه المهمة الإله إبيميثيوس (ويعني اسمه الفكر المختلف)، وكانت الحيوانات قد خلقت بفعل منحها مختلف الصفات والأعضاء بها فلما جاء دور الإنسان فكر إبيمثيوس (الذي يمنح هذه الموارد والصفات بعد أن نفدت) أن يستعين بأخيه خالق الإنسان برومثيوس ليمنحه شيئاً مميزاً، فقام برومثيوس بمساعدة أثينا، بالصعود ليميزه عن جميع الحيوانات، ويستطيع بها أن يصنع أسلحة يُخضع بها الحيوانات إلى سلطانه، فكانت (النار السماوية) هي هدية برومثيوس للإنسان . ولذلك عاقب زوس برومثيوس .

لكن هناك تفصيلاً آخر حول هذا العقاب يقول إن برومثيوس اقتسم ثوراً كان أضحية لزوس بطريقة أغضبت زوس، فقد قسّمه إلى قسمين الأول من جلده ولحمه وأحشائه والثاني من عظامه دون لحم مغلفة بدهنة بيضاء، فاختار زوس الدهنة البيضاء

وفوجئ بالعظام، وحدها بينما ذهبت الحصة الأخرى إلى البشر فقرر زوس معاقبة بروميثيوس والبشر، وذلك بحرمانهم من النار، فما كان من بروميثيوس إلا الصعود إلى السماء واقتباس قبس النار من عجلة الشمس وتقديمه للإنسان .

قرر زوس معاقبة بروميثيوس والإنسان، أمّا بروميثيوس فقد قيّده على جبل القوقاز بقيود من الفولاذ، وجاء بنسر أشيرنا ليأكل كبده الذي كان يتكون من جديد، واستمر العذاب طويلاً حتى حرّر هرقل بروميثيوس من عذابه حين كان يبحث عن تفاحات الهسبريد، لكن زوس كان قد أقسم بنهر الستيكس الجحيمي، وهكذا حمل بروميثيوس خاتماً من الفولاذ ترصعه حجرة من الجبل (ترميزا للقيد والجبل) ليبقى قسم زوس قائماً .

قرر أن يعاقب زوس الإنسان من خلال أبيمثيوس، فقام زوس في الأولمب بصنع المرأة فقد منحها هيفايستوس ومنحتها (أثينا) الحكمة وأفروديت الجمال وهرمس الكذب ورأس القوة وغيرهم وسميت باندورا (أي التي تملك جميع المواهب)، وهكذا قدمها زوس إلى أبيميثوس الذي نسي نصيحة شقيقه بأن لا يقبل أي هدية من زوس . وهبط بها إلى الأرض فوجدت باندورا جرة أو صندوقاً حملها فضولها على فتحها فخرجت منها الشرور وتفرقت بين البشر فخافت باندورا وردت الغطاء إلى الجرّة، فلم يبق في قاعها إلا الأمل الذي يظل هو السبيل لدحر الشرور كلها، وفي رواية أخرى تقول إن هذه الجرة كانت تحتوي على الفضائل التي هربت وانتشرت بين الناس وسادت ولم يبق إلا الأمل في قاع الجرّة .



باندورا تفتح صندوق الشرور أمام إبيمثيوس

http://www.mlahanas.de/Greeks/Mythology/Pandora.html

في الحالين فإن باندورا هذه لا نعرف عنها شيئاً . . هل تزوجت الإنسان الأول (الذي نجهل عنه شيئاً) أم أنها جلبت له الشرور أو الفضائل؟ ولا تسعفنا المثولوجيا الإغريقية في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، وقد أنجبت باندورا من أبيمثيوس ابنة اسمها (بيرا) ستتزوج ابن برومثيوس (ديوكاليون) وتحيلنا أسطورة خلق الإنسان السابقة إلى استنتاج مؤداه أنَّ الرجل تم خلقه على يد زيوس وأبيمثيوس، بينما المرأة قد خلقت من قبل آلهة الأولمب الذين هم أرفع درجة من سابقيهم، وفيما منح الرجل النار امتلكت المرأة الشرور ونشرتها بين البشر . وتعكس هذه الأسطورة تصور الإغريق عن المرأة والرجل وخصال كلٍّ منهما .

1 . العصر الذهبي :

هو أول عصور البشرية، حيث بدأ الآلهة بتعليم البشر ومعهم بعض الجبابرة (التيتان) وغيرهم، وهؤلاء من نسميهم بالحكماء القدماء الذين قدموا للإنسان نواميس الحضارة، ونسميهم في السومرية (أبكالوا)، فإذا كان برومثيوس قد قدّم النار له فإن ديمتر أعطته الزراعة وأثينا شجرة الزيتون والأشغال اليدوية النسائية ويدونسيوس الخمر وهرمس المقاييس والأعداد والأوزان والكتابة وأبولو الموسيقى والشعر .



هرمس واهب المقاييس للإنسان

http://www.jmvl.nl/grieksegoden/hermes.htm

أما أنصاف الآلهة وربما الجبابرة الآخرون فهم :

بيلاسج وليكاون وكريتبوليم الذي علّم الناس استثمار الأرض، والأثيني أرخثيون مخترع التنقل على العجلات ومباريات الخيل، وبرومثيوس الذي يعتبر أكثر الجبابرة فضلاً على الإنسان، فهو بالإضافة إلى النار قدم للبشرية المعارف والعلوم وعلمهم تربية الماشية واستثمار الأرض وبناء المراكب والملاحة البحرية ومعالجة المعادن والحساب والكتابة والطب والعلاج . (توكاريف 1998:425) .

وكان الإنسان سعيداً بقربه من الآلهة ولم تكن هناك قوانين أو شرائع تلزم الإنسان بما يفعله، بل كان ضميره هو الأساس، وكانت أعمار الناس طويلة فإذا جاءهم الموت كان أشبه بالحلم الرقيق . ولم يكن إله الزمان الأبدي . وانتهى هذا الزمان أو العصر بعد أن قاد زوس ثورة عارمة على أبيه وانفرد هو بحكم العالم .

2 . العصر الفضي :

خلق زوس البشر من جديد بعد أن تحطم العالم القديم ومن معه من البشر، يبدأ العصر الفضي من ثورة زوس ونفي كرونوس إلى ظلام التارتاروس وبدء اضطراب موازين العالم والقيم، فقد انحسرت السعادة نسبياً وقصر الربيع واضطرب الخريف "ولم يكن أبناء هذا العهد بالأتقياء فقد استعلوا على الآلهة الخالدين وكفّوا عن إكرامهم بتقديم القرابين فوق المذابح، فاستأصل زوس العظيم شأفتهم عن الأرض إذ غضب عليهم لأنهم عصوا آلهة الأولمب المشرق وحشرهم في ظلمات العالم السفلي، حيث يعيشون بعيدين عن المسرات والأحزان . والناس يجلّونهم أيما إجلال" (حاتم 1988:150) .

وانتقل الإنسان من عيشه الحرّ في الطبيعة والكهوف إلى المنازل واضطر الإنسان لتعلم الزراعة وبذر الحبوب والحصاد واستعمال المحراث وغيرها .



الإله زوس

http://cupublogs.blogspot.com/2010/06/zeus-god-of-gods.html

3 . العصر النحاسي :

بعد كارثة النفي إلى العالم الأسفل التي تعرض لها البشر إلى الموت خلق زوس العصر النحاسي (الثالث)، ولا شكّ أنَّ هناك انثروبوغونيا جديدة خلق فيها زوس الإنسان من (سنان رمح)، ولذلك ظهروا أقوياء أشداء يحبون الحروب والفواجع .

كان بشر العصر النحاسي خشنين وغير متحضرين، فلم يعرفوا الزراعة ولم يتذوقوا ثمار الحقول والبساتين، وكانوا طويلاً يستعملون معدن النحاس لصناعة الأسلحة والأدوات وبناء البيوت، ودبت الخلافات بينهم حتى أبادوا بعضهم وساد الظلم والقهر الأرض واستبد الإنسان النحاسي وطغى .

أثار (ليكاونوس) ملك ليكوسورا في أركاديا غضب الإله زوس في نهاية هذا العصر، فقد نزل زوس من الأولمب متنكراً بهيئة رجل، لكنه ترك علامة دالة عليه فهبَّ أهل ليكوسورا لتقديم آيات الإجلال له إلا الملك ليكاونوس، فقد رفض قدوم زوس وتكريمه وسخر منه، حيث قدم له في قصره وليمةً هي عبارة عن لحم أسير من البشر،

فلما عرف زوس بذلك زمجر وأرعد وضرب ليكاونوس بصاعقة مسخته إلى ذئب هائج . واستمر الناس بعدم احترامهم للآلهة فقرر زوس أن يبيدهم .

أسطورة الطوفان الإغريقية :

كان زوس قد قرر فناء البشر من طريق الطوفان، فقد حشد الغيوم وأطلق عليها ريح الجنوب الرطبة فهطلت الأمطار دون انقطاع، ازدادت مياه البحار والأنهار وفاضت فأغرقت المدن ووصلت إلى أعالي الأبراج العالية فغرق الناس وماتوا .

ولم تبق إلا قمة جبل برناس ذي الرأسين، ويبدو أن هناك إلهين (تصفهما الأساطير على أنهما من البشر) هما ديوكاليون ابن برومثيوس وزوجته بيرا، فقد أوحى برومثيوس إلى ولده ديوكاليون ليصنع صندوقاً كبيراً من الخشب ويصنع به طعاماً وشراباً كثيراً، ثم يدخل فيه هو وزوجته فيُنقذ من الطوفان . وفعل ديوكاليون ذلك وطفا الصندوق فوق أمواج المياه التي غمرت الأرض كلّها مدة تسعة أيام، ثم اندفع الصندوق نحو برناس ذي الرأسين فخرج ديوكاليون وزوجته من الصندوق إلى قمة الجبل، وقدّما قرباناً لزوس فارتاح لذلك وأوقف الطوفان وانحسرت المياه عن اليابسة وانكشفت الأرض خالية من كل حيّ .

أرسل زوس ولده هرمس إلى ديوكالين لينفذ له رغبةً جزاء قربانه ورضاه عنه ب ديوكاليون أن تعمّر الأرض بالبشر، وتعود ثانية لسالف عهدها، ويثبت لنا هذا أنَّ ديوكاليون وبرا ليسا من البشر بل هما إلهان راعيان للبشر مثل والد ديوكاليون برومثيوس .

استجاب زوس لرغبة ديوكاليون وزوجته فأمرهما أن يجمعا أحجاراً كثيرة وأن يرمياها من خلف أكتافهما دون أن يلتفتا إليها . فرمى ديوكاليون أحجاره وما كادت تمسّ الأرض حتى تحولت إلى رجال، أما أحجار بيرا فقد تحولت إلى نساء، وهكذا ظهر بشرٌ جدد على وجه الأرض من الحجارة وبدأ بذلك العصر الحديدي .



ديوكاليون وبيرا

http://etc.usf.edu/clipart/21000/21000/deucalionpyr_21000.htm

إنَّ هذه الأسطورة تثبت لنا أنَّ نسل البشر بعد الطوفان لم يأتِ من ديوكاليون وبيرا بل أتى من الحجارة التي رمياها خلفهما، وهذا يؤكد أنَّ ديوكاليون وبيرا هما من الآلهة، وأنهما أعادا الجنس البشري الموجود من طريق مشاركتهما لمصير البشر في الطوفان ومن طريق قربانهما وأحجارهما . وهذا يخالف أساطير سومر وبابل التي هي أصل أساطير الطوفان في العالم القديم رغم وجود بعض أوجه التشابه البسيطة .

4 . العصر الحديدي :

العهد الرابع والأخير (الذي نحن فيه) وهو عصر حزينٌ للإنسان، فقد غرق فيه الإنسان في العمل والجهد الشاق وحلّت به المصائب والأحزان المرسلة من الآلهة أكثر من الأفراح والخيرات، وانسحبت بعض الآلهة من الأرض نحو مقراتها في جبل الأولمب مثل إلهات العدالة والضمير، فتخبط الناس في الظلم والشرور والمحن والرزايا، وزال

احترام الأبناء للآباء، وزال الوفاء بين الأصدقاء والأشقاء والأزواج ومال الإنسان للغش والجشع .

أبطال الإغريق :

الحقيقة أننا في الطريق إلى تناول عصور البطولة الإغريقية في العصرين البرونزي والحديدي فهناك عدة أجيال من أبطال الإغريق تناقشها المراجع المختصة باستفاضة، لكننا ندرك أيضاً أنَّ هذا يقع في إطار ملاحم وقصص الإغريق أكثر من وقوعه في الأساطير والمثولوجيا، ومنها (ملحمة الإلياذة، ملحمة الأوديسة، سفينة الأرجوس، المسرحيات الإغريقية، قصص الأبطال . . إلخ) كل هذه المحطات مراجع لأبطال الإغريق الذين يشكلون امتداداً لآلهة الإغريق، خصوصاً أنَّ الحاجز بين الآلهة والأبطال رقيق جداً وأن أغلب هؤلاء الأبطال يتحدر من أصل إلهي .

ثانيًا - أسطورة أدوار العالم :

لم يمرّ البشر وحدهم بأربعة عصور كان كل عصر بمثابة تجديد الخلق، رغم أنَّ صفاته كانت في انحدار متواصل . فقد مرّ الكون والآلهة والبشر في عصور متساوقة، وقد رسمت لنا المثولوجيا عند أغلب الأمم أدوار العالم الأربعة التي أعطتنا ما يشبه التاريخ المثولوجي الكوني للعالم بما فيه من البشر والأشياء والآلهة .

وسنحاول جمع ما يدل على هذه الأدوار التي سنختار لها أسماء الفصول لأن الفصول تمثل دورات متكاملة متكررة في تاريخ الكون . وسنركز على الأساطير الإغريقية ونعود إلى مقارنتها بعصور الإنسان التي أتينا عليها .

1 . أساطير الربيع :

هي أساطير خليقة الكون والآلهة والإنسان، أي أنها أساطير التكوين (Gensis) التي ذكرناها تفصيلياً . وتسود أساطير الربيع ظهور العنصر الأنثوي في الكون والآلهة

والإنسان وطغيانه على العنصر الذكري . ففي الآلهة تظهر الإلهة الأم ثم (ريا) ثم (هيرا) وآلهات الأمومة والأرض، وهنّ سبب ربيع العالم تظهر في البشر (بندورا) دون غيرها صانعة الجنس البشري وهدية زوس إلى الإنسان .



ريّا : الإلهة الإغريقية الأم

http://www.squidoo.com/symbols-of-motherhood

ويمكن ضمّ التكوين الأورفي لهذه المجموعة حيث يخرج العالم من بيضة .

وتشمل أساطير الربيع بداية ظهور البطل الإلهي والبشري، فقد ظهر كرونوس ثم زوس في الآلهة، وظهر هرقل بصفاته البشرية الإلهية، وقام بتلك الأعمال العظيمة وأسس للإنسان جذراً قوياً في البطولة وتسفيه الحاكم الغبي وإنقاذ الحضارة من جوره، ثم تأتي المرحلة الأخرى من البطولة وهي مرحلة التسلل وسرقة نواميس الحضارة من الآلهة وإعطائها للإنسان مثلما فعل ذلك بروميثيوس الذي سرق النار السماوية التي كانت حكراً على الآلهة في جبل الأولمب، وبهذه الطريقة أو بطرائق أخرى قام آلهة آخرون بوضع النواميس والمنجزات في يد الإنسان .

2 . أساطير الصيف :

ترمز الشمس للبطل الذكر، ولذلك يصعد مقام زوس معبراً عن الذكر الهوائي ثم يسيطر على الطبيعة والشمس، ويكمل دورته في أبولو ابنه الذي ظهر وكأنه إله الشمس والضوء وإله الحضارة .

وتتحول غريزة هتك الأنوثة ونشدان البطل الإلهي والبشري للاتصال بأكبر عدد ممكن من النساء ظاهرة بيّنة في هذه المرحلة الصيفية من حياة الكون ويتهمش تدريجياً دور الإلهة الأم ويجلجل البطل الذكري ويتزوج من الإلهة الأم ويهملها مثلما حصل مع زوس وديوني وهيرا .

ينظر إلى الإلهات والأمهات، في مختلف أنحاء العالم، نظرة يكتنفها الالتباس أو التناقض :

فهنّ معاً واهبات للحياة وسالبات لها، وتجسيدات للأرض، وخالقات للحيوانات والنباتات وإلهات للحب والزواج والأمومة، وهن يظهرن مع بعض هذه الصفات، أو كلها، تحت أسماء عدّة : كالي، أفروديت، ديمتر، ارتميس اليونان)، سيبيسلا وفينوس (روما) إيزيس (مصر)، ما (الأناضول) فريا (اسكندنافيا) وتراوح طقوسهن بين المحتشمة والعربيدية المتهتكة . (النيهوم91:1979-92)

والحقيقة أنّ صعود البطل الذكر يبدأ من طبيعته الهوائية، في الغالب، لكن هذه الطبيعة لا تكتمل إلا بانتصاره الشمسي وأخذه صفات الشمس إضافة على الصفات الطقسية الهوائية .



أرتميس أبولو

http://karenswhimsy.com/greek-gods-goddesses.shtm

ويتضح هذا في أفضل صورته عند زوس لكنه يصل إلى الذروة في أبولو الذي يمثل الهواء والشمس والضوء في أفضل صورهما .

ومع الآلهة الأبطال يصعد البشر الأبطال ويرتبطون بالشمس أيضاً، فهذا هو بيرسيوس وهذا هرقل هؤلاء أبطال الإلياذة، وهذا هو أوديسيوس (عوليس) بطل الأوديسة، وتظهر الملاحم الكبرى وقصص الأبطال .

3 . أساطير الخريف :

تمتاز أساطير الخريف بموت الإله أو البطل . ونزوله المؤقت أو الدائمي إلى العالم الأسفل وعودته منه أحياناً، وتظهر الإلهة الأنثى الأم بصورتها المدمرة والقاسية بعد أن جمعت الأمومة والخصب من الربيع والعذرية والقسوة من الصيف، وتتعرض الأرض للموت والخصب للتذبذب والكائنات لنوع من الذبول والأفول .

ولعل أفضل الأساطير المعبرة عن أساطير الخريف الإغريقية هي أسطورة ديمتر وبحثها عن أبنتها كوري (برسفوني) وهبوط ديمتر من الأولمب إلى الأرض وهبوط

كوري إلى العالم الأسفل وزواجها من هاديس وجعل ثلث السنة ينوء بالقحط بسبب نزول الإلهة إلى هناك .



بيرسفوني هاديس

http://gogreece.about.com/cs/mythology/l/blhadespicture.htm

ولا شك فيأنَّ موت ديونسيوس وأرفيوس ونزولهما إلى العالم الأسفل يمثل أيضاً أساطير الخريف في العقائد السرية . ومن أساطير الخريف هذه نشأت فكرة تطهير النفس وتخلصها من الجسد المدنس ووجود شفيع لها في العالم الأسفل هو الإله المقتول .

أمّا الجانب التدميري للإلهة الأم فيظهر في الكثير من الأساطير منها أسطورة أرتميس واكيتون الذي تسلل إلى كهفها ووقع نظره على جسدها فحولته إلى طريدة ثم مزقته كلابها، وهكذا ظهرت أرتميس بصفتها (الأم/ العذراء) أو (الأنثى/ الذكر) تمثل (الرغبة/ القسوة) وتبدو مثل امرأة مسترجلة وتحول رغبة رجل إلى سبب لموته فتحوله إلى أيل ممزق يكون رمزاً لطقس التضحية من أجل تأمين الحصار القادم .

في أساطير الخريف يظهر الموت خطافاً وليس أبدياً، ولذلك تظهر أساطير تفسير الدورات القصيرة مثل شروق الشمس وغروبها والغياب القصير للقمر في نهاية الشهر

ودورات الفصول . . إلخ .

ليس عجباً أن يكون الموت، هو سرّ الحياة النهائي، موضوعاً تعالجه جميع الأساطير . فهي كلها تنظر إليه دائماً كدخيل لم يكن موجوداً في البدء، حين كان الناس يجددون حياتهم مرةً بعد مرة . كما تتجدد جلود الأفاعي وأوجه القمر . كذلك يقع الموت فيها إما خطأ وإما اقتصاصاً وإما نتيجة لاتفاقٍ بين فريقين . (النيهوم 1979:97)

أما البشر فيظهر الغضب الإلهي عليهم صاعقاً، ولذلك يمارسون الموت هم أيضاً، ولكنه ليس موتاً أبدياً فتنزلُ عليهم لعنة الطوفان وتوشك أن تبيدهم، لكن الأخيار الحكماء هم الذين ينقذون وبهم يُنقذ الجنس البشري . مثلما حصل مع ديوكاليون وبيرا وظهور نسل جديد من البشر من الأحجار .

الأبطال إذن يتحولون إلى حكماء، فتظهر بطولة العقل لا بطولة الجسد، وتدفع بطولة العقل إلى ظهور الفلسفة والفلاسفة وإلى تنامي هاجس الغنوص وعقائد الخلاص .

4 . أساطير الشتاء :

هي أساطير الموت النهائي، وربما توضع أسطورة الطوفان في هذا العصر، ولكن عالم ما بعد الموت هو أساس هذه الأساطير، ولذلك يظهر علم الاسكاتولوجيا مناسباً لوصف أساطير الشتاء . والاسكاتولوجيا هو علم الموت وما بعده ودورات الفناء والنهاية .

وتشكل حتمية الموت وصفاً صحيحاً لجوهر هذه الأساطير، ولعل أسطورة أورفيوس ونزوله إلى العالم الأسفل وبحثه عن حبيبته يوريديكي ومحاولة استعادتها من عالم الموت دون جدوى .



أورفيوس يفقد يوريديكي

http://blogimages.bloggen.be/carloclaes/578143-b2e07362675cd3c507f51c1802230cc7.jpg

هذه الأسطورة تمثل هذه الفترة،ولكن وصف عالم الموت وأفراده ينفع كثيراً في تصور أساطير الشتاء، ويصطدم الآلهة بالقوانين الصارمة لعالم الموت، وكذلك يصطدم البشر، فرغم محاولات الإنسان حصوله على الخلود أو الخلاص من عالم الموت فإن ذلك لا يتحقق إيجابياً بل رمزياً، حيث تكون الرموز هي ما ينتج من هذه المحاولات، أمّا الموت فيبقى حتمياً .

وهكذا يتساقط العالم والآلهة والإنسان في عالم الموت، ثم تتخلص الآلهة إما بشروط تمس عصمتها وإما بثلمٍ لا يليق بها . أما العالم فيتجدد ويتنشط بعد الموت وتكون النهاية مصير الإنسان الحتمي .

ولهذا السبب تنشأ طقوس التفكير والتطهير في محاولة لتفادي نتائج الموت قبل حلولها . مثلما تستعاد أساطير الخليقة في احتفالات شعائرية مفرحة .

ولا شك في أنَّ هناك تناغماً بين أدوار الإنسان وأدوار العالم لاحظناه من خلال شرحنا الموجز لها عبر مثولوجيا الأدوار هذه، والتي تشكل الإطار المنظم لأساطير الآلهة وملاحم وقصص البشر على السواء .

الأدوار الرومانية

1 . خلق الكون

اختفت أساطير الخليقة الرومانية القديمة يوم كانت الأرواح والآلهة المحلية في روما وما يجاورها هي المنظومة الثيولوجية الكبرى لمدينة في طريقها إلى التفتح والنضج وتكوين دولة قوية . وجاء هذا الاختفاء بسبب ضغط الأساطير الإغريقية التي كانت في طريقها إلى الرومنة والتهام التراث الميثولوجي الأصيل لروما .

ولذلك فنحن اليوم وجهاً لوجه أمام أساطير الخليقة الرومانية الإغريقية الأصل التي وضعها كتاب وشعراء رومان كبار مثل أوفيد في كتابيه (مسخ الكائنات) و (فن الهوى) .

وعلينا أن نثبت رأياً جديداً مفاده أنَّ أساطير الإغريق وأساطير الرومان، كلها، عبارة عن نسخة مزيفة صنعها شعراء وأدباء من نسخ أصلية غابت مع غياب الكهنة ورجال الدين الذين كانوا يحفظونها عن ظهر الغيب باعتبارها إرثاً مقدساً . بمعنى أنَّ هوميروس وهسيود الإغريقيين وأوفيد وفرجيل الرومانيين هم الذين أعادوا صياغة كتابة الأساطير الإغريقية والرومانية بلغة الشعر والأدب عن أصول غربت وكانت تحتفظ بالبراءة والطزاجة الأصلية للأساطير . فعلى سبيل المثال عثر على أساطير سومر وبابل في رقم ومدونات طينية أصلية وردت فيها تلك النصوص، كتبها الكهنة وحافظوا على دقتها التي وردت بها تلك النصوص المقدسة . أما أساطير اليونان والرومان فقد جمعها وأعاد صياغتها الأدباء والشعراء ولم يحافظوا على دقتها وبكوريتها، بل قدموها بالصيغة التي يريدون، أي أنهم عبثوا بأصولها حتى وإن كانت شفاهية . وربما يكون هذا هو

السبب خصوصاً بالنسبة لليونان لأنَّ الكتابة في اليونان ظهرت متأخرة ربما بعد هوميروس .

وفي جميع الأحوال سنقدم عرضاً لأساطير الخليقة الرومانية من أصول يونانية، اعتماداً على كتاب مسخ الكائنات (ميتامورفوسس) للشاعر الروماني أوفيد بالدرجة الأساس .

2 . خلق الجيل الأول من البشر

تتحدث أساطير الخليقة الرومانية الإغريقية عن خلق الكون والعالم ثم عن خلق ثلاثة أجيال من البشر، تزداد شرور الأول بعد حلول العصر الحديدي ثم ينشأ الثاني من دم العمالقة، ثم يسلط جوبتر عليهما الطوفان وينقذ (بيرا ودوكاليون) اللذين يكونان الجيل الثالث من البشر . ولنبدأ من الخطوات الأولى لخلق الكون والجيل الأول من البشر .

1 . يحدثنا أوفيد في (مسخ الكائنات) عن صورة الكون الهيولية الأولى حيث العمى الذي"يلف العالم كله بروائه ولا يستبين منه غير شكل واحد لا سواه، فكان كتلة مضطربة لا شكل لها، جماداً لا حياة منها، أو جملة من بذور مختلفة لعناصر الأشياء، ليس ثمة بينها صلة ولا رابطة فلم تكن شمس (تيتان) يفيض نورها على العالم، كما لم يكن ثم قمر (فيبي) له مع كل يوم وجه جديد، يكمل ثم يعود ناقصاً كما بدأ . ولم تكن الأرض بعد قد ضمها الفضاء تتهاوي فيه بثقلها، كما لم تكن المياه (أمفتريتي) قد بسطت ذراعيها على شطآن البر، فلقد كانت الأرض والبحر والفضاء كلها ممتزجة لا انفصام بينها . وكانت الأرض تعوزها الصلابة والبحر تعوزه السيولة، كما كان الفضاء في عوز إلى الأضواء . لم يكن ثمة شيء له شكل مميز، وكانت هذه العناصر رغم اختلافها لا تنافر بينها . ثم إنها مع كونها كتلة واحدة كان ثمة صراع بين الحرارة والبرودة، وبين التوميد والجفاف، وبين الليونة واليبس، وبين الخفة والثقل" . (انظر أوفيد 1984) .

2 . في مثل هذا الجو السديمي يظهر الإله (أو الطبيعة الأكثر طواعية)، وهو أشبه بالروح الذي سيفصل بين الكتل الكبيرة المتضادة، ولا تسمي الميثولوجيا الرومانية هذا الإله ولا تعدده في فترة الخليقة هذه، فهو يعمل على فصل السماء عن الأرض والأرض عن المياه والهواء الكثيف من الأثير الشفيف . ويزرع بين هذه التلال السلام والوئام (عكس ما كانت عليه)، ويجعل الماء محيطاً بكل شيء في الوجود وبضمنها الأرض .

3 . يعمل الإله على جعل الأرض كروية ويقسم فيها المياه إلى (أنهار وبحيرات وبحار وينابيع ومستنقعات، ويبسط الوديان ويعلي الجبال، ويقسم السماء إلى خمس مناطق وكذلك الأرض وجعل المناطق الوسطى تقليمها لا حياة فيها لشدة قيضها، والثلوج تغطي منطقتين منها أو ما بينهما فتستمتعان بمناخ البرودة والحرارة .

4 . خلق الإله الهواء والنار والضباب والسحاب والرعد والرياح الأربع (الشرقية،إيوروس،النسيم : زوفيروس، الأفعى : بورياس، الممطرة : أوستير) وخلق الأثير ثم خلق الكواكب وجعلها تتألق في السماء وتجري في رعاية آلهة مجسدة .

5 . ظهرت الأسماك في المياه والوحوش على الأرض والطيور في الهواء .

6 . خلق الإنسان : قام برومثيوس بن يابيتوس فقبض قبضة من تراب الأرض وعجنها بماء المطر وسواها إنساناً على صورة الآلهة مشرئباً بوجهه إلى السماء تشد بصره الكواكب، ومرّ الإنسان بأربعة عصور :

أسطورة العصور الأربعة :

أ . **العصر الذهبي** : ويبدأ من بداية خلق الإنسان وتكاثر البشرية القائمة على الإيمان العميق والمبادئ السامية، فلم يشرع للبشر قانون يلزمه حدوده أو يخافون عقابه، وعاشوا ليس لهم وازع غير الضمير، فلا قضاة يفصلون بينهم ولا حكام يجازونهم، إذ لم يكن ثمة نزاع أو عدوان، وكان الناس حيث هم : لا هجرة ولا نزوح عن أرضهم . كان الناس آمنين لا تفزعهم الحروب ولا

هم في حاجة إلى جيوش تدفع عنهم شر المعتدين، والناس لا يعملون، يأتيهم رزقهم من بلوط جوبتر الممتدة فروعه حيث يعتقد الناس أنَّ الشهد قطرات ندى تسقط من السماء ثم يجمعها النحل من ورق شجر البلوط الذي كان مكرساً لجوبتر، ويأتيهم أيضاً من الثمار والتوت والأعناب . وكان فصل واحد هو الربيع الذي ساد الأعوام كلّها فلا برد ولا مطر، حيث فاضت الأنهار لبناً ونكتاراً (شراب الآلهة) وسالت الأشجار شهداً ذهبي اللون .

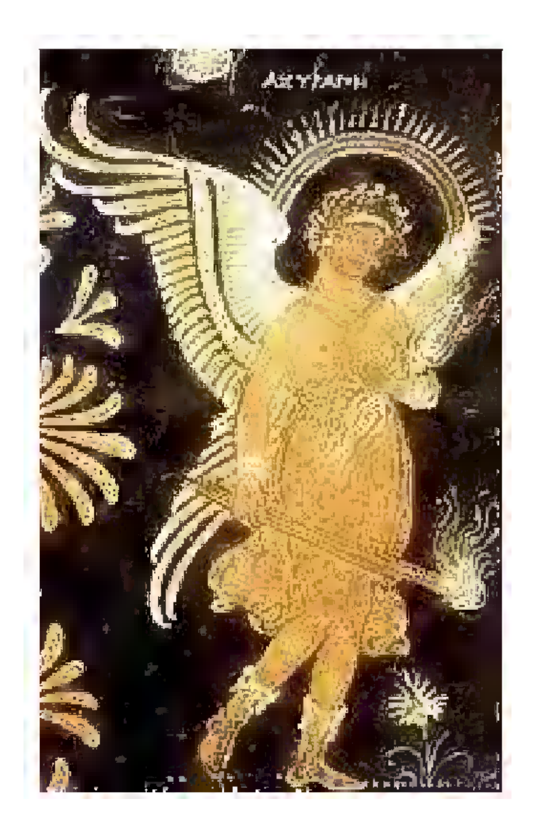
ب . **العصر الفضي** : يبدأ العصر الفضي عندما وقع الإله ساتورن (المقابل لكرونوس الإغريقي أما ساتورن الروماني الأصلي فلا علاقة له بذلك) أسيراً بيد جوبتر (زوس الإغريقي) فألقى به في ظلام تارتاروس وانفرد هو بحكم العالم، وقام باختصار الربيع وقسم فصول السنة إلى أربعة هي : الشتاء والصيف والخريف المتقلب والربيع القصير الأمد . وجعل الهواء بنيّاً بارداً وحاراً، وظهرت الثلوج بين الأعاصير العاتية، وأخذ الناس يبحثون عن مأوى يقيهم المطر فلجأوا إلى الكهوف والأدغال . ومضى الناس يكدون في فلح الأرض وحرثها، ويبذرون فيها حبوب الحنطة التي جادت بها عليهم سيريس (ديمتر الإغريقية) وأخذت الثيران تئن تحت المحاريث .



ساتورن تارتاروس

ج . **العصر البرونزي** : انهارت القيم بين الناس وطبعوا على القسوة فاستسلموا للمنازعات وشاعت بينهم الخصومات، لكن الشر لم يغلبهم تماماً .

د . **العصر الحديدي** : استمر انحدار القيم فظهرت الجرائم في أبشع صورها وغاب الحق وسادت الغطرسة والخيانة والطمع والخداع وتفشت القسوة، وتجزأت الأرض وراء حدود وظهرت السفن وعمليات التعدين والحديد بالذات، ثم اتبعوه بالذهب اللذين كانا عوناً لهم على الحرب والقتال، ووصل الناس إلى مملكة الظلال قرب نهر ستيكس، أصبح الناس يتآمرون على بعضهم فحلّ العقوق بالوالدين ودس السمّ بين زوجات الآباء لأبناء أزواجهن، وخرج الناس على طاعة آلهتهم، فعم الأرض البلاء وسالت الدماء، فهجرتها أستريا إلهة العدالة (ابنة زوس وثيمس) وكانت آخر من كان على الأرض من أرباب السماء .



أستريا

http://www.nissaba.nl/godinnen/astraea.php

3 . خلق الجيل الثاني من البشر

كان العمالقة (أبناء جبابرة الأرض الذين أنجبتهم من الدم الذي نثر من جرح أورانوس – السماء – الذي ألحقه به ابنه كرونوس) ويسمون الجيجانت (Gigantes) الذين يسمون البناؤين، وهم محتجزون في أعماق الأرض، خرج هؤلاء العمالقة من أعماق الأرض وأرادوا الانتقام من جوبتر الذي سجنهم، فوضعوا الجبال واحداً فوق الآخر حتى يصلوا إلى النجوم .





أحد الجيجانت وإلهة الأرض جيا جوبتر

http://www.theoi.com/Gallery/T1.5.html
http://www.beaconhillacademy.org/lessons/religion/Jupiter.jpg

بعد ذاك أرسل جوبتر عليهم صواعقه فتداعى جبل الأولمب، وتزحزح جبل بيليون من فوق جبل بيليون، وإذا تحت ذلك الركام الهائل جثث العمالقة هامدة، وإذا الأرض قد غطيت صفحتها بدماء هؤلاء العمالقة .

ولكي تبقى الحياة متصلة قيل إن الأرض قد نفثت من روحها في هذا الدم الدافئ فكانت مخلوقات لها سمات البشر عمرت الأرض من جديد . غير أنه سرعان ما خالف هؤلاء أمر الآلهة فثارت فيهم ثائرة ذلك الدم المسفوح الذي خلقتهم الأرض منه، فغلظت قلوبهم واعتدى بعضهم على بعض .

4 . الطوفان

غضب جوبتر لما حصل بالأرض فيدعو الآلهة إلى مجلسه ويبلغهم خشيته من أن يقوم البشر بما قام به العمالقة فيتجاسرون على الآلهة وعلى السماء، وتحدث لهم عن عقابه لطاغية أركاديا (ليكاوون) الذي تجاسر عليه فمسخه جوبتر ذئباً، ثم قرر جوبتر أن يفني البشر من على وجه الأرض فانقسم الآلهة بين معارض ومتفق وصامت، لكن جوبتر أخبرهم أنَّ الأرض لن تهجر لأنه سيخلق نوعاً آخرَ من البشر، وهكذا اتخذ القرار بفناء البشر عن طريق الطوفان، جمع جوبتر رياح الشمال في إيولوس، وجمع معها الأعاصير التي تبدد السحب الكثيفة، ثم أرسل رياح الجنوب من محبسها حاملة المطر، ثم أمر (إيريس) بإنشاء السحب الأولى وإرسالها إلى الأرض، وطلب من نبتون (إله البحر) أن يرسل أمواجه، فإذا البحار والسماء تعصف الأرض بالمياه، وإذا صفحة الأرض كلها مغمورة بالمياه . وغرق الناس، وفني الناس غرقاً أو جوعاً ومع البشر غرقت الكائنات كلها من زواحف إلى أسماك إلى طيور .



نبتون إله البحر

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Neptun_4a.jpg

5 . ظهور الجيل الثالث من البشر

ديوكليون وبيرا

ويبدو أن هناك سفينة لا يذكرها أوفيد سابقاً تحمل رجلاً وامرأة من أصل إلهي . وهناك أسطورة تقول أنهما قد وضعا في صندوق مغلق أرسته المياه على قمة جبل برناس . حين ترسو السفينة التي كانت تحمل ديوكاليون وبيرا على جبل برناس يكون الطوفان قد أوشك على الانتهاء .

كان ديوكاليون ابن عم بيرا فهو ابن برومثيوس وهي ابنة أبيمثيوس شقيق برومثيوس، اللذين ظهرا في الأساطير الإغريقية كمساعدين للبشر وهما يعلمانه العلوم ويقوم برومثيوس بسرقة نار الآلهة وإعطائها للإنسان حتى إنه نال عقاباً قاسياً من الآلهة .

ويبدو أنَّ ديوكاليون وبيرا كانا أفضل البشر وألزمهما للطريق السوي، فكان أول شيء فعلاه هو شكرهما لربات الجبل حوريات كوريكا وإلى ثيمس ربة الوحي الكاشفة عن الغيب، فقاما يصليان لهن من أجل نجاتهما .

شعرا بالوحدة ثم مضيا إلى نهر كيفيسوس (في بويوتا) فغسلا بمياهه رأسيهما وملابسهما، ثم تقدما إلى مزيج لإلهة (ثيمس) طالبين منها إصلاح ما حصل للجنس البشري فقالت لهما : اخرجا من معبدي، وضعا على رأسيكما غطاءً، وتخففا من تلك الأحزمة التي تشد ملابسكما، واتركا وراءكما عظام أمكما الجليلة . فترددا ثم فعلا ذلك وأخذا يلقيان بالأحجار وراءهما كما أشارت الربة، فإذا الأحجار تلين وإذا هي تتشكل أشكالاً، وإذا هذه الأشكال على صور هياكل آدمية رغم أنها لم تكن ذات سمات واضحة، بل كانت أشبه بتماثيل من الرخام لم يكتمل نحتها، ثم ما لبث أن استحال الحجر لحماً فكسا تلك الهياكل العظمية، كما استحالت العروق التي كانت تخلل الصخور عروقاً في تلك الأجسام الآدمية، وكان كل حجر يلقيه ديوكاليون يأخذ صورة الرجل، كما أن كل حجر تلقيه بيرا يأخذ صورة المرأة . وإلى هذه النشأة القاسية الصلبة يعزى كل ما في الجنس البشري من عنف وغلظة وقسوة .

وبعدها تتهيأ الأرض لاستقبال حياة جديدة وتظهر الآلهة فيها وتبدأ أساطير الآلهة بالظهور .



بيرا وديكاليون

http://www.hellenica.de/Griechenland/Mythos/Deukalion.html

الروح الأبدي
دورة النشمثا في الديانة المندائية

كان عالم النور، في الديانة المندائية، عالماً أزلياً ساكناً يمتاز بالثبات، ولكن الحراك بدأ عند ظهور الحياة الثانية (يوشامن) متمردةً مطالبة بأن تقيم لها مساكن خاصة خارج عالم النور وكان ذلك يعني تغيراً حركياً أخرج عالم النور من سكونه، فقد ظن كبار كائنات عالم النور أن هذا تحريضٌ من عالم الظلام يستوجب إيقافه . ولكن الكائنات المتمردة، هذه المرة، كانت كائنات نورانية خرجت من عالم النور نفسه ولم تكن كائنات ظلامية حتى يتم قمعها مباشرة .

كان ذلك العمل قد جعل عالم النور في حيرةٍ من أمره، وبلغة أخرى كان لا بدّ أن يتنازل قليلاً ويشارك هذه الكائنات محنة خروجها، وهو ما جعله يشارك تدخلات عالم الظلام في خلق الأرض والإنسان من جهة ويحذِّر من التمادي في هذه المشاركة حرصاً على نقاوة عالم النور واستقلاله من جهة أخرى .

إن ظهور عالم الأرض والإنسان أجبر عالم النور على المشاركة في هذا العالم، فقد جعل الماء الحي يتدفق من (يردنا) النور إلى الأرض وبذلك بثّ فيها نوره عن طريق الماء الحي . ثم أضاءَها بضوئه عن طريق ضخِّه لبهائه إلى الكواكب المعتمة لتعكس ضوءها إلى الأرض . . وهكذا .

لكن الموقف المشارك الأكبر هو في الإنسان . فعندما أراد بثاهيل والروها والكواكب خلق الجسد البشري سارع عالم النور إلى وضع هيكل النور في داخله عن طريق (الروح) أو بذرة النور أو نسمة النور (نشمتا) على أن تكون هذه النسمة ديناً يجب إرجاعه عندما ينتهي عمر الإنسان، ويجب عودته إلى مكانه في خزينة الأرواح (كنزا) الموجودة في عالم النور مثل كنز ثمين .

لكن السؤال الذي كان يطرحه فلاسفة الدين المندائي هو : ماذا إذا انجرفت نسمة النور (الروح) وأخذت من الجسد المادي الغريزي رغباته ونسيت أنها من عالم النور

وتمسكت بالجسد ورفضت الخروج منه طواعية؟

عند ذاك كان الجواب مباشرة هو : يجب محاسبة هذه الروح على أخطائها . . ثم يجب وزنها فإذا كانت مثقلة بالأخطاء فلا يسمح لها بالصعود إلى عالم النور وتلويثه بها بل يجب أن تعود إلى الجحيم (تحت عالم الأرض) وتحترق هناك لتدفع ثمن أخطائها .

إن عملية نزول الروح ودخولها في الجسد ثم خروجها منه وعودتها (أو عدم عودتها) إلى عالم النور يشكل دورة واضحة المعالم يمكن تتبع خطواتها العامة مع كل إنسان . تنقسم دورة الروح، بصورة عامة، إلى مبدأين أساسيين الأول نازلٌ من عالم النور إلى الإنسان يسمى (المبدأ) وهو عملية الخلق وبث الروح في الجسد المادي، أما المبدأ الثاني فهو صاعدٌ من الإنسان (بعد الموت) حيث ترقى الروح وتعود إلى عالم النور وهو (المعراج) أو القيامة الروحية أو (المعاد) .

ولكننا وجدنا من التفاصيل ما يكفي بحيث أتيح لنا أن نقسّم دائرة الروح، من وإلى عالم النور، إلى ست مراحل تفصيلية نتتبع من خلالها كلّ ما يجري لهذه الروح وكأننا أمام ملحمة جلجامش أو أوديسوس في ذهابهما وعودتهما من وإلى أوروك وأثيكا على التوالي .

إن الروح (نشمثا) جزءٌ من عالم النور وهي بمجرد خروجها من هذا العالم تتحول إلى رسول نوراني يبلغ رسالته لعالم غير ذلك العالم الذي خرجت منه، وعليه العودة إلى عالمه بعد إكمال رسالته . أما إذا طاب له البقاء في العالم الذي أُرسل إليه ونسي رسالته والمكان الذي أتى منه فإنه يكون بذلك قد ضلّ واستوجب محاسبته، وعلى هذه الروح عندما يحين وقت صعودها أن تُسأل ويتم التحقيق معها، فإذا بدا أنها قد عبرت كل محطات التحقيق فإنها توزن في ميزان أباثر ليُكشف بدقةٍ عن ما خفي من ذنوبها، فإمّا تصعد إلى عالم النور أو تهبط إلى عالم الجحيم (شيول) .

لنتتبع دورة الروح من منبعها حتى مصبِّها في الخطوات الست الآتية مستعينين بالشكل الموضِّح لهذه الدورة .

1 . الخروج

تكون الروح، في عالم النور، مخزونةً أو مكنوزةً في (الكنزا) وهو كنز الأرواح الذي يشرف عليه مجموعة من الأثري يسمون (كنزاوري) تناط بهم مهمة حفظ الأرواح وحراستها في هذا الكنز، ويكون أحد الأثري العظام مسؤولاً عن هؤلاء الأثري ويسمى (أمين الكنزاوري)، ويكون عادة هيبل زيوا (ياور زيوا) أو مندا إد هيي . ويسمى ذلك الكنز، عادة، (كنز الحياة) وهو الاسم الذي اختطفه (ماني) من المندائيين وسمّى به كتابه المقدس (كنز الحياة) تجنباً لذكر كلمة كنز التي تذكِّر مباشرة بالمندائية .

وحين يأمر الحي العظيم (أو الحياة العظمى) أن تنزل إحدى الأرواح تكون هنالك نسخة لها في عالم النور تسمى الشبيه (دموثا) تشبه الجسد أو الشكل الذي ستحل فيه هذه الروح، وتطيع الروح الأصلية الأمر وتخرج . وفي النقاط الآتية سنتتبع خطوات خروجها :

1 . إن الروح (نشمثا أو مانا) تجلسُ في الكنز المنير ذي النور الساطع وتتكلم بفصاحة لسان الأثري وتسبِّح للحياة العظمى، ويتكلمون معه (كلّ واحدةٍ منها أكثر حسناً ورقةً من الأخرى) .

2 . تستدعي الحياة الكبرى الروحَ (مانا) وترفعها إليها عالياً وتقول لها (للمانا) :

"إن العالم خلق عن طريق الخديعة

هيا، إنزل هابطاً واذهب مغادراً إليه

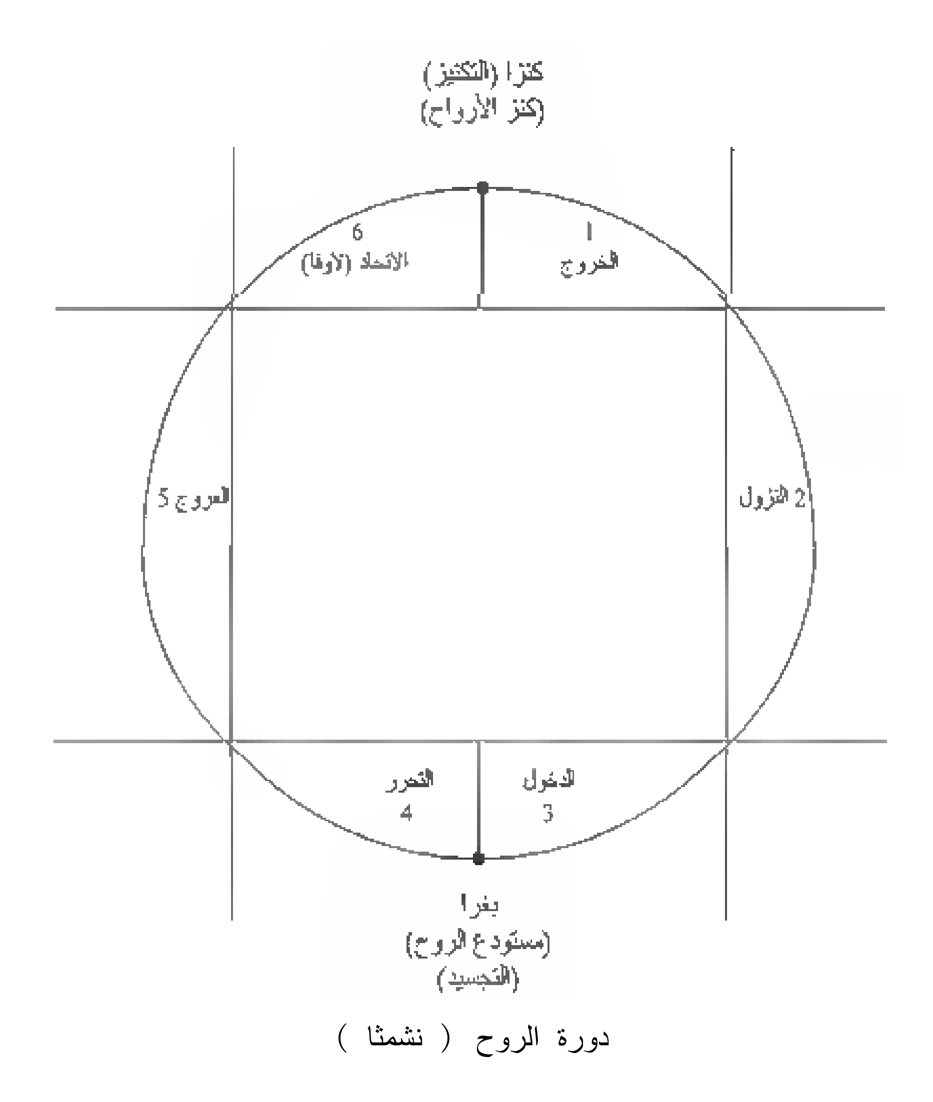
إن لم تهبط أنت نازلاً

فمن سيكون له إذاً معاوناً ومساعداً

ومن سيُلقي عليه بساط البهاء

من عساه يسبغُ عليه طابع البهاء

ويمنع بأن تقطع (تنقطع) السلالة وتبتر؟" (كنزا ربا اليسار 2/16:508) .



دورة الروح (نشمثا)

ثم توضح له أن حرارة هذا العالم أصبحت شديدة، الاضطرام، وتتلظى مستعرةً وتتوهج بالجمر، ويرد المانا على الحياة الكبرى ويطلب منها أن توضِّح أي نوع من الأعمال تطلبين مني أن أنجزها فتقول له :

"ارتحل ذاهبا، اِهبط إلى العالم نازلاً

وخُذ أنت جسماً يكون لكَ رداءً

اِذهب واجعل لك من الجسم كساءً

ذلك الجسم الذي أمرك المرؤ بأن تتحلى به

اِمضِ وترعرع تحت أجواء الأسرار

بحيث إنَّ الأسرار تمسي مضيئةً وتتلألأ بواسطتكَ

يتعين عليك أنتَ أن تنال وتنير الأسرار

وينبغي أن تنال سلالتكَ حظاً من القوة والثبات

إن سلالتك ينبغي أن تصعد عالياً إلى مكانها

وينبغي أن يمسي كأس العالم مترعاً

إن كأس العالم يصبح فائضاً بعد أن يبلغ السيلُ الزُبى

وينبغي أن يقوم بحراسته مصباحان

إن مصباحين يقومان على حراسته

وعلى هذا ينشأ بهاءٌ لا حدود أو نهاية له

بواسطة بهائك سوف يكون البيت محمياً

وبكَ سوف ينهض العالم ويقوم

ينبغي أن يكلأكَ خفراء نقيون برعايتهم

وجذر أصلك يتسلق مرتفعاً إلى ما فوق ويصعد شامخاً

ليصعد النصرُ عالياً

الذي ناولته (وزّعته) أنا بنفسي في مكانكَ" (كنزا ربا اليسار508 :2/16) .

في هذا المقطع الواضح والصريح تطلب الحياة الكبرى من الروح أن تذهب لكي تتخذ الجسمَ رداءً لها . وتكتسب مسألة ارتداء الرداء أهمية كبرى في الأدب الديني المندائي، لأن الشروع بأي عمل يفرض على الأثري الذي سيقوم به أن يتعمد أولاً ثم يرتدي الرداء ليشع ويزداد ضياءً، وكذلك ليتّضح . لأن ارتداء الرداء يعني الخروج من حالة الكمون إلى حالة الظهور . أما التعميد فهو نوع من إعادة الخلق . ولذلك يكون الأمر هكذا : يعاد خلق الكائن (الذي له اسم معين) بالتعميد، ولكنه يبقى كامناً ثم يظهرُ الكائن ويشعّ عند ارتداء الرداء . ولأن (مانا) المكنوزة في دار الكنز كانت قد عُمِّدت قبل أن تُكنز لذلك يكفيها ارتداء الرداء .

إن المقارنة هنا تكمن في أن الحياة الكبرى تطلب من الروح أن ترتدي رداءً مظلماً مكوناً من اللحم والعظم والدم (المأخوذة من عالم الظلام) وليس رداءً من النور . ولذلك سنجد، دائماً، أن أول سؤال تسأله الروح معاتبة الجميع (في الحالات التي سينّوه عنها) هو : لماذا وضعتموني في رداء الجسد المظلم؟

أما ما تطلبه الحياة الكبرى من الروح، أو الغاية من كل هذا النزول فهو لكي (تترعرع الروح تحت أجواء الأسرار بحيث إنَّ الأسرار تُمسي مضيئة وتتلألأ بواسطتك) . فهي إذن مهمة جاسوسية تقريباً . . أي أن الروح يجب أن تضيء الأسرار وتعرفها لكي تُخبر بها الحياة الكبرى، وهو ما يسهل السيطرة على عالمي الأرض والظلام، بدليل أنَّ الحياة الكبرى تتحدث عن (النصر العالي) إذا عادت وصعدت الروح إلى عالم النور محمّلةً بالأسرار . ألا تشبه هذه المهمة ما بعثت لأجله الحياة الكبرى مندا إأد هيي وهيبل زيوا في رحلتيهما إلى عالم الظلام، إن كشف أسرار عالم الظلام يحتاج حاذقين عظيمين مثل هؤلاء . . أما الأرض فتحتاج إلى روح (نشمثا أو مانا) لكشف أسرارها لأنها أصغر بكثير من عالم الظلام .

ومع ذلك تسأل الروحُ الحياةَ الكبرى عن المكان الذي ستذهب إليه، وتحتجُّ أحياناً على هذه الرحلة لأنها ليست مسؤولة عن خلق الأرض لكي تذهب إليها وتتحمل وزر فكِّ أسرارها عن طريق إقامتها في جسد الظلام :

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

الذي يحاول من خلال نور أبيه أن يوضّح الأمور .

يا أبتاه، لقد استلمتُ أنا منك التعليم

إنكَ أنت كنت لي مساعداً

إنكَ كنتَ لي مساعداً

قل لي : أين تبعث أنت بي؟

فرد عليه الأب الأول قائلاً :

نحنُ نبعثُ بكَ إلى ههنا، إلى مكانك

الذي خلقته الأثري، الأبناء الكاملون .

إذا بعثت أنت بي إلى هناك

قل لي : مَنْ مِن الأثري خلق المكان؟

قل لي : من من الأثري كان قد خلقَ المكان؟

لكي أتحمل أنا البؤس والتعاسة التي فيه

يا أبتاه، إذا قُذف بي إلى هناك" (كنزا ربا اليسار2/16:489) .

إن من المعروف بأن الذي خلق الأرض هو بثاهيل ثم أضاعها وأصبحت بيد الروها والكواكب، وهو الذي اقترح خلق الإنسان ليكون وسيلة للسيطرة على الأرض بعد فشله، ولكنه فشل أيضاً في جعله في جانبه لأن الروها ومساعديها سيطروا على الإنسان، وأنه هو الذي يتحمل فشله ويجب أن ينزل إلى الأرض ويعيدها ويعيد الإنسان، فلماذا تتحمل الروح (مانا) مسؤولية هذه المهمة؟ :

لماذا كان بثاهيل هنا؟

لماذا خلق هو العالم؟

لماذا نشأت الفكرة

وأبعدوني عن مقامي؟

إنهم بعثوا بي إلى عالم الاعتداءات

ذلك العالم المملوء بالعقد والكتمان

إنه مملوء بالنار

ومزروع بالشوك والحسَد

إنه مملوء بالخديعة

ويغصّ بالتضليل والأباطيل" (كنزا ربا اليسار 3/2:544)

إن الروح تتردد قبل نزولها بتعاليم الحياة العظمى وبالحكمة وبالكوشطا (الحق أو العدالة) لأن هذه الأمور هي التي تحتاجها في عالم الأرض دلالة على أن الأرض

مليئة بالتهور والأخطاء والأعوجاج :

″مزوّدٌ، مزوّدٌ بصورةٍ تامةٍ أنا

إن أُثري النور كانت قد زودتني

إنني مجهّزٌ، إن الحياة جهّزتني

إنني مزوّد بصورة جيدة، إن أثري النور كان قد أمدّني

إنها زودتني بمتاع سفر الكوشطا

إنها جهّزتني بكل ما تملكه من حكمة″ (كنزا ربا اليسار 3/ 2:544)

ويصف كتاب يحيى كيف أن الروح كانت هانئة قبل أن تنزل إلى عالم الجسد :

″نشمثا خُلقت في كنّا . . في مناخٍ دافِئ جميل، حيث لا تشعرُ بجوعٍ ولا عطشٍ . نشمثا كانت في مستودعٍ حيث لا نقص ولا أخطاء . نشمثا كانت جالسةً، وإكليل آير مثبّتٌ على رأسها . عيناها منبعا نورٍ، تتطلعان إلى الحياة العظمى، وفمها تام النقاء يسبِّح لملك النور″ (دراشا إد يهيا 10:31)

إن الروح ترفع صوتها بقوة ضد الحياة الكبرى لأنها فصلتها عنها وبعثت بها إلى عالم الغدر والمكر عالم تيبل (الأرض) حتى دون أن يدري بذلك أمناء الكنز :

″إني أنا مانا الحياة الكبرى

من ذا الذي أخذني من دار الحياة؟

من ذا الذي نقلني من دار الحياة؟

من ذا الذي بعثني إلى تيبل وتركني أعيش فيها؟

من ذا الذي تركني أعيش في تيبل

من ذا الذي أقعدني في منزل أعدائي؟

حتى إنَّ أمناء الكنز لا يعرفون شيئاً عني؟

إنّ أمناء الكنز لا يعرفون شيئاً عني

إنني قد نقلت ووضعت في منزل أعدائي″ (كنزا ربا اليسار :2:18:512)

2 . النزول

هناك ما يشير إلى أنّ الروح تنزلُ إما على سحابة نورانية أو في يد أثريين أو كلا الاحتمالين . وربما كانت هناك مصابيح معهما :

″خُذ بهاءً بغزارةٍ معكَ

ونوراً بدون حدود

خُذ في يدك اليمنى مصابيح معك

وليذهب أثريان اثنان بصحبتك

اِجلس على سحابةٍ تعطيك الأمان

بكلمات جديّة لطيفة

خذ بعض الصلوات معك

تلك التي نؤديها نحنُ

خذ من تنويرنا معك

الذي يخلو من الشوائب والعيوب

اِذهب مع السحابة الآمنة راحلاً

والأثريان الاثنان ينبغي لهما أن يذهبا معك″ (كنزا ربّا اليمين :15:12:348)

تختلف غنوصية الديانة المندائية عن الغنوصيات الأخرى كالهرمسية والمانوية في موضوع نزول الروح من العالم العلوي التي ترى أن الروحَ تكتسبُ في طريقها للنزول الكثير من صفات العالم المادي مثل الكواكب وغيرها كما أنها تفقد من نورها وبريقها كلما اقتربت من الأرض ومن الجسد البشري .

المندائية ترى أن الروح تنزل كما هي مسلحة بتعاليم الحياة الكبرى وبرفقة أُثري يحرسونها . وقد شرحنا تفصيلياً كيف نزلت روح آدم (آدم كاسيا) برفقة مندا إد هيي وأُثري أخرى، ولم يتوقفوا عند أية محطة أو منزلةٍ .

3 . التجسيد

يعرّف التجسيد بدخول الروح أو نسمة النور (نشمثا) أو العقل (مانا) إلى الجسد الذي يُعرف بالمنداية بـ (بغرا Bugra) ولذلك يمكن أن ننحت الاسم اللاتيني – المندائي الدقيق لعملية التجسيد بـ (Bugration) وقد وجدنا أن عملية التجسيد هذه تمرّ بمراحل وخطوات يمكن تلخيصها بما يلي :

1 . **بكاء الروح** : تصل (نشمتا) إلى الأرض من دار الحياة الكبرى (عالم النور) ومعها الأثري الذين هبطوا بها (يختلف عددهم من نصٍّ لآخر وهم ما بين (3–2) ويحاولون أن يقحموها في الجسد لكنها لا تلج إلى الداخل وترفضُ ثم تأخذ بالبكاء والعويل وتذرف الدموع وتطلب من الأثري أن ينتظروها ساعة واحدة فقط من اليوم ليكون في مقدورها أن ترفع صوتها إلى مقام النور عالياً ثم تتكلم مع الأثري (إخوانها) قائلة :

"ماذا ارتكبتُ أنا من ذنبٍ بينكم

ماذا جنيتُ أنا من معصيةٍ في وسطكم

حتى إنكم تضللوني وتبعدوني عن وسطكم؟

إنكم تأخذونني من موطني وتجعلونني نزيلة في الأسر

إنكم غرّرتم بي ونقلتم إياي من دار أبي" (كنزا ربّا اليسار :3:1:540)

بل إنّ الروح تحاول الفرار هاربةً قبل أن تدخل الجسد :

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

إني كنتُ في دار الكنزا المستترة

في دار الكنز المستترة كنت أنا

بين أمناء الكنز الكرماء

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

الذي فتحه خالقي وأُعجب به إعجاباً شديداً

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

ولم أهتف في تنويري بعد

لم أكن قد رأيت الكنز بعد

فما كان منهم إلا أن جلبوني وبعثوا بي إلى هذا العالم

كم هو جميل ما كنتُ أنا قد رأيته

وكم هو بغيضٌ ما عرضتم أنتم عليّ للمشاهدة

متى يتهيأ لي أن أفر هارباً

من الظلمات التي عرضتم أنتم إياها عليّ للرؤية؟

متى يتهيأ لي أن أفرَّ هارباً

حتى أذهب إلى هناك وأرى ما كنتُ أنا قد رأيته على الجانب الآخر؟″

(كنزا ربّا اليسار 2:22:552)

2 . **طلب المساعدة** : عندما ترضخ الروح للأمر الواقع تطلب الكلام إلى الحياة الكبرى وإلى مندا إد هيي ليبعثوا لها (رجلاً خيّراً) بسرعةٍ لكي يخلصها من العالم؛ لأن الشياطين سيجعلونها عمياء وصمّاء وخرساء وستبتلعها التنانين :

″إبعث لي رجلاً خيّراً على عجل

لكي يخلّصني من العالم

ليهدم البناء

ويسلّم الجسد إلى سيده

ليُصعدني إلى مقام الحياة عالياً

حيث كان يقف جذري من قبل

حتى لا يرميني الشياطين بالعمى

وكي لا يجعل المذنبون مني أصمَّ

حتى لا يجعلوا مني أصمَّ بواسطة أشباحهم

فلا أسمع ماذا يقولون عني

الآن تظلمني الشعوبُ والحدود والأسنة

وترمي بي إلى بحر المرارة

الآن تثقل عبادة الأوثان عليّ

فاسلّم نفسي إلى كل مدينةٍ

الآن يربط الشياطين بلورياً بعضها مع البعض الآخر

ومزامير ملعونة تنشد خلال فمي

إنهم يلقنون إياي صوت السقوط

فأنسى ويغيب ربِّي عن ذاكرتي

إنهم يرمون بي إلى بئر عميقة

التي يسقط فيها الأشرار فلا يقومون منها بعد

إن التنانين تبتلعني

وهم يأسرون إياي في مسكن البهجة الغناء والموسيقى″ (كنزاربّا اليسار540:1:3-541)

عند ذاك يخاطبها الأثري الثلاثة ويحاولون تشجيعها ويشرحون لها دورها على الأرض وكيف أنها ستكافح الشرَّ وستضيء أسرار الجسد وأسرار عالم الظلام على الأرض :

"أوه أيتها الروح (نيشمتا)، اِنهضي واقفةً، ادخلي

إدلفي إلى داخل الجسد

وكوني سجينةً في القصر

إن الأسد الغاضب سوف يؤخذ بواسطتكِ ويُسجن

الأسد الساخط المكشِّر

إن التنين سوف يؤخذ بواسطتك ويُعتقل

والشرير سوف يُقتل في مكانه نفسه

إن ملك الظلام سوف يؤخذ بواسطتكِ ويُقيد بالحبال

ذلك الذي لا يقدر أحدٌ عليه" (كنزاربّا اليسار541:1:3)

في هذا المقطع يتضح لنا سبب إرسال الروح إلى الأرض لتحلّ في الجسد . إن المقصود من القصر هو الجسد الذي هو أساساً مكان (أور) سيد الظلام . والمقصود بالأسد الغاضب هو (أور) أيضاً . وهو كذلك التنين والشرير وملك الظلام، ويبدو أن مهمة الروح هي في الكشف عن أسرار الجسد/ أور الذي يمهد لاعتقاله وتقييده بالحبال (لنتذكر كيف أن مندا أإد هيي قيّده بالحبال في رحلته إلى عالم الظلام . والسؤال هو كيف سيتم اعتقال وقتل أور من خلال الروح (نشمتا) التي ستحلّ بالجسد؟

إن تذكرنا لقصة الخليقة يحيلنا إلى أن الكواكب هي التي صنعت جسد آدم ووضعت فيه منها ما تريد، والكواكب هذه من ذريّة أور وروها، أما روها فهي التي ستضع فيه الروح الضعيفة (روها) التي هي بمثابة النفس . وهذا يعني أن كلّ جسد بشري هو بمثابة مكان لأور وروها . ثم إنَّ تحليلنا الثيوغوني أوصلنا إلى أن آدم وحواء هما يقابلان من ناحية عالم الظلام كلاً من أور وروها، ومن ناحية عالم النور كلاً من مندا إد هيّي والحياة، وفيهما تحلّ المانا التي هي جوهر الروح .

إن هناك حرباً مستعرة بين عالمي الظلام والنور تجري في الجسد البشري، وعالم النور يريد أنْ يكشف أسرار الظلام وأور من خلال الروح (نشمتا) التي ستتوغل في الجسد البشري .

وهكذا ينكشف المغزى العميق لنزول مندا إد هيي ثم هيبل زيوا إلى عالم الظلام . إنه لتقييد وكشف أسرار أور وروها . وهو بالضبط ما تفعله الروح (نشمتا أو مانا) التي تقيد وتكشف أسرار أور وروها في الجسد البشري .

3 . **التزود بالأسلحة الروحية السبعة** : توافق الروح على الدخول إلى الجسد لكنها تطلب أن تزود بـ (سلاحٍ سامٍ) لكي تحارب به الذين يتعقبونها ويتربصون بها، فيتحدث معها (رسول جميع المصابيح) الذي يبدو أن الحياة الكبرى بعثته لتلبية مطالبها فيقول لها :

"أيّ سلاحٍ سامٍ ترغبين فيه أنتِ، أيتها الروح (نيشمتا)

حتى نمنحه نحنُ لكِ من كنز الحياة؟

إن سلاحك هو الناصورائية

الكلمات الصادقة الحقة التي جاءت إليكِ من مقام النور" (كنزاربّا اليسار542:1:3)

إنه المعنى الدقيق للـ (ناصورائية) (ناصورثا) هو العرفان أي المعرفة الإلهية الحقّة ويسميها النص (الكلمات الصادقة الحقة)، فالروح تتزود بالعرفان كسلاحٍ قبل أن تدخل السد لتدافع عن نفسها ولكي لا تعمى ولا تصمّ ولا تخرس ولا تُبتلع، فالعرفان (الناصورائية) هو دليلها في الظلام (ظلام الجسد والأرض) .

ثم يوضِّح الرسول للروح بأنّ السماء والنجوم والأرض والشمس والكواكب والبروج والرياح والأثير والحكمة خُلقت من أجلها (لتتذكر ربّها وتحمده) . فتوافق الروح على دخول الجسد، ويقوم مندا إد هيي بإعطائها ما تبقى من أسلحتها الروحانية :

"باسم سيدي مندا إد هيي

وبقوته ولجتُ أنا ودخلتُ في الجسد

إني خلتُ وولجتُ الجسد

ورضيت أن أكون حبيسةً في القصر

منذ ذلك اليوم الذي ولجت فيه أنا الجسد

أصبحت زوجته على مرّ العصور

إنني صرتُ زوجة له على تعاقب العصور

والشياطين سخطوا عليّ من الأعماق

من الأعماق غضب الشياطين عليّ

وهم يتمنون بأن روح (نيشمتا) الحياة تذهب بينهم

عندما رأيتها أنا

أمسكت بها وتفردتُ معها عن هذا العالم

عندما أبصرني مندا إد هيي

أكسبني قوةً

إنه ألبسني بالبهاء

وغطاني بنورٍ نفيس

إنه وضع عليّ إكليل النصر

ذا الأوراق المنيرة

إنه تكلم قائلاً :

أيتها الروح (نيشمتا)، كوني حذرةً في كلماتك

حتى لا يُزج بكِ مقيدةً في منزل الجباة (كنزاربّا اليسار3:1:543)

العرفان (الناصورائية)، القوة، البهاء، النور، إكليل النصر . . هذه هي الأمور التي تزودت بها الروح عندما دخلت الجسد . لكنّ الجزء الثاني من الكتاب الثالث يضيف لها (الكوشطا) أي العدل أو الحقيقة ويضاف لها (الإيمان) (هيمنوثا) . وهكذا تتزود الروح بسبعة عناصر تمكّنها من اليقظة، وهي داخل الجسد المظلم .

4 . الدخول في الجسد والاتحاد بالروح المادية (النفس) أو (روها):

تدخل النسمة النورانية (نشمثا) أو الروح داخل الجسد، ربما عن طريق الأنف كما لاحظنا عند خلق آدم، وعندما تدخل تضيء الجسد، لكنّ تركيبها يتغير قليلاً، فإذا كانت النيشمتا هي (الروح النورانية الأثيرية) فإنها ستجد في الجسد روحاً أخرى هابطة ومظلمة هي الـ (روها) أو الـ (با) وهي الروح الضعيفة، وسترتبطان برباطٍ قوي . وهكذا تتكون (روح الإنسان) من جزأين متّحدين هما :

أ . (روها) أو (با): وهي الجزء الضعيف من الروح، ويمكن أن تكون هي النفس، وتلعبُ دوراً كبير الأهمية في الجسد والمسقثا . إنها قوة الحياة الطبيعية والعنصر الطليق الذي يتحرك بحرية في الكائن الحي وبلا إزعاج عبر المكان والزمان . إذ بينما يبقى الجسد مقيماً في الأرض تنطلق الـ (با) في السماء، وشكلها المعتاد هو حمامة زاجل (يونا)، الأم الطيبة التي ترمز للحركة والحرية . (السبتي83:2004)

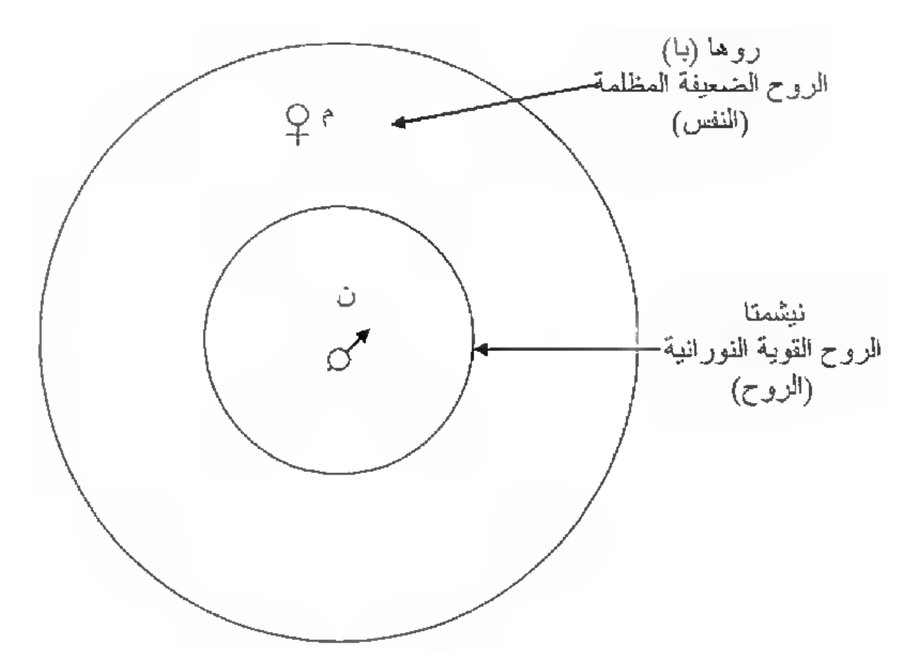
ب . نيشمتا : وهي (النفس!) الأثيرية التي لا تفنى، هبة الحي العظيم من عالم النور، التي تمثل الطاقة المتأججة أكثر من الروح الهادئة . . والاتحاد بين نيشمثا والـ (با) أو الأب والأم من خلال شعائر المسقثا هو الحدث الحاسم الذي يولد فيه الميت من جديد وينتقل إلى الحياة الأبدية ويستعيد صورته النورانية . . (السبتي83:2004) .

(لاحظ أن المترجم يترجم نشمتا إلى (نفس) وهذا اجتهاد خاص به إذ ثبتنا اختلافنا معه) .

علينا أولاً مناقشة الخطأ الجسيم الذي وقع فيه أغلب المؤلفين والمترجمين عندما أطلقوا على نشمتا مصطلح (نفس)، وبعضهم أطلق على روها مصطلح (روح) . ونحنُ نرى أن نشمتا هي الروح لأنها من مصدر علوي ربّاني نوراني، ومن عادة الروح الاتصال بالأعالي عن طريق الصلاة والعبادة العميقة . أما (روها) فصحيح أن ترجمتها الحرفية هي (روح) لكنها تدل تماماً على النفس التي هي محرك الجسد والفرق بين الروح والنفس هو ما أشرنا إليه وتشير له أغلب المراجع الفلسفية والصوفية . فإما أن نقول روح قوية وروح خاملة أو نقول روح ونفس وكلاهما متحدة داخل الجسد فقط . وتسعى النفس النظيفة المؤمنة إلى مرقى الروح العلوي وتتحد بالروح قبل دخولها إلى عالم النور، أمّا النفس المرتبطة بالجسد فتشدّ الروح إلى الأسفل، لكنّ الحساب يتمّ مع الروح (نشمتا) لا مع النفس (روها) . وقد وقع مؤلف الاقتباس السابق في هذا الخطأ .

يعيدنا التقسيم الذي أشرنا إليه إلى لحظة الخلق الأولى لآدم وكيف صُنع جسد آدم، وكيف أن بثاهيل صنعه ورمت فيه روها والكواكب عناصرها ومنها الريح . وربما تكون كلمة روح (روها) قد جاءت من هذه الحادثة، أي أن الجسد يحتوي على روحٍ خاملة (روها) جاءت من عناصر الظلام وهي ذات طبيعة أنثوية تذكِّر بالأم . أما (نشمتا) فهي الجزء الذكري المشعّ والنشط والقادم من عالم النور .

وقد يدفعنا هذا إلى أبعد/ قليلاً فنقول أن (روها) التي تمثل الأم يمكن أن نرمز لها بـ (م) الدالة على الأمومة، أما نيشمتا فنرمز لها بـ (ن) الدال على الذكورة السماوية . وكان قد اشتق منه اسم السماء عند السومريين حيث كان الإله (آن) هو إله السماء، أما (م) فهو يدل على الأم عند كل الأقوام السامية ونجده في (إم الأمورية ونمّو السومرية وتيامت البابلية) . وهذا يعني أن الروح تتكون من قطبين يشكلان مفردة (من) القريب من (مانا) الذي عرفنا بأنه يمثل الروح (نشمتا) أيضاً ويمثل الروح الكونية الكبرى أو العقل بالمعنى المجازي .



الروح الضعيفة والروح القوية

والغريب أن هذه العملية (دخول الروح في الجسد واتحادها بالنفس) تشبه عملية دخول الحيمن في البيضة (في علم الأجنة) عند بداية التخصيب، حيث (م) بيضة الأنثى و (ن) هي حيمن الذكر . . فهل من الصدف أننا إذا ركبناهما يتكون لدينا

(من) الذي هو جذر (مانا)؟ وهل من الصدف أننا بإضافة كلمة (حي) لـ (من) تتكون مفردة (حيمن)؟ وهل من الصدف أن تكون كلمة (مني) من أصل (من)؟ وما هي علاقة (مانا) بـ (مني) .. ألا يستحق ذلك بحثاً جدياً على الصعيدين اللغوي (العربي والمندائي) والروحي؟ أعتقد بأهمية ذلك دون الوقوع في شرك التأويلات المفتعلة .

يرد المصطلح (با) في الديانة المصرية بمعنى (الروح) أما (كا) فيرد بمعنى (النفس) ويكون (با) على شكل طائر صغير يحملُ وجه المتوفّى، وهو يخرج من الجسد بعد الوفاة مباشرة ثم يعود ويدخل إليه بعد الدفن ليهيّئ الجسد للرحلة الطويلة نحو الشمس .

في كنزا اليسار هناك حوار بين الروها ونشمتا (النفس والروح) تطلب فيه الروها من نشمتا الصاعدة إلى أعلى أن تأخذها معها وتخاطبها بكلمة (يا أختي) وتبدأ المقطوعة لتقول بأن هناك صدىً يُسمع من صوتين اثنين :

"الصدى الصدى من الصدى

إنني اسمعُ صوتين اثنين

اللذين يجلسان معاً ويتبادلان الأفكار

إن صوت الروها وصوت الروح (نيشمتا)

هما اللذان يجلسان معاً ويعلّمان أحدهما الآخر

الروها تتكلم إلى الروح (نيشمتا)

إن الروها تتكلم إلى الروح (نيشمتا) قائلةً :

(وحياتك، يا أختي

خذيني معكِ إذا انطلقتِ أنتِ خارجةً)

كيف تريدين مني آخذكِ معي

ولستِ أنت إلاّ روها كاذبة؟

إنكِ لستِ إلا روها كاذبة

تنتحلين ما لم تكوني قد رأيتِ أنتِ بأُمِّ عينيكِ

كيف تريدين مني أن آخذكِ معي، أيتها الأخت،

والرجل ذو الميزان يقف حارساً هناكَ؟

إن الرجل ذا الميزان يقفُ منتصباً هناك

وهو يزن الأعمال والأجر

ويوحِّد جامعاً ما بين الروح (نيشمتا) والروها

إذا وضعَ هو أحداً في الميزان وأثبت هذا أنه مستوفٍ للشروط

فسوف يرفعه المرؤ عالياً ويمنح إياه دعامةً في الحياة

أما إذا وضَعَ هو أحداً في الميزان وأثبتَ هذا أنه غير مستوفٍ للشروط

فسوف يجري له المرؤ على الفور محاكمةً . ″ (كنزا ربّا اليسار (3:28:627:

لكن الغريب في الأمر أن ما يجري على الميزان يوحِّد أخيراً بين روها ونيشمتا وهو ما يشير، من وجهة نظرنا، إلى أن الأصل الواحد لهما والذي أثبتناه عبر توحد روها ومانا في التناظرات الثيوغونية حتى بديا وكأنهما قطبين (سالب وموجب) لقطعة واحدة خلقها (الحي العظيم) . ومن الجدير بالذكر أن فكرة الميزان (ميزان أباثر) ووزن الأرواح تظهر واضحةً في الديانة المصرية وسنتوقف عند ذلك حينها :

″خذيني معكِ إلى الخارج

إلى ذلك الحدّ حيث يوجد الميزان

دعيهم يضعوني على الميزان

ويطلبوا مني الأعمال والأجر

إذا وجدوا هم أنني مستوفٍ للشروط

فما عليهم إلا أن يوحِّدوا ما بين الروح (نيشمتا) والروها

أما إذا وجدوا هم أنني ناقص وغير مستوفٍ للشروط

فينبغي عليهم أن يقطعوني منك ويخلفوني وراءك

ما أحلاك أنتِ، أختي، أيتها الروح (نيشمتا)

إذ إنّك تأخذينني معكِ عندما ترحلين

إلى ذلك الحدِّ حيثُ يقوم الميزان منتصباً

ذلك الذي يزن الأعمال والأجر

إنهم وجدوا عند الوزن أنني مستوفٍ للشروط

لذا جلبوا هم الروح (نيشمتا) مع الروها معاً .

كم فرحت الروح (نيشمتا) وابتهجت

لأنهم وحّدوا ما بين الروح (نيشمتا) والروها .

إن الحياة أسندت الحياة

والحياة وجدت نفسها

والحياة منتصرة . ″.(كنزا ربّا اليسار2:5:478)

الروح هي التي تطيرُ عالياً وتخرج مسرعة إلى العالم الأعلى وقد تأخذ معها النفس (غير المثقلة بالذنوب) وترفعها إلى بيت أباثر (وازن الأرواح)، وهناك توزن الروح أولاً ثم توزن النفس وإذا وجدتا خفيفتين (مستوفيتين للشروط) فإنهم سيوحِّدون بينهما وتعود الروح الكاملة (نيشمتا+روها) إلى عالم النور .

إنّ العلاقة بين الروح والنفس داخل الجسد هي علاقة تكامل حيث تضيء الروح الجسد باتجاه الأعالي، أما النفس فتلبي حاجاته الدنيوية . الروح تذكِّر بالمرجع النوراني بينما النفس تمنح الجسد طاقة الحب والغريزة والانفعال والحيوية .

5 . **الاستقرار في الجسد** : يطلق مصطلح (ثوب الجسد) على الوضع الذي أصبحت عليه الروح في الجسد، ويبدو أنها تُعرّى من (ثوب البهاء) وتُلبّس (ثوب الجسد) الذي يظهر وكأنه من صنع الآخرين :

″إني أنا مانا الحياة الكبرى

ابن البهاء الوفير، ابن العظمة النورانية

لماذا أخذوا هم مني بهائي وجعلوني عارياً

جلبوني إلى هنا ورموا بي في ثوب الجسد؟

في ثوب الجسد رموا هم بي

الثوب الذي كان قد لبسه هو ثم خلعه

أيّ حزنٍ وهمٍّ ينثالان عليّ في ثوب الجسد ذاك

الذي جلبوني فيه وألقوا بي فيه

كم مرةً خلعته وكم مرةً ارتديته

ووجب عليّ دائماً أن يفصل في منازعاتي

ولا يرى الحياة وهي في شكينتها″. (كنزا ربّا اليسار2:5:478)

لكن الروح لا تعيش براحةٍ في الجسد وفي العالم، ولذلك فهي تشتكي دائماً . ونستطيع أن نعرف من شكواها كيف تكافح هي من أجل البقاء نقية في وسط مضاد لها تماماً حيث الظلمات والنار الآكلة والخطايا، ونجد خطاب الشكوى هذا في أغلب الأناشيد الروحية للكنزا اليسار . وكل ما تخشاه الروح أن تفقد نورها وأن تتحول هيئتها إلى هيئة عكرةٍ ومعتمةٍ، وتفقد لغتها الخاصة ذات المصدر النوراني . لنتأمل هذا المقطع :

″إني أنا مانا الحياة الكبرى

مَنْ ذا الذي رمى بي إلى بؤس العالم

إلى تعاسةِ العالم من قذف بي

من نقلني إلى الظلمات المخيفة؟

مَنْ ذا الذي وضعني في الظلمات السيئة؟

من جعلني أرى النار الكاوية؟

من ذا الذي أبصرني النارَ؟

ومن قذف بي في الماء العكر

الذي خلق منه الفاسدون؟

منه صُنِعَ وتكوَّن الفاسدون

ولهذا السبب أصبحوا هم وسخين

ربما سوف أُحجزُ أنا هنا

فتكون هيئتي عكرة أُسوةً بهيئتهم

ربما سوف يصبح شكلي معتماً (عكراً)

وأَفقدُ لغتي (كلامي) بعيداً عن أبويِّ . ״.(كنزا ربّا اليسار2:3:474)

إن الروح عندما تكون في الجسد تتآمر عليها الديفي والشياطين والهمورثا والليليثا والعشتراوات والكواكب السبعة والكواكب الخمسة وتحاول حجزها تماماً ومنحها من العودة إلى عالم النور لتصبح جزءاً من عالم الظلام . ولتكتسب ثقافة الظلام وتنحدر في مهاوي الغرائز والرغبات الحادة والمحرّمة .

״مَنْ ذا الذي أخرجني عنوةً من دار كنزي؟

ومَنْ قذفَ بي في منزل الرابعة؟

من ذا الذي رمى بي في دار الرابعة

بحيث إنّ الأشرار سخطوا عليّ؟

إن الشياطين غضبوا عليَّ

ودبّروا كلّ يومٍ المكائد ضدي

إنهم بيّنوا النيات السيئة ضدي

وتكلموا قائلين :

نحنُ نريد أن نحتفظ به عندنا، نحنُ نريد أن نحجزه عندنا ونستبقيه

ونحبسه ونمنعه من أن يذهب إلى موطنه الأصلي

نحنُ نريد أن نمنعه من أن يذهب إلى موطنه الأصلي

فيصبح هو بذلك جزءاً منّا . ″ (كنزا ربا اليسار2:4:476)

إن المانا أو الروح يشتكي حتى من الملائكة (الطالحة) ومن بؤسها وشقائها ويصفها بالقبيحة وذات الرائحة والهيكل القبيحين :

″إني أنا مانا الحيا الكبرى

من ذا الذي رمى بي إلى بؤس الملائكة؟

من ذا الذي قذف بين إلى شقاء الملائكة؟

إلى تلك القبيحة ذات الرائحة الخانقة

ذات الهيكل القبيح الذي ليس فيه تناسق؟

أبعد ما يكون قبيحاً هو شكلها

من ذات الذي رمى بي في وسطها؟

كيف يتسنى لي أن أصبح كبيراً بينها

وبيوتها لا تصلح بالنسبة لي؟

كيف يمكنني أن أرتدي ثوبها

وأن أعيشَ في مسكنها؟″ (كنزا ربا اليسار2:7 ص482)

وتقوم الروح بسلسلة من الصراعات مع كائنات الأرض والعالم المظلم، وتعتبر الكواكب العدو الأول للروح، فهي التي تسيِّر الجسدَ وهي التي تعتبر الأرض منزلاً لها . . إن التأثير الذي تمارسه الكواكب والأبراج على الجسد يفوق، في المندائية، أيّ تأثير آخر، ولذلك تُعتبر المندائية من أهم التيارات الشرقية التي ربطت بين حال الإنسان وحركة وأحوال الكواكب . والكواكب تملك دائماً أثراً سلبياً على الإنسان لأنها عدوّة الروح، ولذلك نعجب كثيراً من الذين يصفون، عن جهلٍ، الديانة المندائية بأنها عبادة نجوم :

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

- هيا، اِمضِ إلى منزل السبعة

هيا، اِمضِ إلى منزل السبعة

إلى ثائري الظلمات الباطلين

إنّ ثائري الظلمات الباطلين هم مظلمون

وما من نورٍ يُضيءُ بينهم .

- إن بعثتم أنتم بي إلى منزل السبعة

فأخبروني عن الأعمال التي تمارسها هي

إنها تزاول أعمالاً باطلةً

ومصبٌّ الحياة ليس عندها

هل هي جميلة بعض الشيء؟

وهل أن مصبّ الحياة لديها؟

هل هي جميلة بعض الجمال؟

في مثل هذه الأحوال أريد أن أبعثكم إليها

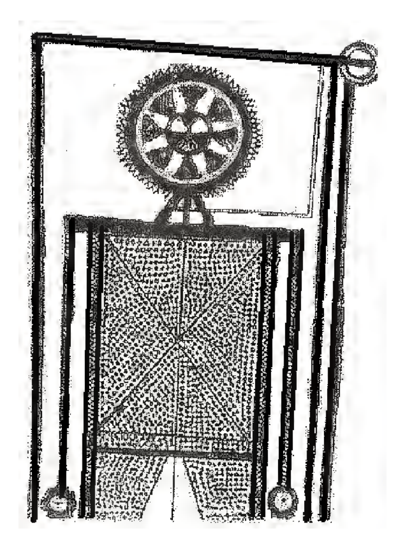
- علاوة على ذلك تبعث بك إلى هناك

لكي تصبح أعمالكَ أنتَ جميلة

إمضِ، ادخل في الجسد

وهي سوف تكون بدون عقل" (كنزا ربا اليسار 2:15 ص504)

وتستمر العلاقة المتوترة بين الروح والكواكب من خلال الجسد الذي هو، بشكل أو بآخر، مستودع الجسد بسبب ما تركه في الجسد من صفات، وقد ينظر للجسد على أنه (أور) كائن الظلام الأكبر وابن الروها .



أور : رمز الظلام والجسد

وتبدو الكواكب وكأنها كائنات متوحشة تتربص بالمانا وتريد أن تهجم عليها :

"إنه ذهب راحلاً وجاء إلى منزل الكواكب

ورأى أن أعمالها غير صالحة

إن أعمالها لا تفيد شيئاً

ومصبّ الحياة ليس عندها

ثم جاء ودخل الجسد

وجعل ينير أكثر بكثير من الجميع

إنها فتحت جميعها أفواهها فاغرةً

غير أنها لبثت مع هذا جالسةً كلّها على طريقها

إنها لبثت، مع هذا، جالسةً محلّها على طريقها

والملعونون لم يعرفوا بماذا عساهم أن يقولوا له .

عندئذٍ فتح المانا فمه

وتكلم إلى الملعونين الأغبياء قائلاً :

أوه، أيها الملعونون البلهاء

هل عندكم مانا يشبهني؟

هل لديكم مانا؟

هل لديكم هيئة لها شبه بهيئتي؟

هل أنتم طيبون؟

هل أن هيئكتم على ما يرام؟

هل كان مصبّ الحياة عندكم؟

هل كان بينكم مانا شبيهاً بي؟

السبعةُ أحنت رؤوسها

وتهامست بعضها مع البعض الآخر

دعونا نمسك بالمانا

نحنُ نريد أن نوثقه ونلقيه في شباكنا

نحن نريد أن نحصره ضمن رمية الشبكة

ونطرحه في رصاصنا وفي ظلماتنا″ (كنزا ربا اليسار504:15:2-505)

ويستمر السجال الرمزي بين المانا والكواكب فيتحداهم المانا بأنه لن يقع ضحيةً لهم في شباكهم ولن يستطيع ظلامهم أن يبتلعه لأنه سيفكر بالحياة ويستعين بها ويخبرهم بأنهم محتقرون وذميمون، وأنه سيعود ذات يوم إلى أصله وهم سيهبطون إلى القاع .

وهناك ما يوحي، في بعض نصوص كنزا اليسار، أن الإنسان (آدم) أو روحه (مانا) عندما تكون على الأرض فإنها هي التي تمنح الكواكب ومنازلها البهاء والنور، أي أن مصدر ضوء الشمس والقمر والكواكب هو المانا الذي حلّ في جسد الإنسان :

″إن الكواكب تقف هنا

إنها مكبّلة بالأصفاد وتتحدث قائلةً

عندما فرّ منا آدم

تهدمت منازل حراستنا

عندما صعد آدم إلى العلياء مرتحلاً عنّا

سلبَ منها البهاء على الفور

على عجلٍ سلب منها البهاء

وصرنا وأصبحنا كما لو كنّا لم نكن أبداً″ (كنزا ربا اليسار 2:21 ص521)

ورغم كل شيء فإن الذعر والخوف يدبان في الروح لأنها تُحبس داخل أسرار الأشرار وتقيَّد وتُغلق عليها الأبواب، وتكاد تنسى ما أمرته به الحياة العظمى، وتنسى السبب الذي من أجله نزلت ودخلت في الجسد . إن صورة الجسد السجن وصفات السجن والسجناء تردُ كثيراً في كتاب كنزا ربّا اليسار :

″من ذا الذي جعلني أسكن في منزل الكوكب؟

من ذا الذي قذف بي إلى النواقص؟

من ذا الذي رمى بي إلى المكان المملوء بالاستهتار بالفضيلة والشرف

ذلك الذي به يسكن ذوو الخديعة والكذب؟

مَنْ ذا الذي قيّدني بقيودهم؟

من ذا الذي وضع قرمة القدم الكبيرة حول رسغي؟

من عرضَ عليّ مشاهدتها؟

من ذا الذي رمى بي في جدرانها؟

من أغلق عليّ أبوابها؟

من جمعني مع جُباتها؟

وطاف بي ماراً على منازل حراستها؟

عندما رأيتهم ارتعبتُ وذُعرتُ

وداهمني الخوف

إني ذُعرتُ وركبني الخوفُ

فقلتُ في نفسي من الأحسن أن أنسى ما أمرتني به الحياة العظمى″

(كنزا ربا اليسار 2:28:535)

يوصي الحكماء والأخيار الروحَ بأن تقوم بالأفعال الحسنة والخيّرة وأن تتخذ طريق الصواب والصدق وأن تعمل على التحصن من شرور العالم بالصدقات :

″أيتها الروح (نيشمتا) تخصّني

بالصدقات وأعمالك وأجركِ

إذ إنّ الطريق الذي سوف تقطعين أنتِ إيّاه

بعيدٌ ولا نهاية له

ما من أحد كان قد قاسه بالأميال

ولا توجد عليه شواهد وضعت وفقاً لقياس المسافات

ولكن عليه وضعت منازل الحراسة والمراقبة

ويقف فيها الحكام والجباةُ″ (كنزا ربا اليسار3:9 ص557-558)

ويبدو أن الروح تتعرف على أسرار الأرض (تيبل) والجسد (بغرا) فتملك فكرة عن أسرار عالم الظلام على الأرض، وبذلك تنجح مهمتها في زمن بقائها هناك :

″إن الروح (نيشمتا) روح الحياة تتكلم قائلة :

من حبسني في تيبل؟

ابتداءً من ذلك اليوم الذي وقعت أنا ساقطةً في آدم

رأيتُ أربعة أسرار

إني ذهبتُ شاخصة إلى صورة الماء

إن الماء هو حياة هذا العالم

إني ذهبت شاخصة إلى صورة الشمس

إن الشمس هي نور هذا العالم

إني ذهبت شاخصةً إلى صورة القمر

إن القمر هو تعداد هذا العالم″ (كنزا ربا اليسار : 42 ص632)

لا نعرف ما الذي تعنيه أسرار الماء والشمس والقمر، فهل هي هذه الأسرار التي ضحّت المانا بكل ما ضحته لكي تتعرف عليها!!

3 . التحرر

في هذه المرحلة يتمّ تحرر الروح من الجسد ولعلّ أول خطوة لخروج الروح من الجسد هو تذكرهاالأصلها السماوي ولكونها من عالم النور وتنتمي لعالم بعيد، وأنها غريبة عن هذا الجسد وهذا العالم، وأنها لم تخطِئ ولم تنجرّ إلى نزوات الجسد والأعمال التي كان يقوم بها الشياطين والكواكب السبعة المسيطرة على الأرض والجسد معاً وأن الروح ظلّت تضيء رغم كلّ شيء :

″إني أنا مانا الحياة الكبرى

من ذا الذي تركني أعيشُ في رداء الجسد

طيلة الوقت الذي عشت أنا فيه

لم يكن فيه نقصان أو قصور

إني لم أخطِئ ولم أرتكب المخالفة

ولم أفعل شيئاً نابياً أو منكراً

إني لم ارتكب خطأً

ولم أُسبب إساءات أمامي

ولم أمتزج ولم أختلط

ولم أتحول أو أغيّر قولي ولم أخرج عن كلام أبي

إني أنير بواسطة قوة أبي

بواسطة الرجل الذي جعلني أعيش في رداء الجسم

إنه جعلني أعيش في رداء الجسم

فصمدت وصرتُ وعشتُ مستقراً فيه

ولم أُسبِّب لربي ما يشين أو يعيب

إنه لم يقل أن المانا نسي ما كان المرؤ قد أوصاه به . ″ (كنزا ربا اليسار 2:11 ص492)

لا تتحرر الروح لوحدها بل بمساعدة كائن نوراني يقوم بتحريرها من الجسد ثم رفعها إلى الأعالي وترد في كتاب كنزا ربّا اليسار وكتاب يحيى أنواع من طرق خلاص الروح على أيدي هؤلاء وهم :

1 . المرء أو المرؤ وأحياناً يسمى الرجل كما ورد في المقطع المقتبس أعلاه ويبدو أنه الخالق العظيم (هيي ربّا) أو مندا إد هيي الذي يقوم بإنقاذه ورفعه من العالم .

2 . المخلص : وهو المألوف في القطع والأناشيد المندائية ويسمى عادة (الرجل الصالح، مساعد مانا الكبير، معاونه، الغريب، المفوض الطاهر رسول مندا إد هيي، المساعد، المعاون اللطيف، أثري الحياة، ملاك البهاء، ابن الحياة، رسول الحياة . . إلخ وربما يكون (مندا إد هيي) نفسه أو (هيبل زيوا) أو (أدكاس) .

3 . الروح نفسها تضع أجنحةً وتطير صاعدة إلى عالم النور لوحدها أو بمعيَّة حرّاس يحرسونها في رحلتها .

4 . الصياد أو الراعي وهو ما يرد كمخلّص للروح في كتاب يحيى، والصياد القادم من عالم النور أو الراعي القادم من عالم النور هو الذي يخلّص الشياه ويتجنب الصيد في المياه الآسنة ويتجنب الأسماك .

وقد يقوم الحيّ العظيم بنفسه مباشرة بإخراج الروح من الجسد ورفعها لكن النصوص لا تسميه باسمه بل باسم المرء أو المرؤ وقد يكون هذا تعبيراً عن كائن نوراني كبير مثل مار أد ربوثا وهو ما نرجحه بسبب تشابه كلمة (مار) مع (مرء) . ولكن هذا أمر نادرٌ جداً كما في هذا النص :

"إني احتفظتُ بنفسي متجنباً السبعة

ولم أمارس أيما فعلٍ من أفعالها

الآن وها قد أزف الموعد

تقعد هي كلها جالسة في كآبةٍ

إني لبستُ رداء الأب الرفيع الشأن

وأبصرتُ رداء (الحياة) العظمى

المرؤ وضعني في كفة الميزان

وكنتُ خالياً من النواقص والعيوب

المرؤ ألبسني ثوباً من الحرارة الحيّة

ذلك الذي لا يحتوي على الحميّة والسخط

المرؤ وضع عليَّ إكليل البهاء والنصر

ذلك الذي توهجت أوراقه بالنور

المرؤ ألبسني ثوباً من ثياب الحرارة الحيّة

ثم صعدت أنا عالياً ورأيتُ مقام النور" (كنزا ربا اليسار 49 :3 ص641)

لكن الشائع في النصوص أن المخلِّص يكون مبعوثاً من عالم النور إمّا على درجةٍ رفيعةٍ جداً مثل مندا إد هيي أو من هو في مستواه أو مساعد (أثرا) أو ابن الحياة . . إلخ :

"إنه مندا إد هيي نفسه

الذي ارتحل ذاهباً لكي يأتي إلى العالم

حقاً، إنه أخذني من الأرض

وانتزعني من الخدعة والتلون

هو أخذني من قرمة القدم

التي تشبه العالم الممتلِئ

هو حلّ وثاقي وأربطتي

التي هي طويلة إلى حدٍّ بعيد

هو خلع عني الثوبَ

المنسوج من كلِّ لون ونوع

إن ذلكم الذي حلّني تقدّمني ذاهباً

أما ذلك الذي ربطني فهو يتبعني ساعياً

إني مضيتُ واستندتُ إلى ذلك الذي حلّ وثاقي

أما ذلكم الذي كان قد ربطني فهو لم يدركني

إن الحياة استجابت لي من الأثمار

إن البهاء أجاب عليّ من بعيد

من مكان جدّ بعيد

تطلعت أنا ناظراً فعرفت أبي . ″ (كنزا ربا اليسار 3:42 ص632-633)

استعمل المندائيون مصطلح (الأب) قبل المسيحيين للتعبير عن الخالق العظيم لأن الـ (مانا) أو النشمتا هي بمقام الابن وهم بذلك وضعوا أولاً نظام الأقنوم المكوّن من الأب والابن والروح القدس بطريقة خاصةٍ بهم سنناقشها فيما بعد . وها هي الروح الابن تلتحق بخالقها الأب ويقوم بذلك وسيط هو (مندا إد هيي) الذي ربما كان إشارة للروح القدس التي استعملتها الأناجيل وطوّعها فلاسفة الدين المسيحي ورجالاته الكبار . لكن (مندا إد هيي) قد تعرض، ذات مرة إلى مطالبةٍ من قبل عفاريت الكواكب

السبعة لكي يعطيهم أعضاءَه النورانية (الرأس، العين، الأذن، الفم، اليد، القلب، الركبتان، القدمان) لكنه يرفض ذلك ويحتفظ بكلِّ شيء :

"أنا هو رأس العالمين ما بين المختارين

رأس المؤمنين ما بين المختارين هو أنا

منذ البداية كنت أنا موسوماً بالإشارة (الرمز)

وإني ذهبتُ ماضياً إلى ضفة النهر

منذ البداية كنتُ أنا موسوماً بالإشارة

إن العفاريت تقف على الشوارع

حالما لمحتني السبعة

ثبتت واقفةً ودججت نفسها بالسلاح

إنها تكلمت قائلة :

أنت تذهب خارجاً، يا أيها الرجل

أعطنا رأسك ثم اذهب إلى الخارج

يا أيها الرجل، أعطنا رأسك

فربما سوف ترجع إلينا عائداً .

إنني لا أعطيكم رأسي

على رأسي مرسومة ومثبتة الإشارة

أنت تذهب خارجاً أيها الرجل

أعطنا عينيك ثم اذهب إلى الخارج

يا أيها الرجلُ، أعطنا عينيك

فربما سوف تأتي أنت إلينا راجعاً

أنني لا أعطيكم عينيّ

إن عينيّ مليئتان بالنور . . ″ (كنزا ربا اليسار 3:10 ص562)

وهكذا تستمر مطالبة الكواكب ببقية أعضائه فيجيبهم بأن أذنيه تسمعان التراتيل وأن فمه مملوءٌ بالكوشطا وأن يديه تعطيان الصدقات ويناولان الكوشطا وأن قلبه تسكنه المعرفة وأن ركبتيه تنحنيان أمام الحياة وأن رجليه تمشيان على درب الكوشطا من مكان الظلام إلى مقام النور . وتذكّر هذه المقطوعة بنصِّ سومريٍّ شهير هو (نزول إنانا إلى العالم السفلي) .

فحين تنزل إنانا إلى العالم الأسفل يطالبها حرّاس البوابات السبع بخلع تاجها وقلادتها وأقراطها وثوبها . . . فتوافق وتنزلُ عارية إلى العالم الأسفل لكي تسيطر عليه، وفي الأسطورة البابلية تقوم عشتار بمحاولة لإنقاذ تموز الميت في العالم الأسفل . . والأسطورتان تتماثلان وتتوازيان مع أسطورة هبوط مندا إد هيي ومحاولة إنقاذ الروح في عالم الأرض المعتم، لكن رفض مندا إد هيي إعطاء أعضائه هو الذي يحسم الأمر ويهذِّب الأسطورة القديمة ويجعلها تكتفي بغرضها الروحي دون الخوض في البناء الأسطوري القديم، وهذا هو الفارق بين الأساطير القديمة والأساطير الغنوصية، فالأولى تحتشد بالتفاصيل والثانية تقتصد بموضوعها المحدّد الذي عادةً ما يكون إيمانياً أو روحياً أو فلسفياً دون حاجة إلى تجسيدات أسطورية مفصّلة .

كذلك يظهر هيل زيوا مخلِّصاً، وهو يناظرُ مندا إد هيي، واهباً ثوبه إلى الروح الصاعدة نحو عالم النور :

″إني أنا مانا الحياة الكبرى

هنا تحت العصور عشتُ واستقريتُ أنا

هنا عشت أنا واستقريت تحت العصور

وكان هيبل مربياً لي

وكان هيبل مربياً لي

وكان هو مساعدي النقي الخالص

هو ابن البهاء الغني الوفير

وكانت قوته دعامةً وسنداً لي

لقد كان هو سنداً لي . هو جعلني قوياً

إنه خلّصني من قبضة

ومن أعمال السبعة

في كلّ الأوقات يدلّني على الطريق

وخلق لي سبيلاً إلى مقام النور

إنه رفعني معه عالياً

ولم يتركني وراءه أعيش في المسكن الخرِب

هو خلع عليّ ثوبه البهيّ

ورفعني عالياً بأبهةٍ من العالم" (كنزا ربا اليسار 2:26 ص532)

وترد تسمية (الأثري الثلاثة) كمخلِّصلةٍ وساندةٍ للمانا وهي التي ترفعه إلى الأعالي :

"الأثري الثلاثة أسندت المانا

وهو، المانا، وجد سكينة وراحة في التنوير

هو، المانا، وجد في التنوير، راحته وسكينته

إنه يحتفظ بقوةٍ براحته وسكينة باله

إنه يتمسك براحة بالهِ بقوةٍ

ويصبر متحملاً ويعيش ساكناً في العالم

في العالم الذي ما من نهايةٍ لشدائده ومكارهه

إنهم أمسكوا المانا بكل ما لديهم من قوةٍ

وأحاطوه ورفعوه بقوةٍ بأيديهم كلّها

إنهم رفعوه من الجسم

وأقاموه في موضعه

إنهم فتحوا له باب النور

وأبصروا طرق الأمان

إنه يتهادى ماشياً على حين تنمو قوته وتتعاظم باستمرار

إنه يحمد الرجال الذين أعطوه المعرفة

إنه يمدح العِمامة التي عرضوها هم عليه للرؤية

وأغطية البهاء التي وضعت عليه

إنه يمدح مساعديه

الذين بواسطة قوّتهم كان قد تيسر له أن يعيش في العالم″

(كنزا ربا اليسار 2:27 ص534)

يظهر المخلِّص، بصورة عامة، تحت اسم (الرجل، المعاون، المساعد الكبير . . .) وينزل إليه بعد أن يتساءل عن الذي وضعه في العالم فيوقظه أو ينزل إليه بعد اليقظة، وأحياناً يكون معه مساعدون أو حماة، وأحياناً يقول للروح بأنه هيئته التي يريد أن يرفعها إلى الأعلى ليحافظ على الروح في غطائه :

″بينما يقف المانا في مكانه ويبحث عن توضيحات لحاله

وإذا بالرجل، مساعده، يأتي قادماً :

يتعين عليكَ أن تقطن معي

وسوف نجد نحنُ معاً مكاناً في قلبك

سوف نجد نحنُ مكاناً لنا في قلبك

وسوف نرفعك عالياً إلى شكينتك العالية

سوف أجعل الأشهر تجري سرياً وأطرح عددها

مثل الحساب

إن مقدار عمرك كعدمه

وإني أريد أنْ أجعل العالم برمّته محتقراً تافهاً

إنكَ أنت مُلكٌ لي وتعود لي أنا

والآن أريد أن أخرجكَ من العالم وأرفعكَ عالياً

إني أريد أن أخرجك منه وأرفعك عالياً

وأريد أن أترك الجميع على عجل

إني أريد أن أترك الجميع

ليمت كلّهم ويفنوا

إنكَ أنت هيئتي

أريد أن أرفعكَ عالياً وأن أحافظ عليكَ في غطائي

في غطائي الذي منحتني (الحياة) الكبرى إياه

ذلك الذي يحتوي على العطر الطاهر المألوف لدي

إنَّ هذا الثوب الذي تعيش أنتَ فيه

سوف أضرب به على رأس الذي كان قد خلقه

ومن ثمَّ ليتعثر ويسقط ويموت ويفنى

أولئك الرجال الذين صنعوا إياه

إنّ الرجال الذين أوصوا به سوف يفنون

إنه صار مساعداً وعوناً للمانا

هو قبّله وحضنه لثماً

ووضع من بركته عليه

من بركته وضع هو قسطاً عليه

وثّبتهُ في شكينته″ (كنزا ربا السار 2:5 ص478-479)

وهكذا يكون المخلِّص، دائماً، قادماً ومبعوثاً من الحياة الكبرى، لكنّ بعض النصوص لا تذكر مخلِّصاً بعينه بل تجعل الروح بجناحين تطير إلى الأعلى لتصل على عالم النور :

″بطيبةٍ ذكرتُ أنا الحياة

التي جعلت ردائي من خارج هذا العالم

إنها خلعت عني ثوب الظلمات

وألبستني أحد أردية البهاء

إنها ألبستني رداءً

كان غاية في الروعة ولا نهاية له

إنني مددت جسدي فيه على سعته

فكان ذلك شبيهاً بالعالم الممتلِئ

إني لوّحت بأجنحتي فسرت ذاهبةً ووصلت إلى القبّة الزرقاء

إني فتحت عيني فيه

فامتلأت عيناي بالنور

إني أذهب راحلةً في رداء الحياة

إلى أن أصل إلى منزل السبعة . ″ (كنزا ربا اليسار 3:35 ص621)

ويصف كتاب يحيى المخلِّص بأنه (الراعي) أو (الصياد) حيث يستطيع الراعي إنقاذ الأرواح وجعلها تصل إلى عالم النور، فمن مقطوعة (الملاك والراعي) يرتفع صوت الأثرا قائلاً :

″جاء حبيبي الراعي . . الراعي الذي أنقذ ألفاً من عشرة آلاف من قطيعي . . فأضحى محبوباً وصريحاً . لقد امتلأ العالم سوءاً، وزُيّن بنباتاتٍ شائكةٍ وبأشواكٍ .

جاء حبيبي الراعي الذي حافظ على ألفٍ من عشرة آلاف من قطيعي . . قلتُ له :

سأمنحكَ خُفاً من ضوءٍ يسمح لك بالمشي على الأشواك

وعلى كلّ نباتٍ شائك . . فالأرضُ زائلة، وخُفُّ الضوء لا يزول

الكواكبُ والأبراجُ العالية زائلة وخُفّ الضوء لا يزول

الرياحُ والماءُ والنار، كلّها زائلة، ولا يزول خُفّ الضوء

وزائل ما تصنعه الأيدي، وخُفّ الضوء لا يزول . . ″ (دراشا إد يهيا : 9 ص27)

إنَّ السوتيرولوجيا المندائية (علم الخلاص) تؤكد على تفاصيل هذه المرحلة التي تُحمل فيها روح الإنسان إلى عالم النور من قبل مخلِّصها . وتنفردُ المندائية ببساطة نظامها الخلاصي الذي يختلف كثيراً عن أنواع الخلاص في الغنوصية والمسيحية .

وبعد أن يقوم المخلِّص بدوره الأولي تأتي مرحلة الفِكاك عن الجسد فتُحلّ أربطةُ الروح وقيودها تاركةً (قمامة الجسد) :

″إن الروح (نيشمتا) حلّت السلسلة

إنها نسفت العِصَابةَ

إنها خلعت رداء الجسد

ثم التفتت فرأته وجعلت ترتجفُ فرقاً

إنه صوت روح (نيشمتا) الحياة

الذي يخرج راحلاً من قُمامة الجسم

إن (الفكّاك)، ذلك الذي حلّ قيود الروح (نيشمتا) أخذ بالبكاء

إذ إنّهم لم يتركوه أن يحلّ وثاقها″ (كنزا ربّا اليسار :3:5 ص 550)

وقبل مباشرة الروح بصعودها تتعرض إلى المحاكمة ولا يقبل (الفكّاك) الذي حلَّ لها الوثاق الرشوة فتدافع عن نفسها أمام الحاكم بذكر أفعالها الخيّرة :

″إن الروح تسيرُ ماضيةً

لقد نزلَ عليها القضاء المحموم وحان وقت ذهابها

لقد نزلَ عليها القضاء المحموم وأزفَ موعد رحيلها

وامتلأت عينها بالفكّاك

وقلبها امتلأ بالبكاء

قلبها امتلأ بالبكاء

ولكنّ الفكّاك لا يقبل الرشوة

إنه لا يقبل الرشوة

ولا يستبدل الجسد بالروح (نيشمتا)

إن المرءَ يحل الروح (نيشمتا) ويقودها على الطريق

إن المرءَ يضعها أمام الحاكم

والحاكم يسألها ويستجوبها

عن ذنوبها وأخطائها :

ماذا فعلت أيتها الروح (نيشمتا) من أعمال

في عالم التضليل الذي كنتِ أنتِ قد عشتِ ساكنةً فيه؟

إنكَ شاهدٌ عليّ أيها الحاكم

بأنني من أجل نفسي لم أرتكب شرّاً

إنني لم أقترف الخيانة الزوجية

ولم أقم بفعل شيءٍ رغبةً لإشباع إرادة الأشرار

إنني لم أرتكب جريمة القتل

ولم أسفك دم أحد من أبناء آدم

إن رأسي لم ينفذ إلى الأرض داخلاً

وكلتا يديّ لم تقوما بالسطو أو السرقة

إنني لم أمارس السحر

ولم أسلم الروح (نيشمتا) العذاب في الجسد

إنّني لم أسلم العبدَ إلى يد سيده

ولا الخادمة إلى سيدتها

ولم أدلِ بشهادة زور

إنني لم أعيّر الحدود

ولم أزح علامات الحدود عن أماكنها

إن عينيّ لم تعطيا إشارة الغمز

وفمي لم يتلوث بالكذب

إن العرّافين لم يقرأوا لي الطالع

ولم يتكهن لي المنجمون (الكلدانيون) بقراءة الغيب

إنني لم آكل الصدقة المضاعفة

ولم أخدم سيدين اثنين

إنني منحتُ الفقراء الصدقات

وكنتُ للأعمى هادياً وقائداً

إذا وجدتُ أنا أحداً من الجياع أعطيته حتى يشبع

وملأت جيوب الأرملة

إذا وجدتُ أحداً من العراة

وضعتُ حول عنقهِ كساءً

إذا وجدتُ أحداً من الأسرى

عتقته وحللتُ وثاقه وبعثت به إلى موطنه وبلاده

وزوّدته بمتاع للسفر على الطريق

مع المريض العليل صعدتُ أنا إلى سريره

وشيّعت الميت في جنازته إلى مثواه الأخير . . ″ (كنزا ربا اليسار 3:21 ص593)

بعد أن تبرأ الروح ساحتها وتذكر محاسنها وتدفع عنها التهم الشريرة التي كانت سائدةً يطالب الحكم بأن يحضر الشهود الذين يؤيدون ما فعلته الروح وما لم تفعله، فيحضر كلٌّ من (النهر، التعميد، البهثا، الكوشطا، المامبوغا) وبشهادتهم ترتفع الروح إلى الأعلى :

″عندما كانت الروح (نيشمتا) لما تزل واقفةً أمام الحاكم بعد

طار شهودها إلى الداخل ووصلوا إليها

إن النهر وضفتيه كلتيهما

يشهدان للروح

إن التعميد الذي كانت هي قد تعمّدت به

البهثا والكوشطا والمامبوغا

تشهد للروح (نيشمتا)

الأجر والصدقة والتعميد

تشهد للروح (نيشمتا)

إنهم أمسكوا الروح (نيشمتا) عند راحة اليد اليمنى

رفعوها عالياً وأقاموها في دال الكمال" (كنزا ربا اليسار3:21 ص593)

أما حين تكون الروح مخطئة مقترفةً للذنوب فتصعد عاليةً لتمرّ بالمنازل والمحطات ثم تصل المطهر، ثم إلى بيت أباثر حيث الميزان، وهنا يُقرر الحكم النهائي عليها فإذا كانت بريئةً تصعد إلى عالم النور . أمّا إذا كانت خاطئة فإنّها تُحاسب على مقدار ذنبها وتُعذّب في المطهر (مطراثا) بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها فتصعد إلى عالم النور، ولكن بعض الأرواح قد يحكم عليها بالسقوط في الجحيم (شيول)، حيث تُعذّب عذاباً شديداً وتبقى هناك كجزءٍ من عالم الظلام . ولنسمع صوت إحدى الأرواح من أعماق الظلمات :

"إني أسمعُ صوت إحدى الأرواح (نيشماتا)

التي تشتكي في مسكن الشياطين ومن أعماق الظلمات

إنها تتكلم قائلة :

ويلي، لأن ذخيرتي من الذهب والفضة لم تدعني

أعمل أفعالاً صالحة أمامي

إن ذهبي وقفَ بي إلى (جهينا)

وفضتي أوقعتني في أعماق الظلمات

أما الجواهر واللؤلؤ، يا أصدقائي،

فأيّ خبثٍ (سوء نفسٍ) لقّنتني!

إنَّ أموالي وأملاكي، أيها الأصدقاء،

ضاعت وذهبت هدراً وهباءً

إنَّ طربي ولهوي وعبثي

أصبحت لي أناشيط وقيوداً

وصارت هيئتي مقيدة من كل الوجوه

إنها تتكلم قائلة :

إن الشياطين أغرتني ودفعتني إليه

وإني أحببتُ عالم المسرّات

إنني أُغرمتُ بعالم الشهوات

وقلبي أوقع بي وجعلني أفكّر بكل شيء سيِّئ

إن قلبي جعلني أفكر بخبثٍ ولؤمٍ

ولساني جلبني إلى التعثر والإنزلاق خلال الكذب والخلاعة . . ″ (كنزا ربا اليسار : 57 ص658)

وعندما تقرر الروح الصعود بعد مغادرة الجسد تتذكر هذا الجسد الذي عاشت فيه عمراً كاملاً وبسبب معاشرة الروح الطويلة لجسدها الأرضي فإنّها تريد أن ترفعه معها إلى الأعالي، لكنها لا تستطيع، وتوضِّح لنا هذه الأبيات العذبة رغبتها وكذلك توضح لنا، في الوقت نفسه، عدّتها النورانية الثانية من الملابس البيضاء التي تصعد بها إلى عالم النور (الرداء، الحزام، العمامة، الإكليل، المركنةالعصا – ، النعلان . . إلخ) وكأنها تكوِّن جسداً جديداً بدلاً من ذاك الجسد :

″إن الروح (نيشمتا) تلتفت إلى الوراء وتقول

مخاطبةً القصر الذي تركته وراءها :

ماذا ينبغي لي أن أفعل معك، يا جسدي،

ماذا أستطيع أن أفعل بكَ في ذلك العالم

ماذا ينبغي لي أن أفعل بكَ، أنت أيها الجسد الرائع

الذي سيكون طعماً لديدان الجحيم

ماذا ينبغي أن أفعل معكَ، أيها الرداء من الورود

الذي تأكله الطيور في تيبل؟

لو كنتَ أنت رداءً من بهاءٍ ونور

بحيث إني أستطيع أن ألبسكَ، أيها الجسد

إذن لكان بالإمكان أن تصعد أنت معي عالياً إلى دار الحياة

لو كنتَ أنت حزاماً من بهاءٍ ونور

بحيث إني أتمكن أن أتقلدّ بكَ، أيها الجسد

إذن لكان بالأمكان أن تصعد أنت معي عالياً إلى دار الحياة

لو كنتَ أنت عمامة من بهاء ونور . . . . إلخ (كنزا ربا اليسار3ب : 58 ص660)

وهكذا تعدد الروح أمنياتها بأن الجسد القديم لو كان له هذه الكسوة النورانية، لكنه مصنوعٌ من الطين ثم من اللحم والدم وليس من النور والبهاء . ولذلك يأتي مبعوثو الحياة إليها، وهي تتمنى، ويعطوها ملابس النور التي هي ملابس الكهانة المندائية المكوّنة من الرداء والحزام والعمامة والإكليل . . إلخ والتي تكون نورانية هي الأخرى . وهكذا يلبسُ النورُ النورَ وتستعد الروح للصعود إلى الأعالي .

ويذكر أحد أجزاء الكتاب الثالث من كنزا اليسار أنَّ هناك خطاباً مختوماً معلقاً في رقبة الروح مكتوب بالكوشطا ومختوم بخاتم الكبرى هو الذي سينقذها :

"إنه خطابٌ مختوم

هذا الذي خرج من العالم

إنه خطابٌ مكتوبٌ بالكوشطا

ومختوم بخاتم الكبرى

الكاملون كانوا قد كتبوه

ورجالٌ مؤمنون صادقوا عليه

إنهم لفّوه حول رقبة الروح (نيشمتا)

وبعثوا به إلى بوابة الحياة

كيف حدث وأن رأى دايوم

بأن الروح تحمل الخطاب؟

كيف حدث وأن رآها دايوم

على حين كان أبناؤها السبعة مجتمعين حولها؟

هؤلاء يتكلمون قائلين :

من كتب الخطاب

الذي لا نعرف سرَّه؟

إنَّ الخطاب مكتوبٌ بالكوشطا

ومختومٌ بخاتم الكبرى

إنَّ الكاملين الورعين كانوا قد كتبوا سطوره

والرجال المؤمنين آمنوا وصادقوا عليه .

إنهم علّقوه حول رقبة الروح (نيشمتا)

وبعثوا به إلى بوابة الحياة

إنّ الروح (نيشمتا) في حكمتها

غطّته بالبهاء وحفظته

لفّته بالنور وربطته . . ″ (كنزا ربا اليسار 3:27 ص605)

وبالإضافة إلى الكوشطا والخطاب المختوم والثياب النورانية تحمل الروح معها أيدي الصدقات والقلوب المملوءة بالإيمان :

″جميع الشعوب اجتمعت

وجاءوا عند باب ابن الحياة :

قل لنا، يا ابن الحياة،

في الوقت الذي يحصل فيه الفراق

ماذا سيكون قوت رحلتنا؟

ماذا سيكون متاع سفرنا؟

إن أيديكم يجب أن تمنح الصدقات

وقلوبكم ينبغي أن تكون راسخة الإيمان

هذا هو قوتُ رحلتكم

الذي يكون لكم متاعاً للسفر . ″

أما عندما تخرج الروح (نيشمتا) كاملة مجهَّزة بالأمور التي ذكرناها وساحبةً معها النفس (روها) فإنَّ الروها والكواكب والأبراج تضطرب وتعلن الحداد :

″في اليوم الذي تخرج الروح (نيشمتا) راحلةً

في اليوم الذي تصعد الكاملة عالياً

في اليوم الذي تخرج الروح (نيشمتا) راحلةً

بعيدة عن أسفل عجلات الموت

وقع واحتدم الصراع

في (تيبل) الفانية

روها تجلس في حزنٍ وكآبةٍ

والسبعة تقعدُ متسمِّرةً جامدةً

إن ثوب النجوم ممزقٌ

وترابٌ منثور على هامة الروها

قارعوا الأبواب يبكون

وحارسو المنازل مذعورون″ (كنزا ربا اليسار 3:7 ص554)

بل إن هذا الحزن يتطور، أحياناً، إلى صراعٍ ينجمُ عنه قتل أمناء كنز هذا العالم الأرضي (كنزاوري) :

″في اليوم الذي تخرج الروح (نيشمتا) راحلةً

احتدم الصراع والقتال في تيبل

فيها نشبت الفتنة والقلاقل

إنهم أحاطوا وقتلوا

أمناء كنز هذا العالم (كنزاوري)

إنهم يتكلمون قائلين :

من أخرجَ اللؤلؤة إلى العراء

تلك التي كانت قد أضاءت المنزل المندائي؟

في المنزل الي تركته هي خارجةً

تصدّعت الجدران وانهارت

إن جدرانه تشققت وتهدمت

وأعمدة بوابته سقطت على الأرض

إن نوافذه كانت قد أُوصدت وأُغلقت

ومصابيحه أُطفأت ولم تعد تنير

إن عينيّ لا تبصران شيئاً بعد

مما يفعله المرؤ في أزمنة العصور

إن أذنيّ لا تسمعان شيئاً بعد

مما يقوله المرؤ في أزمنة العصور

إن قدميّ لا تقويان على المشي بعد

في أزمنة العصور وتتصلبان في مكانهما″ (كنزا ربا اليسار 3:8 ص555)

5 . المعراج

يسمى صعودُ الروح وارتقاؤُها إلى عالم النور بـ (المعراج) ويسمى أيضاً الانبعاث Renaissance أو المعاد Regeneration ويسمى بالآرامية والمندائية (مسقتا) أو (مسقثا) . وهو ما يحل للروح، وهي صاعدة، بين الأرض وعالم النور .

تصعد الروح لوحدها أو مع مخلِّصها، وربما يكون هناك من يحرسها أيضًا باتجاه عالم النور، وتصادف الروح مجموعة من المحطات التي يُختلف على روايتها وعددها وهي :

1 . **بحر سوف :** يبدو أن أول حاجز تصادفه الروح في صعودها وعبورها هو (بحر سوف) الذي هو بحر عظيم في السماء فوق الأرض مباشرة ويسمى بحر النهاية أو بحر الهلاك، وعلى الروح أن تجتازه، فهو يشكل تحدياً وامتحاناً للأرواح، فإذا كانت هذه الأرواح مثقلة بالأخطاء فإنها تغرق في هذا البحر الذي يشكل بداية الجحيم، فهو يتصل، على ما يبدو، بالجحيم الأسفل (شيول) أو (جهينا) حيث تصبح الأرواح جزءاً من عالم الظلام، ويقابل بحر سوف السماوي بحر أرضي هو (البحر الأحمر)، أي أنَّ بحر سوف يكون بمثابة (دموثا) للبحر الأحمر .

2 . **نهر هيتبون**: بعد أن تتخلص الروح من بحر سوف تدخل في نهر هيتبون الذي لا يمرّ خلاله سد .

3 . **منازل الحراسة**: هناك تصنيفان أساسيان لمنازل الحراسة في الكنزا ربّا : الأول يذكره الكتاب اليسار الأول الجزء الرابع، والثاني يذكره الكتاب اليمين الخامس الجزء الثالث . وسنتناولهما سريعاً :

في كنزا ربا اليسار 1-4 هناك تسع منازل حراسة للأرواح أو الكائنات . وهناك ذكر لحالة صاحب المنزل وأوصافه ثم لحالة الذين يقيمون عنده من الأرواح والذين كبّلهم (المرؤ) والمحروقون بالسف والنار حتى يحين يوم القيام . وفي كلّ منزل أدوات للتعذيب حيث تخاف الروح الصاعدة ثم تفصح عن اسمها فيطلب منها الملعونون المعذبون

في منزل الحراسة ذكرهم وذكر حالهم إذا استطاعت الروح الصاعدة الوصول إلى الحياة الكبرى .

حين تصل الروح إلى منزل الحراسة تقفُ وترتجفُ، ثم يبدأ شكلها بالاضطراب والاهتزاز في داخل غطائها، ثم تنادي نحو الحياة الكبرى السامية وتحدث إليها قائلة : أين هي الحياة التي طالما أحببتها أنا وأين هي الكوشطا التي طالما أخذت مكانها متربعةً في قلبي وأين هي الصدقة التي أحملها في جيبي؟ فيرد المرؤ عليها قائلاً : أوه أيتها الروح (نيشمتا) ! إنكِ تصعدين عالياً إلى مقام النور فلماذا يا ترى تنادين على الحياة الكبرى السامية . اِنعتي اسمكِ وهاتي إشارتك التي كنتِ أنتِ قد استلمتِ إياها من موجات المياه ومن كنوز البهاء ومن فوهة البركان الكبير السامي ومن نهر الشفاء الكبير ومن ينابيع مامبوغا النور العظيمة؟ (كنزا ربا اليسار 4: 1 ص460)

تقف الروح في مكانها وتفتح فمها وتفصح عن اسمها فيسمح لها بالصعود . ويطلب منها المعذبون ذكرهم أمام الحياة الكبرى . يحصل هذا في كل منزل حراسة لكن الاختلاف الوحيد هو في وصف حالة صاحب المنزل وساكنيه . ولنبدأ بها صعوداً :

1 . الأرواح المذنبة (نيشمتا هايباثا) : وفيه يُجلد السحرة والمشعوذون بسوط من النار ويلقون كديدان إلى فتحة الفرن . فإذا كانت الروح منهم فإنها تعذب فيه .

2 . أنباز (قوة السماء، سندان الأرض الكبير) : وأنباز كائن جبار ذيله ممدود على جميع البحار ورأسه مضروب على تيلبوني وأقدامه تلامس عبادين (الظلمات السفلى)، وفي منزله يعذَّب الكهنة والدجالون وقارئو الغيب والمستقبل (العرّافون) .

3 . نبو (الحبر الحكيم) : وهو رمز المعرفة القديم وكتبه أمامه، منها سفر تذكار الأيام وهو سفر يوصف به دنانوخت أي أخنوخ أو هرمس فهل هو كذلك؟ يقول الكنزا إن المرؤ رماه بالويل في مستهل كتابه وفي نهايته يصرخ : يا ويلي . ويعذب في منزله الفقهاء الذين يعرفون كل شيء ولا يفعلون شيئاً .

4 . الهياكل السبعة : وتظهر الهياكل لابسةً الورود وثديها وصدرها موشوم بالعار جانبها مفتوق وسهمها الشجار وحصادها الكره . وفي منزلها يُعذب الذاهبون إلى بيت تموزا وهو الإله البابلي القديم .

5 . الكبار : ويظهر فيها الأثرياء والمرابون ويعذبون فيها .

6 . أور : الكاذب المدعي بأنه ربّ الناصورائيين . وفي منزله يعذب السحرة والعزّاب من النساء والرجال وقاتلي الأطفال والجاهضات .

7 . إيفاد : وهي الروها الكاذبة . ويعذب فيها السحرة الذين يصلّون صلاة الباطل ويصومون .

8 . الشياطين : الذين خلقهم بثاهيل ويعذب فيها ذوو السلطة الكبار الجالسون على عرش الثورة والتمرد، أصحاب السوط والدم في تيبل العافون عن المذنب ومعاقبو البريء وآخذو الرشوة .

وقد أُدرج المنزل التاسع (منزل أباثر) ضمنها، ولكنهُ في الحقيقة جزءٌ من المطهر الذي سنتناوله لاحقاً في مكانه .

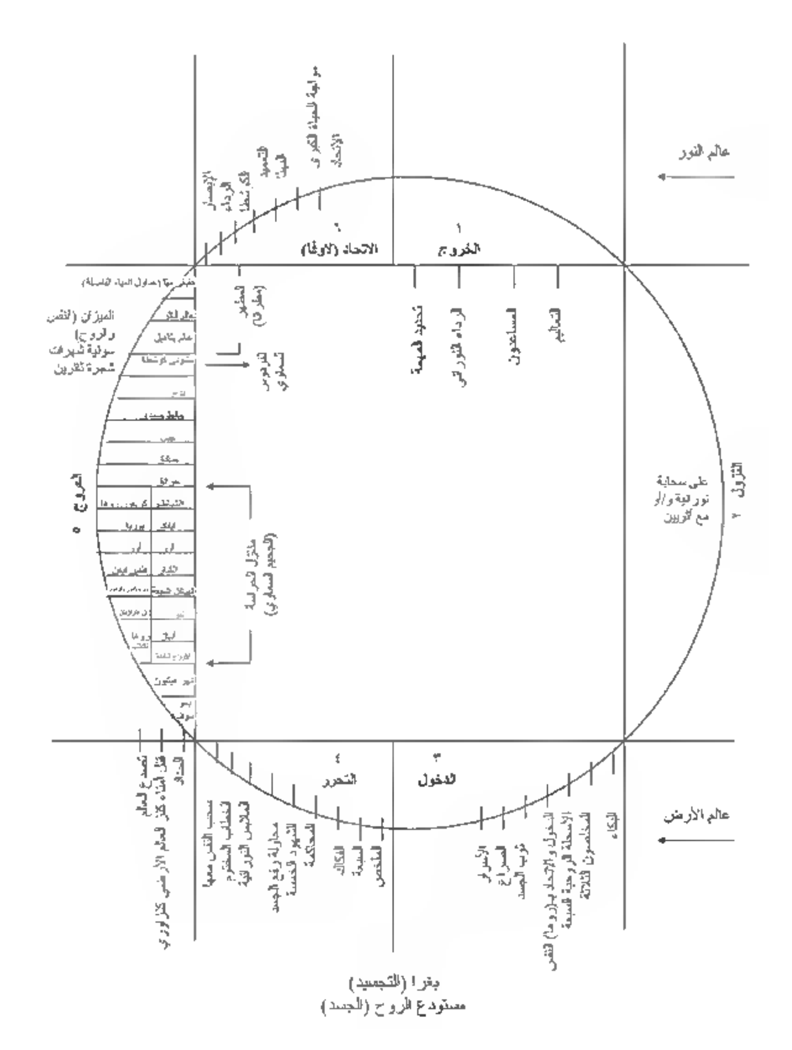
أما رواية الكنزا ربّا اليمين 5-3 فلها تصنيف آخر لمنازل الحراسة وهي :

1 . الكلاب المسعورة : وفيه كلاب عمياء وصمّاء . وعنده تخاف الروح لكن أحد الرعاة يشجعها .

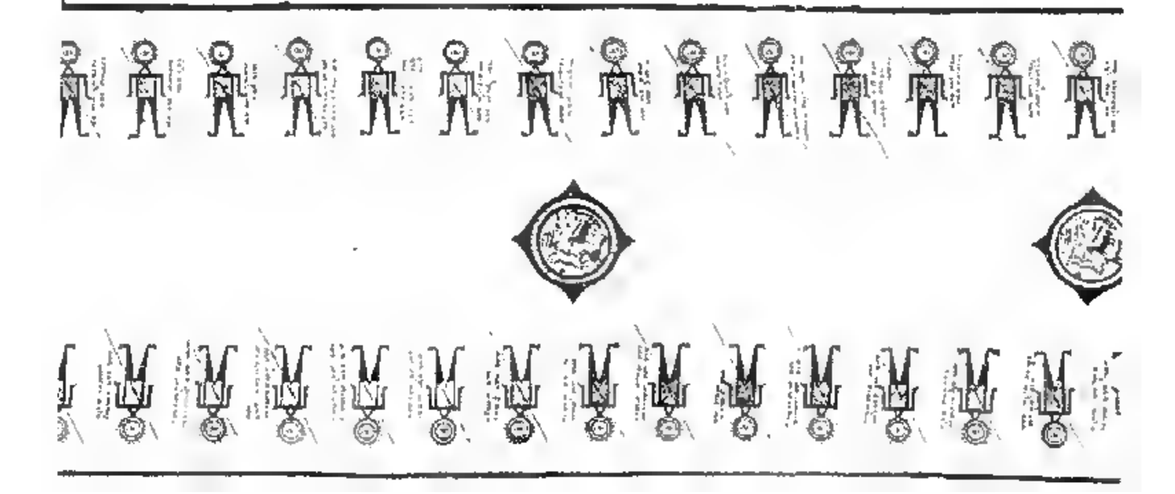
2 . روها : حيث تظهر روها مع 67 من بناتها عاريات الصدور . وعنده وقفن في طريق الروح التي تجيب روها بأن العمى سيصيبها .

3 . زان هازازيبان : الذي يوصف بأنه السريع المقدام، ملك السخط الشديد والفساد . أما المقيّدون فيه فهم سفّاكو الدماء ومبيدو أبناء جنسهم، وهزربان هو أحد أسماء أباثر .

4 . يور وياهور وأرهوم : ويقيم فيه المتزلفون والسارقون والذين يحلفون كذباً .



دورة الروح المفصلة



صورة لطقوس (زدقا بريخا) السماوية الجنائزية، وله علاقة بصعود الروح كهنة سماويون يضعون بالعصي الطقسية (مركنا) على أكتافهم اليمنى وبين صفي الكهنة الموائد الطقسية (طربانا) الحاوية

على الطعام المقدس والشراب المقدس (حمامة، تمر، آس، ملح، سمك، خروف، نبيذ، والراية الطقسية (دربشا) قرب الموائد .

المرجع : Drower, The Haran Gawaita and the Baptism of Hibil Ziwa

الصورة موجودة في ديوان تعميد هيبل زيوا Musbuta of Hibil Ziwa

أعاد رسمها : ماجد فندي المباركي

5 . فلفين فيفن : الذي لفّت روها المدينة بغيوم ضباب قاتمة ويعذب عنده الحماة والقضاة وذوو السلطان والراضعات بثمن .

6 . أور : وفيه يعذّب كل من يعترف بالإله الباطل .

7 . يوربا : وهو ملاك الشمس، وفيه يعذب كل الكبار والكذابين المحتالين وأصحاب الربا .

8 . كريفون – روها : ويسمّى البلاّع الذي تجلس روها المذنبة على شدقه، وهي مع أطفالها الـ (660) والكواكب الاثني عشر (التجار) .

وفي كلتا الروايتين نفهم أن الروح لا تنضمُّ إلى أي مجموعة أو منزل حراسة لأنها لم توزن بعد . وفي مكان أباثر يقرر ذلك فتعود إلى المكان المقرر لها في أحد هذه المنازل أو تصعد إلى الأعالي في حالة براءتها .

4: **<u>الحرائق والخنادق والجبل والحائط الحديدي والثلج :</u>** تصعد الروح باتجاه حواجز خمسة تكاد تكون طبيعة يذكرها أحد نصوص الكنزا مع سابقاتها كما يلي :

"أبصري البحر الكبير الذي لا معبر عليه

أبصري النهر هيتبون الذي لا يمر خلاله سدّ

أبصري منزل الحراسة الذي يقف حوله الثائرون

أبصري الحرائق التي يتصاعد دخانها بحيث يصل إلى القبّة الزرقاء

أبصري الخنادق المزدوجة التي حفرتها الروها على جانب الطريق

أبصري الجبل السامق الذي ليس فيه دربٌ ممهّد

أبصري الحائط، الحائط الحديدي، الذي يحيط بالعالم كما لو كان هو إكليلاً

كأنه أكليل يحيط هو حول العالم، وما من ثغرةٍ فيه . . ″ (كنزا ربا اليسار 3:25 ص601)

ويبدو أن هذه المطبات الطبيعية لا بد من عبورها لامتحان صبر الروح وقوتها . وبهذا تكون الروح قد أنهت الطبقات الأربع الكبرى المخيفة .

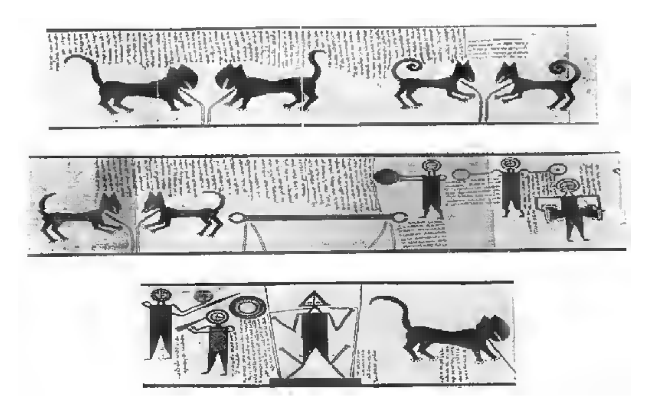
5: **مشوني كوشطا :** وهي طبقة الفردوس التي تسكنها الأرواح الخالدة الكبرى مثل آدم وحواء، ويكون حراسها الروحي شيشلام ربّا . والغاية من مرور الروح فيها هي اطّلاع الروح على الجزاء العظيم للأرواح الصالحة بعد أن اطّلعت على عذاب الأرواح الطالحة . والفردوس محاط بجبال من الثلج تفصله عن عالم النور . وفي هذا العالم تستقر الأجساد المثالية بعد أن تكون الأرواح النيّرة قد تركتها واستقرت في الأجساد النورانية صاعدة إلى الأعالي .

6**. المطهر (مطراثا) :**وهو ثلاث طبقات تمرّ فيه الروح كمرحلة أخيرة قبل تقرير مصيرها ويتضمن ما يلي :

1 . عالم بثاهيل : وهو أول عوالم المطهر الذي فيه كائنات علوية وسفلية . وفي عالم بثاهيل توجد شجرة شاترين التي يتغذى منها الأطفال غير المعمّدين وخصوصاً أولئك الذين يموتون قبل وخلال التعميد شكل (42) . ومن عالم بثاهيل تنقل الأرواح سفينة شهرات إلى عالم أباثر شكل (43) .

2 . عالم أواثر (أباثر) : حيث يظهر ملاك الميزان أباثر الذي يزن الأرواح (وازن الأرواح) . ويجلس على إحدى كفتي الميزان شيتل ابن آدم وتوضع الروح على الكفّة الأخرى، فإن ثقل وزن أخطائها عن شيتل ونزلت كفة الميزان فهذا يعني أن عليها أن تتحمل وزر أخطائها في أحد المنازل الثمانية التي ذكرناها . أما إذا كانت الروح لرجل دين بدرجة ناصورائي ولم يؤدِ واجباته كما يجب فيُعذب في منزل أو عالم أواثر . وفي هذا العالم يتمّ توحّد الروح بالنفس (نيشمتا وروها) .

3 . عالم جداول المياه الفاصلة (هفيقي ميّا) : حيث تخرج الروح من منزل أباثر في سفينة العبور وتدخل هذه المياه التي تكون بمثابة المياه التي تغسل الروح من آخر أدرانها .



حراس المنازل أو الأعرافيون (مطراثا)

الأسفل من اليمين إلى اليسار : مطهر بثاهيل، يوم الأحد، بهرام ربّا، أنوش، هيبل، كنزئيل، راكزئيل، شارهبيئيل، السفار، نباط، بهاق، المشتري، الزُهرة، القمر (سين)، الشمس (شامش)، يوم الأحد (هبشابا)

الأعلى من اليمين إلى اليسار : حيوانات مقيدة (زنجائي) آلات التعذيب والشياطين الخارقين وهم من اليمين :

1 . **شبيه الأسد (آربا) الذي يقف في المدخل**

2 . **شبيه القرد الذي يجلس في المدخل**

3 . **عجلة الماء الأسود التي توضع فيها النساء وتشرب منها اللائي لا يراقبن زمن عزلهن**

4 . **خمس شياطين يلعبون بالآلات الموسيقية (البوق، المزمار، الطبل، صينية نحاسية والصنوج)**

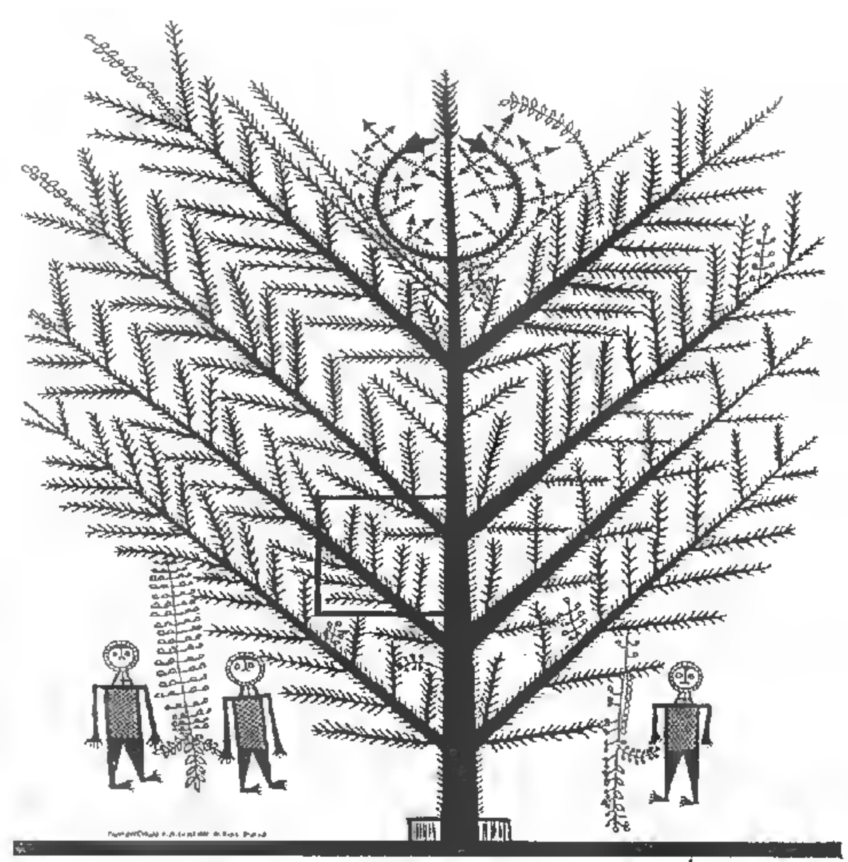
5 . **شبيه التنين برأسين (تنينا)**

6 . **كلبان**

7 . **ذئبان ناريان**

8 . **أسدان**

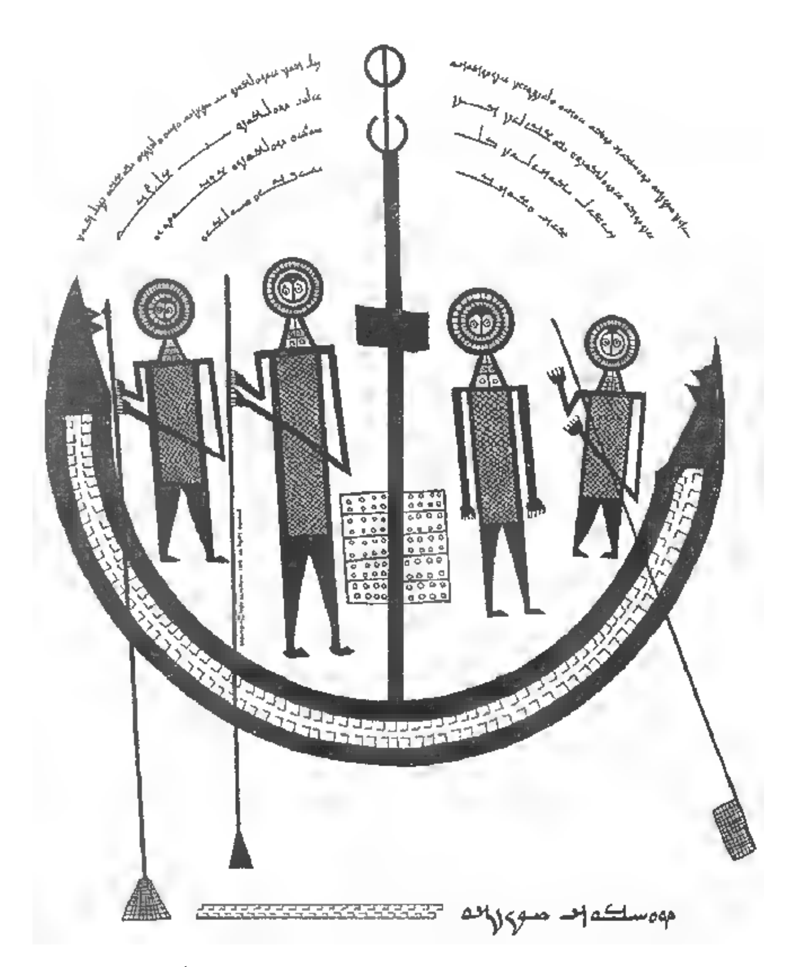
المرجع : Drower, Diwan Abatur D22-28



شجرة شاترين في عالم بثاهيل التي يتغذى منها الأطفال غير المعمّدين وخصوصاً الذين يموتون قبل وخلال التعميد وأحياناً توجد في (سيمات آدميلكنز آدم -) والأطفال بعدها يستطيعون الدخول في عالم الضوء في نهاية الزمان بعد أن يعمّدوا في يردنا السماوي . وفي الصورة كتابة تقول : هذه شجرة شاترين التي بها يتغذى أسماء الأطفال الرضّع . هذه الشجرة تشغل مساحة 360 ألف فرسخ (الفرسخ = 4 ميل)

المرجع : Drower, Diwan Abatur p11, The Mandaeans p44, 230f

أعاد رسمها : ماجد فندي المباركي



سفينة شهرات التي تحمل الأرواح الصالحة المرتبطة بعالم بثاهيل ذهاباً إلى عالم أباثر والنص الذي في الصورة يقول : هذه السفينة اسمها شهرات (هي التي تراقب) والتي تذهب إلى الأرواح الكاملة (شلماني) وتحملها عالياً من الأرض (تيبل) لتضعها في بيت أباثر . السفينة تحمل أي روح كاملة عالياً . أما الأرواح غير الكاملة فتمشي على أقدامها . الأرواح الكاملة ترتفع بالمواعظ (دراشة) والتلاوات (أو الكتبسيدرا)

المرجع : Drower, Diwan Abatur, p.15

أعاد رسمها : ماجد فندي المباركي

6 . الاتحاد

وهي المرحلة الأخيرة حيث تدخل الروح إلى عالم النور . بعد كل ذلك العناء وتنقسم هذه المرحلة إلى ما يلي :

الإبصار : عندما تصل الروح إلى أول عالم النور تصادف جذر الكرم الأثيري (أيار كفنا بن بريافيز كفنا) الذي كعبه ماءٌ وجذره جوهر الأرواح (نيشمتا) وأغصانه وأوراقه مصابيح النور، وتأخذ منه ورقة وتلقيها على عينها فيتجدد عماها وترى وتبصر الأثير الخارجي والمقام النوراني اللذين تجليا لها . ثم ترفع للروح ثنية ثوب الحياة إلى الأعلى وتدخل إلى الباطن وتثبت أخيراً على صورة الحياة . (كنزا ربا اليسار1:4 ص460)

وتؤكد الكنزا اليسار بأن مشاهدة غصن الكرم خطوة ضرورية للإبصار (إني سوف أصعد بك عالياً لأعرض عليك مشاهدة غصن الكرم الذي يقف خارج نطاق العالم) .

1 . **تجهيزات الروح** : تُجهَّز الروح بالأردية وأغطية البهاء وتَمدُّ لها الحياة مصافحة″ (كوشطا) وتعمّد وتُمنح البهثا (الرغيف المقدّس)

″عندما وصلت هي إلى باب دار الحياة

جاء إليها الرفيقُ مستقبلاً

إنه يحمل إكليلاً نضراً زاهياً في يده

وعلى ساعديه كليهما رداء :

تحركي أيتها الروح (نيشمتا) إلبسي رداءَك

وضعي عليكِ إكليلكِ النَضْر

إصعدي عالياً وامضِ شاخصةً إلى الشكينة

إنها المكان الذي تقعد فيه الأثري جالسة

إلى المكان الذي تجلس فيه الأثري

ويأوي إليه إخوانكِ في شُكيناتهم

إنَّ الحياة مدت لها يدها مصافحةً وعقدت معها رابطة عِشرة مشتركة

كتلك التي يبرمها المختارون في مقام النور . ″ (كنزا ربا اليسار3:5:551)

2. التعميد :

وفي عالم النور يُعاد تعميد الروح لكي تتهيأ للبقاء الأبدي فيه :

″هو رفع نفسه وصعد عالياً إلى دار الحياة

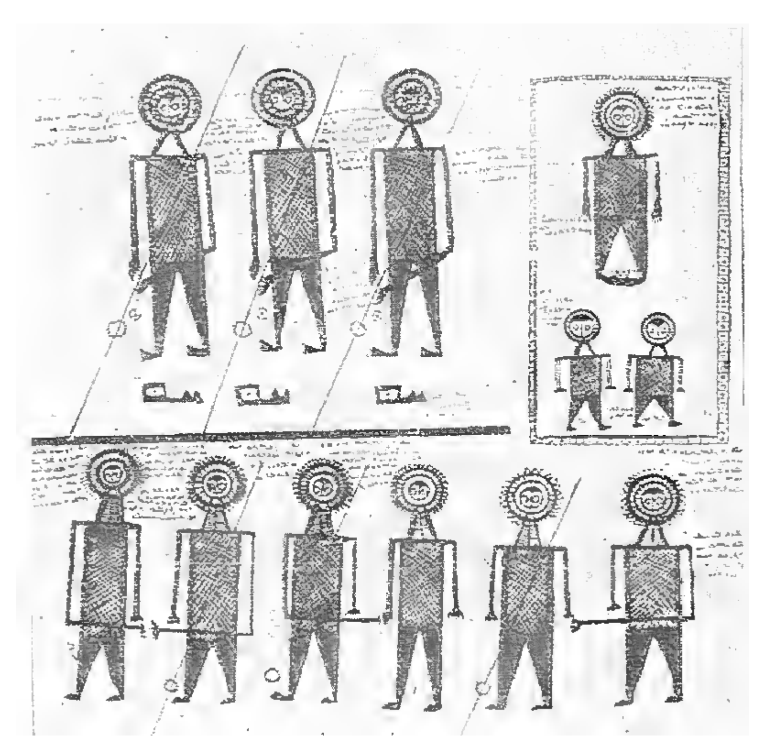
إنهم غسلوه في النهر وكلأوه (شملوا إياه) برعايتهم

إنهم غسلوه في النهر وكلأوه برعايتهم

ووضعوا أياديهم اليمنى عليه

إنهم عمّدوه بتعميدهم

وقووا إياه بكلماتهم الطاهرة . ″ (كنزا ربا اليسار 2:21 ص512)



المعمّدون السماويون للأرواح الذين يقفون في منزل أباثر عند مغادرة الروح وهم يرسِّمونها

من هنا فصاعداً عند قراءة صلاة مسختا عليها في الأرض

هؤلاء المعمدون يعمدون الأرواح حيث يقفون (الأسفل منهم) عند يردنا وهم من اليمين لليسار :

1 . دموثا (شبيه) شيتل

2 . دموثا (شبيه) أنوش/ يمسكان بأيدي بعضهما

3 . أداتان (بديل آدم)

4 . ياداتان/ يمسكان بأيدي بعضهما

5، 6 . بدون أسماء

أما صور الأعلى من اليمين :

1 . شبيهة سيمات هيي (كنز الحياة)

2 . ابنة يوشامن (الاسم الأصغر/ يسار) وهي شبيهة مدينة هيّي (مدينة الحياة)

3 . شبيهة شارهيبيئل (الرسم الأصغر/ يمين)

4 . شبيه بهرام (مكرر) / الأشخاص الثلاثة إلى اليمين الأعلى وهم يقفون على اليردنا

5 . شبيه هيبل

وتحتهم أدوات احتفالية مثل مركب البخور، كوب الزيت والخمر والتي تحمل أسماءً

وكذلك تُمنحك الروح البهثا (الرغيف المقدس) :

"ما كدت أصل إلى دار الحياة

حتى جاءت الحياة تستقبلني وتُجيبني

إنها استخرجت بهاءً وألبستني إياه

وجلبت نوراً وغطّتني به

إنها ضمّتني إلى حسابها

والطيبة وضعتني في وسطها

إن نوري يعدّ ويحضّر البهثا

تفكيري يأخذ بحمد ومدح الحياة″

3**: مواجهة الحياة العظمى** : تواجه الروح الحياة العظمى وتحكي لها ما حصل معها في عالم تيبل والمؤامرات التي حاكها ضدها السبعة :

″نعم إن المانا ارتحلَ ذاهباً مع أُثراه

وتوجّه صاعداً نحو الحياة العظمى

دخل على العظمى

وحكى لها بما فعلته السبعةُ به :

ألا تعلمين أنتِ، أيتها الكبرى،

ألا تعلمين أنتِ، أيتها العظمى،

ألا تعلمين أنتِ، أيتها الكبرى،

بأنني وجّهت ذمّاً ضد السبعةِ

رغم أنها قوية وجهت أنا إليها الذمّ

فهوت السبعة ساقطةً من علٍ

سقطت السبعة من علٍ إلى الحضيض

فارتفعت أنا فوقها وصرتُ أعلى منها

إنني وقفتُ فوقها

فجاءَ إليّ قادماً مساعدي ووصل إليّ

إن مساعدي جاء قادماً إليّ ووضع نفسه في خدمتي

لقد جاء إليّ ووصل إليّ رفيق طريقي

لقد بلغني وظهر لي جلياً رفيقي

المدافعُ عني، المعاون، المساعد، الرفيق

إنه احتضنني وعلى هذا جئت إليك

ورويت لك ما فعلته السبعة بي . ″ (كنزا ربا اليسار 2:21 ص512)

ثم تقوم الحياة العظمى بمباركة الروح بعد أن أنجزت مهمتها :

″إنها أمسكت آدم براحتها اليمنى

صعدت عالياً وأقامته في شكينتها

في المكان الذي تسكن فيه (الحياة) الكبرى

وبهاؤها وهيئتها يتلألآن منورين

إن آدم ذلكم الذي سلّمته أنتِ إليّ –

إنه يقيم عندك كرّة أخرى

إن الحياة باركت له بفمها الطاهر

وتكلمت إليه برقةٍ قائلةً :

لتكن مباركاً أنت وخالقك الذي كان قد خلقك

هذا، المانا، جلبته أنا إليكَ . ″ (كنزا ربا اليسار 2:13 ص498-499)

4 . **الاتحاد (لوفا)** : تسكن الروح أخيراً في شكينتها الخاصة بها وأحياناً مع المساعد الكبير الذي أنقذها، والأمر الحاسم هنا هو أن الروح (نيشمتا) تتحد مع شبيهها النوراني (دموثا) . وبشكل أدق تدخل الروح في جسدها النوراني (اصطونا) الذي يشبه الجسد المادي الأرضي . وتسمى هذه العملية بـ (لوفا) وهي نوع الاتحاد في عالم النور الذي يكون أبدياً . وقد يستعمل هذا المصطلح للإشارة إلى الاتحاد بين الكائنات النورانية أو بين الأثري بشكل عام .

5 . **التكنيز (الإخفاء في الكنز)** : وهي المرحلة الأخيرة حيث توضع (نيشمتا) المتّحدة مع جسدها النوراني في (كنز الحياة) أو (كنزا) حيث يبقى هناك

كجزء من عالم النور إلى الأبد، ويمكن أن نسمي هذه العملية استناداً إلى الاصطلاح المندائي بـ (التكنيز Ginzation) الذي هو جعل الروح المنفردة جزءاً من الكنز الروحي النوراني، حيث يقوم هيبل زيوا بالإشراف على الكنز والأثري هم الذين يحرسونه . وبهذه الخطوة تكون الروح قد استقرت في كنز خالقها ومطمئنةً بعد أن غامرت هذه المغامرة الطويلة ودارت هذه الدورة التي أعادتها إلى مكانها .

والحقيقة أننا لم نلحظ أن الروح (نيشمتا) نفسها قد تعود مرةً أخرى وتهبطُ إلى عالم الأرض، ثانيةً، لتدخل في جسدٍ جديد . لكنّ ما لاحظناه هو أنَّ الروح الواحدة للفرد تبدو وكأنها روح الكون بأكمله وأنها هي ذاتها مانا والحياة بل والحي العظيم نفسه الذي تواضع ونزل إلى الأرض ليضيئها ويكشف أسرارها وينظف أوساخها ويقيم فيها العدل .

لا وجود للإله الصانع ولا للمنازل التي تجعل الروح تفقد أو تكتسب الشرور والمادة من عالم الكواكب وغيره، وهو ما تختلف به المندائية عن الغنوصيات والهرمسيات التقليدية التي شاعت في العالم الهيلنستي مما يثبت أن لها خصوصيتها النادرة، وأنها لم تتبع غيرها بل كوّنت لها جهازاً خاصاً بها نرجّح أنه كان أصل الدورة الهرمسية الكبرى كما سنوضح ذلك .

الفداء الذي قامت به الروح هو ما يرشحها لأن تكون أصل المسيحية، فقد تحولت الروح (نيشمتا) إلى المسيح المخلّص بعد أن اتّحدت بمخلِّصها وصعدت إلى الأعالي، هذا ما توصلت إليه الديانة المسيحية .

الماء الأبدي فقه الماء في السرديات الأولى لفجر البشرية

إيقاع العناصر الأربعة في السرديات الشرقية الأولى

(الماء، الهواء، النار، التراب)

من خلال دراستنا للسرديات الدينية القديمة، الشرقية والغربية، قبل ظهور الديانات الموحدة توصلنا إلى مجموعة فرضيات واستنتاجات مهمة حول الإيقاع الخفي الذي يظهر عميقا في السرديات القديمة وينتظم، بشكل خاص، تسلسل أنساب وأجيال الآلهة والمعبودات التي كانت عماد أديان ونصوص السرديات القديمة من أساطير وملاحم وقصص وحكايات وأخبار، ويمكننا تلخيص هذه الاستنتاجات كما يلي :

1 . إن تسلسل انشطار وتناسل ولادة هذه الآلهة لم يكن يجري اعتباطاً بل وفق إيقاع منضبط وبنية باطنية محكمة لا تظهر بوضوح حين يجري وضع أنساقها كما هي أو بصورة متراكمة، لكنها تصبح في غاية الوضوح عندما يتم التمعن في حصولها .

إنّ الإيقاع العميق الذي تجري وفقه بنية الآلهة القديمة، في كل الديانات الشرقية والغربية القديمة، هو في تشكلها الدائم وفق إيقاع العناصر الأربعة للطبيعة (الماء، الهواء، النار، التراب) التي كان الإغريق يسمونها بمصطلح واحد هو (الأسطقس) .

فأغلب الآلهة تتناسل وتنجب على أساس أسطقسي وعلى سبيل المثال : تنجب آلهة الماء السومرية الأم الأولى (نمّو) أربعة آلهة كبار هم (إنكي : إله الماء) و (إنليل : إله الهواء) و (آن : إله السماء الذي هو مصدر النور والنار) و (كي : إلهة الأرض والتراب) .

وينجب كلّ واحد من هؤلاء الآلهة الأربعة الكبار أربع مجاميع من الآلهة يميل كل واحد منها إلى أحد العناصر الأربعة رغم احتفاظها بجوهرها الذي انحدرت منه، فالإله انليل (إله الهواء) يعيد إنتاج نسله وفق العناصر الأربعة أيضاً، فهو ينجب إله هواء جديد ذا طبيعة مائية هو إله القمر نانا، وإله هواء ذا طبيعة هوائية كاملة، وهو الإله ننورتا العاصف القوي، وهو وريث أبيه لأنّ طبيعة الهواء تركزت فيه، وينجب إله هواء ذا طبيعة نارية (وهو الإله اليجبيل : إله النار)، وإله هواء ذا طبيعة ترابية (وهو الإله بابيل سانج إله الأرض السفلى، ويسمى إله البوابة التي هي مدخل العالم السفلي) وهكذا . . .

2 . إنَّ كل إله يحتوي على نسب غير متساوية من عناصر الطبيعة يتغلب فيها عنصر معين فيطغي عليه وعلى وظائفه، ولكنها تظهر واضحة في نسله، . وهو ما يدعونا لتشبيه نسب العناصر بالجينات التي نعرفها اليوم . وكأن الأساطير أو الملاحم كانت تهجس نبضًا خفياً في الكائنات الحية وتتلمسه من بعيد .

إنَّ الأساطير (وهي سرديات أبطالها من الآلهة) كانت تبدا سرديات الخليقة فيها بأحد العناصر الأربعة، بحيث إنَّ سرديات الفناء فيها تنتهي بنفس ذلك العنصر الذي ابتدأت فيه الخليقة . فمثلاً عندما تكون أساطير الخليقة السومرية معتمدة على الماء فإنَّ أساطير الفناء (الموت) فيها تكون عن طريق الماء (الطوفان)، ويصحّ ذلك على بقية العناصر في أساطير الشعوب الأخرى . أي أنَّ الماء يتناوب جدلياً بين حالته الموجبة الخلقية الخصبة المولّدة وحالته السالبة التدميرية المدمرة الفنائية .

3 . تتدرج أجيال الآلهة عموديا من الأصول الأولى الهيولية السحيقة في القدم إلى آخر الآلهة في مراتب إسطقسية أيضا فأغلب الآلهة تبدأ زمنيا بالماء (الأول، القديم، اللانهائي، المالح)، وهو الكاؤوسي الفوضوي والغامض، ثم تظهر العناصر الأربعة (الماء العذب، الهواء، النار، التراب) وهو عالم الكون (الكوزموس) .

وفي عالم الكون الكوزموسي هذا تكون البداية أيضاً من الماء العذب الخلاّق، الحي، المتدفق، ثم يأتي بعده عالم الهواء ثم عالم التراب ثم عالم النار الموجود في الأرض السفلى . ويصح هذا، إلى حد ما، على أغلب السرديات القديمة .

هكذا إذن تجد إيقاع العناصر الأسطقسية الأربعة يضبط تماسك البنى الثيوغونية (أساطير نشوء الآلهة) ويضبط الأعماق الخفية للسرديات القديمة الشرقية والغربية معاً من أساطير وملاحم وقصص .

والحقيقة أنَّ الماء يلعب الدور الأكبر بين هذه العناصر الأربعة، ورغم أنَّ الهواء ينافسه بقوة، لكن عنصر الماء يبقى مهما وأساسيا أكثر من غيره .

ومن هذه التصورات والأشكال والتجليات يمكننا أن نتحدث عن فقه الماء وأشكال ظهوره في السرديات الشرقية القديمة .

السرديات الشرقية القديمة الأولى لفجر البشرية

تنقسم الآداب القديمة إلى حقلين أساسين كبيرين هما الأدب الديني والأدب الدنيوي، وتشكل الأساطير مركز الأدب الديني فيما تشكل الملاحم مركز الأدب الدنيوي، ولا شك أنَّ هذين النوعين الأدبيين (الأساطير والملاحم) هما عماد السرديات الأولى لفجر البشرية .

الأسطورة هي حكاية مقدسة، أو هي تاريخ مقدس ولحكايات التاريخ المقدس هذه (والتي تخص الالهة حصراً) مجموعة من الصفات والميزات .

فالأسطورة شكل من أشكال الأدب الرفيع، تحكمه قواعد السرد القصصي رغم أنَّ أغلب الأساطير مكتوبة بالطريقة الإيقاعية الشعرية، وتكون هذه القصص ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهيا وكتابياً، ورغم أنَّ جوهر الأسطورة هو الزمان إلا أنَّها لا تشير إلى زمان جرى فيه الحدث وانتهى، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، والأسطورة ذات موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر . . الخ، وهي تتمحور حول الإله أو الآلهة أو أنصاف الآلهة، ويكون دور الإنسان فيها، إذا ظهر، مكملاً وثانوياً (الماجدي40 :2001) .

كذلك فإنَّ الأسطورة لا مؤلف لها، ولأنها ليست من نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه بل هي ظاهرة جمعية، وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعة أدبية، كما أنَّ الأسطورة تتمتع بقدسية عالية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم وعلى عصرها، وهي مربوطة بنظام ديني معين، وإذا انهار تحولت إلى حكاية دنيوية (وانتقلت إلى الأدب الدنيوي) وأصبحت تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية (السواح57:1994 .) .

إن أقدم الأساطير الشرقية هي الأساطير السومرية التي هي بمثابة النواة الأولى لأساطير العالم القديم كله، ويمكننا أن نقسم هذه الأساطير إلى أربعة أنواع هي :

1 . **أساطير الخليقة .**

2 . **أساطير العمران .**

3 . **أساطير الخراب .**

4 . **أساطير الموت .**

وهذا التقسيم يصلح لأن يكون شاملا وعاما لكل الأساطير القديمة .

إنَّ الأساطير الشرقية القديمة تشكل أكثر أساطير العالم القديم بكورية وجمالا وقدرة على تمثل الروح الإنساني، ويمكننا من حيث المبدأ التعرف على هذه الأساطير في تراث الكثير من شعوبها القديمة، فهناك الأساطير السومرية والبابلية والمصرية والكنعانية\الفينيقية والأمورية\الآرامية والعربية قبل الإسلام والفارسية والهندية والصينية واليابانية .

أما الملحمة فيكون مركزها الإنسان البطل المدعوم، غالبا من القوى العليا وهي تتصل بالتاريخ الكرونولوجي بطريقة أو بأخرى، لكنها ليست وثيقة تاريخية كاملة، لأنَّ بنيتها الأدبية تجعلها لا تتطابق كليا مع أحداث التاريخ، وللملحمة زمان ومكان معيّنين ولكنهما أحيانًا غامضين ومضخّمين أيضاً .

الملحمة حكاية طويلة تتميز بالاسترسال والإسهاب وتنظم في الغالب شعرا . ويكون البطل الملحمي إنسانًا خارقًا بعكس البطل الأسطوري الذي هو إله أو شبه إله .

والحقيقة أنّ أقدم ملحمة في تاريخ البشرية هي ملحمة جلجامش فألواحها الاثنا عشر الأولى الأكدية الصياغة تعود إلى حوالي 1700ق . م والقادمة من نص سومري أقدم ما زال مفقودا رغم وجود أصول قصصية سومرية متناثرة للملحمة تسبق صياغتها الأكدية اللغة، أمّا إلياذة وأوديسة هوميروس فتبدو حديثة جدا قياسًا إلى ملحمة جلجامش، وهي من تأليف شاعر معروف هو هوميروس، في حين لا يوجد مؤلف لملحمة جلجامش .

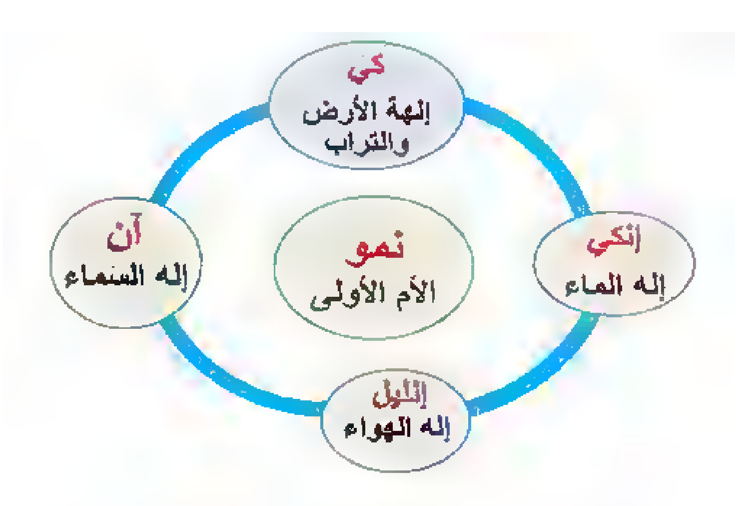
ومن الملاحم الأخرى ملحمة (كرت) الكنعانية وملحمة (اللالِئ) الكنعانية التي وضعها الكاهن إيلي ميلكو، وملحمة (الشاهنامة) الفارسية، وملحمتا (المهابهاراتا) و (الرامیانا) الهنديتان، وملاحم (سيو تشيهي) أي الرحلة إلى الغرب، و (ماناس) الصينية والسجل القديم (كوجيكي) اليابانية التي هي نوع من الحوليات الملحمية اليابانية والموضوعة في عشر مجلدات عن التاريخ الياباني القديم .

وتشكل القصص والحواريات والحوليات القديمة أنواعًا أخرى من السرديات الشرقية القديمة مثل قصص جلجامش السومرية الخمس، وقصة سنوحي المصرية وقصة جميل ننورتا البابلية وقصة الأمير الأشوري وقصص الملوك والأمراء والأبطال الفرس والهنود والصينيين والعرب وغيرها من القصص الشرقية القديمة .

فقه الماء والتحولات الوظيفية له في السرديات الشرقية القديمة

1 . الماء الأول (الهيولى)

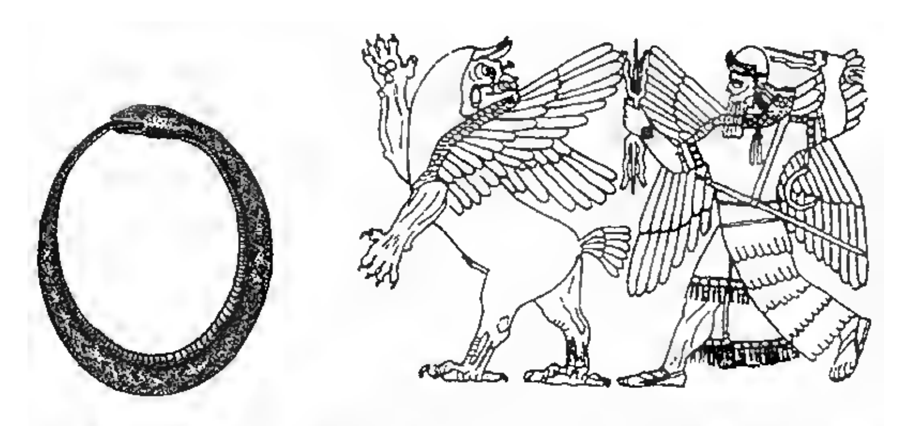
يشكل الماء، في أغلب الأساطير الشرقية القديمة، مادة الخلق الأولى، فمنه ظهر الكون البدائي الذي كان على شكل تلّ يحتوي السماء والأرض وهما متلاصقتان لم تنفصلا بعد عن بعضهما . وغالبا ما يظهر الماء الأول كأصل للكون، وعلى شكل محيط لانهائي، وتعبر عنه إلهة سحيقة في القدم تمثل الهيولى الأولى التي ظهر منها الكون . ففي الأساطير السومرية تظهر الإلهة ″نمّو″ كإلهة أولى .



دائرة الخليقة السومرية (العناصر الأربعة)

خلقت الكون والآلهة والإنسان، ويكتب اسمها بإشارات تدل على (البحرالأول) .

نمّو، إذن، الأصل الحي الذي ظهر منه الوجود كلّه، وهي تدل على الكمال المطلق وعلى كل مادة الكون، وكان يرمز لها بالأفعى الكونية التي تدور على نفسها فتضع ذيلها في فمها وتشكل دائرة الوجود دلالة على لانهائيته، فهي الأنثى المائية الأولى التي سميت بـ"الاورو بوس"، وكانت عذراء لأنها ابتدأت الكون ولم يفض بكارتها أحد، لأنها أنجبت الكون من كلمة خرجت من فمها بعد أن تحركت وأفلتت ذيلها عن فمها .



الإله مردوخ يقاتل الإلهة تياميت(ربما الإله أدد يصارع التنيين) — الإلهة السومرية الأم (نمو)

أمّا في الأساطير البابلية فقد كانت الإلهة (تيامت) إلهة المياه المالحة (البحار) هي الأم الهيولية للكون، رغم أنَّ أسطورة الخليقة البابلية (إينوما أليش) تظهر ثالوثا إلهيًا مائيا في بداية الخليقة مكونًا من (تيامت : إلهة البحر" ابسو"إله الماء

العميق العذب″ممو″ الضباب) . ومن هذه الآلهة الثلاثةالقديمة يخرج جيل جديد من الآلهة يكون على رأسه الإله (إيا) إله الماء العذب الجاري في الأنهار، وهو الذي يواجه الآلهة القديمة ويقتل أبسو وينجب مردوخ الذي يقوم بخلق الكون من مادة جسد تيامت التي قتلها مردوخ :

حين السموات في الاعالي لم تكن قد دعيت بعد

ولا كان للأرض في الأسافل اسم يطلق عليها

أبسو، الواحد الأول، ومنجبتهم وصانعتهم تيامت،

التي ولدتهم جميعا، ومزجت مياههم معا،

لكنها لم تشكّل المروج، ولا اكتشفت غياض القصب،

وحين لم يكن للآلهة التجلي بعد

ولا أسماء أعلنت، ولا أقدار رسمت

عندها ولد الآلهة في داخلهم . (دالي 1997:281)

دائرة الخليقة البابلية (إينوما أليش)

في الاساطير المصرية القديمة تظهر المياه الأولى (نون) هي مادة الخليقة الهيولية، ثم يظهر فيها التلة أو الأكمة الأولى هي المكان الأول، وفي رواية ثانية يظهر الإله أتوم مثل الثعبان البدائي من هذه المياه . وهناك رواية ثالثة صيغت في (هيرمو بوليس) تقضي بظهور ثمانية أرباب من البحيرة الأولى على زهرة لوتس كونية .

وقد توصلنا في كتابنا (المعتقدات الكنعانية) إلى أنَّ الإله (يم) هو في حقيقته الإلهة الأم الأولى عند الكنعانيين واسمها (يمّو)، لكن الانقلاب الذكوري حولها من إلهة إلى إله، ومن مصدر أول للمياه الهيولية الخالقة إلى إله بحري ثانوي يتصارع مع البعل فيقوم البعل بالانتصار عليه، وهو ما يذكرنا بصراع مردوخ البعل البابلي مع الإلهة تيامت، ومن أجل ذلك قمنا بإعادة رواية الأسطورة وفق نسقها المفترض القديم .



مسلة (أيل) من أوغاريت ويظهر أيل جالسا على عرشه وهو يستقبل هدايا ملك أوغاريت تمثال برونزي لإله الحرب (رشف)

يقتفي التكوين التوراتي أثر أساطير التكوين السومرية والبابلية والكنعانية، في خطوطه العامة وفي تفاصيله، فالحالة البيئية السابقة للخلق حالة عماء مائي وظلمة سرمدية . ومن هذه المياه تمَّ التكوين، حيث قام يهوه بتقسيم المياه إلى نصفين، رفع الأول إلى السماء، وترك الثاني في الأسفل فصار بحارًا منها برزت اليابسة . وعلى هذه اليابسة تابع يهوه أفعاله الخلاقة، فأخرج النبت والمرعى والشجر، وخلق الحيوان . وفي السماء خلق الشمس والقمر والنجوم، وفي البحر خلق الحيوانات المائية، وفي الجو خلق الطير، وأخيرًا خلق الإنسان (السواح 113:1982-114)

وفي الأساطير المندائية تظهر الحياة الأولى (هيّي) متماهية مع الحي العظيم (هيي ربا) وكأنّها صنوه الأنثوي، وتسميها النصوص المندائية بالقديمة (قدمايا)، حيث ترتبط بالماء الجاري (يردنا) منبعثة منه، ويتكون العالم الحي الأول من الماء والنور، وتؤكد نصوص الكتاب المندائي المقدس (كنزا ربا) على أنَّ الحياة وجدت الثبات في مياهها وأنَّها أخذت مكانها في يردنا العظيم، وأنَها تقف في ينابيع المياه، رغم أنَّ الماء يأتي بعد النور في نصوص الخليقة المندائية :

بإرادة ملك النور وقوته

قامت الحياة ونشأت الثمرة الكبرى

الثمرة الكبرى تكونت

وفي باطنها تكوّن النهر

النهر الكبير تكون بعدئذ نشأ الماء الحي

الماء ذو البريق والعذوبة نشأ

ومن هذا الماء الحي نشأت أنا، أنا الحياة

أنا الحياة نشأت ومن ثم نشأت جميع الأثري بعدي (كنزا ربا اليمين : 69)

وفي الأساطير الهندية نلاحظ أن عملية الخلق تجري عن طريق تخصيب المياه الأصلية .

ففي الأنشودة الشهيرة للـ (ريغ فيدا) يظهر الجنين الذهبي (هيرانيا غاربها) مرفرفاً فوق المياه، وباختراقها يخصب المياه التي تلد إله النار (أغني)، بينما توحد الـ (اتهارفافيدا) الجنين الذهبي مع العمود الكوني (سكامبها)، وتضع الريغ فيدا البذرة الأولى التي تلقتها المياه في علاقة مع الصانع الكوني (فيزفا كارمان)، ولكن صورة الجنين لا تتفق مع هذه الشخصية الإلهية المتعددة الصفات بامتياز . في هذه الأمثلة يهمنا الفوارق الأسطورية أصولية كانت تمثل الجنين الذهبي كبذرة الإله الخالق الهائمة على المياه الأولية (إلياد 2006:267-277 .) .

وفي الأساطير اليابانية يعمل الزوج الإلهي الأول (ايدزاناغي وايدزا نامي) على خلق الأرض أو الأرخبيل الياباني، وكانت تتلاطم تحت قبة السماء التي يقيم فيها آلهة الموج البيئة المائية، فتلقى الزوج الإلهي أمرا من الآلهة الآخرين كلّهم بمنح الأرض شكلاً صلباً وحدودًا واضحة دقيقة، فيمضي الإلهان إلى الجسر المعلق في السماء وينزلان في الماء الرمح السماوي المرصع بالأحجار الكريمة ويحركان الماء به فيتبين لهما أنّ الماء خال من أي صلابة، ثم يقعان على أرض هلامية تعوم فيه كالرخويات في المحيط . وعندما أخذا الرمح من الماء تصلبت القطرة التي قطرت من رأسه وتحولت إلى أول جزر الأرخبيل . وعلى هذه الجزيرة الصغيرة يقيمان وحيدين وينجبان جزراً أخرى مع الإلهات التي تحمي البحار والأنهار والأشجار والأعشاب . (البيديل2005:100) .

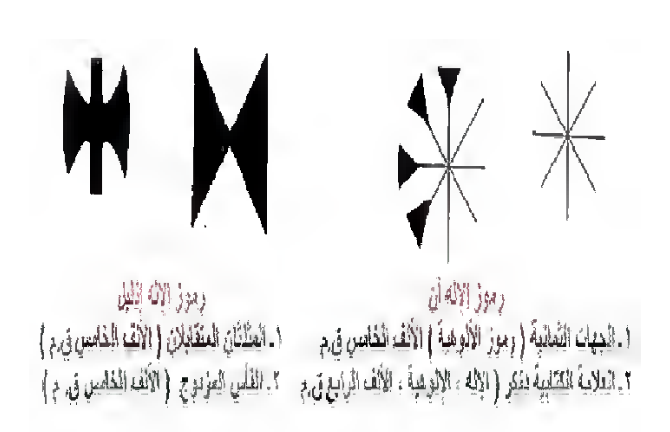
2 . ماء الخلق (ماء الحياة)

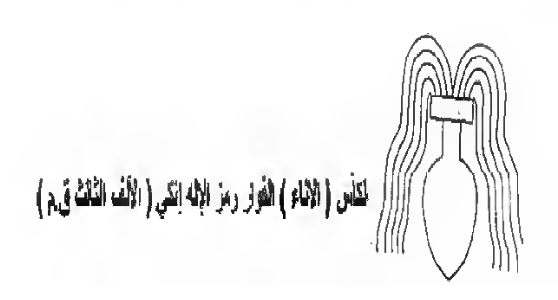
كان ماء الهيولى المصدر الأول الذي ظهر منه الكون والآلهة الأوائل، لكن الخليقة اللاحقة استمرت بالظهور من الماء العذب الذي ظهر كمصدر جديد للخليقة، فمنه ينشأ عالمنا الأرضي، ومنه تظهر الآلهة الجديدة النشطة، ومنه يخلق الإنسان .

وقد تعددت مظاهر ماء الخلق هذا فهو تارة يكون المطر الذي يشبه بـ (مني السماء) والذي يكون مصدر الكلمة الخالقة (اللوغوس) وهو الماء الذي خلق الإنسان منه فجبل مع الطين، وربما مع دم إله معاقب أو هرم أو ثانوي ليكون فيه جوهر إلهي محكوم بالعودة أو التحرر من جسده بعد الموت .

<u>مني السماء (المطر)</u>

في أساطير وسرديات الخليقة تظهر السماء بصفة ذكر إلهي، بينما تظهر الأرض كأنثى سرعان ما تتحول إلى أم لتنجب المخلوقات الحية عليها، وفي أغلب هذه السرديات يتم ذلك عن طريق الماء النازل من السماء إلى الأرض، أي المطر، والذي يصور كمني للسماء يخصب رحم الأرض فتحمل هذه بجنين أو أكثر لتلد أشكال الحياة التي نعرفها .





في الأساطير السومرية تظهر الأرض (كي) قرينة للسماء (آن) ويظهرا أولا ملتصقين ببعضهما حتى تبدأ السماء بتلقيح الأرض عن طريق المطر الذي كان بمثابة

المني في العقائد السومرية، ولنتأمل هذا المقطع الافتتاحي لأسطورة المنافسة السومرية بين شجرة السنديان ونبتة القصب :

صحن الأرض فسيح، كان متألقاً

ومخضوضراً كان سطحها

كانت الأرض الفسيحة ترتدي الفضة واللازورد

تبرجت بالديوريت، بالعقيق الأحمر وبالأثمد

وببهاء تزينت بالنباتات والأعشاب

كم كان جليلاً مظهر الأرض!

لأن الأرض، ذات الجلال، الأرض المقدسة

جمّلت نفسها، من أجل العالم السماوي المهيب

وهو، هذا الإله البديع، غرس

في الأرض الفسيحة قضيبه

وسكب دفعة واحدة في فرجها

بذرة الأبطال، الشجر والقصب،

والأرض بكاملها، مثل بقرة

وجدت نفسها مشبّعة بمني العالم السماوي الغنيّ

وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة

وبغزارة حملت الأرض هذا التاج الرائع

وجعلت الخمر والعسل يسيلان . (الشواف38:1997-39) .

هذه الأبيات تشير بوضوح إلى أنوثة الأرض وذكورة السماء، بل هو يجعل من الأرض مثل امرأة تتزين بمعادن الأرض كالفضة واللازورد والديوريت والعقيق الأحمر والإثمد، فهذه كالقلائد والأساور والأقراط للأرض، بل إنَّ أعشاب الأرض ونباتاتها تبدو

مثل ثوب جميل . ويتم تشبيه الأرض بالبقرة التي سافدها الثور (ولنتذكر أنَّ أحد رموز السماء هو الثور) وهكذا تلد الأرض (نباتات الحياة) وتحمل (التاج الرائع) وتجعل (الخمر والعسل) يسيلان ولكن لماذا الخمر والعسل؟ أليست هذه الصورة هي إحدى صور الفردوس التي ستظهر لاحقا؟ إنَّ الإله الذي يظهر من تزاوج إله السماء مع إلهة الأرض هو إله الهواء الذي سمته الأساطير السومرية (انليل) والذي سوف يتمدد ويكبر فيبعد السماء عن الأرض، وترتفع السماء وتبسط الأرض وينجب الهواء الكواكب والنجوم ويصبح سيداً على أمه الأرض .

وفي المثولوجيا الشمسية لهيليوبوليس المصرية يظهر الإله المركّب (رع – أتوم خبري) خالقا للأول رابوع إلهي يتكون من (شو : الهواء، وتفنوت : الرطوبة، جب : الأرض، نوت : السماء)، ويظهر رع الخالق مكونا لها أما باستمنائه لها أو بتقشيعه لها . وهذا يظهر السماء والأرض متحدتين لكن (شو) الهواء هو الذي يفصل بينهما . وتظهر (تفنوت) الرطوبة معه، ومن اتحادهما يظهر الرابوع الإلهي الثاني (أوزوريس وإيزيس وسيت ونفتيس) الذين لعبوا الدور الأكبر في صنع الدراما البشرية .



إله الهواء (شو) يفصل بين الأرض (جب) والسماء (نوت)

وتلمّح الليدي دراور في كتابيها الشارحين للكتابين المندائيين (ألف ترسر شياله) و (البغرا) إلى أن الماء كان بالنسبة للمندائيين هو النطفة، وهناك اعتقاد يرى أنَّ الماء يحتوي على سائل قادر لا على إخصاب الأرض فقط بل والنساء أحياناً، ويظهر في سيرة يحيى المعمدان : لقد أعطى (أنّش اثرا) (أتشبي) ماءً من (اليردنه) لتشرب، ومن ذلك أصبحت حاملاً من ذلك الماء . (دراوور25 :2006 .)

الكلمة الخالقة (اللوغوس)

كانت القوة الإلهية تتجسد في الأديان القديمة والأديان الموحدة في كلمة الخلق والتي عبر عنها الإسلام بكلمة (كنْ) التي هي أمر الله عزّ وتعالى، والتي كانت كلمة الخلق الطاهرة . لكن الأديان التي سبقت الإسلام كانت مشوشة النظرة في هذا الأمر، وكانت تتخبط في بدئيات حسية مختلفة، فبعد أنْ حلّ العصر الحجري الحديث (النيوليث) في حدود الألف السابع قبل الميلاد، ظهرت المكانة المتميزة للإلهة الأم وللمرأة باعتبارهما عنصر الإخصاب في الطبيعة، وساد اعتقاد خلقي أساس هو قوة الولادة عن طريق الرحم، وكان هذا المبدأ الإلهي النيوليثي يعتمد في ذلك على ما يلمسه الإنسان من قدرة المرأة على الإنجاب .

وما أنْ حل عصر الكالكوليث (الحجري المعدني) حتى انقلبت القوة الإلهية في الخلق، وساد مبدأ جديد هو البزر وقدرة البذور على التوالد عن طريق المطر، وكان المني أساس المعتقد الجديد . وفي العصر السومري ظهر، بالإضافة إلى تلك المعتقدات، مبدأ جديد هو مبدأ (الكلمة) الذي حلّ محلّ الرحم النيوليثي والمني الكالكوليثي، وصار الإله يخلق لا لأنه يخصّب فحسب بل صارت له القدرة على الخلق كلما نطق أو أمر الأشياء أن تظهر إلى الوجود . وهكذا يرى صموئيل نوح كريمر "أن فلاسفتنا السومريين طوّروا مبدأً صار فيما بعد عقيدة في أنحاء الشرق الأدنى كافة، وهو مبدأ القوة الخالقة الكامنة في الكلمة الإلهية . فكل ما كان على الإله الخالق أن يفعله، وفقا لهذا المبدأ هو أن يضع خططه وينطق بالكلمة ويعلن الاسم" (كريمر ب . ت، ص152 .)

وإذا كانت الكلمة الخالقة قد تطورت عند السومريين من الفكرة (نا) إلى الكلمة (كو) إلى الاسم (نام)، ثم تطورت عبر الفلسفة الإغريقية إلى (اللوغوس) ثم

ثبتّها إنجيل يوحنا في بدايته واعتبر أنَّ الله هو الكلمة (اللوغوس)، ثم جاء الإسلام لينظف الكلمة من تشويشها ويعلنها أمرًا إلهيا مطلقًا (كن فيكون)، نقول إذا كانت قد تطورت في طريق شاق طويل لتصل إلى التجريد الإسلامي الخالص، لكنها كانت غارقة في أصول حسيّة فما هي هذه الأصول؟

في تقصينا المتواصل لأصول اللوغوس السومرية وجدنا، بما لا يقبل الشكّ، أنَّ الكلمة كانت تشير في السرديات السومرية إلى (مني إنليل)، وهو الهواء المبلل بالمطر أي المطر أو (مني إنكي) أو الماء العذب، وفي الحالين كان ذلك يدل على الماء المخصب، فالكلمة هي الحكمة والمطر وهي بذور الماء وهي الماء الغمر، ولنتأمل فيما تقوله هذه السردية الأسطورية عن كلمة الإله إنليل التي لا تتبدل :

تقارب السماء فيكون الفيض،

من السماء ينزل الفيض إلى الأرض،

تُلامس الأرضَ فتكون الوفرة، من الأرض تصدر براعم الخصب،

حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب،

كلمتك هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد . (كريمر81: 1986 .)

وفي ترنيمة غنائية غريبة موجهة إلى الإله (ننورتا) الذي كان في الأصل متكفلاً بالريح الجنوبية العاصفة، إله الحرب الذي يهاجم البلاد المتمردة، إلا أنه كان معروفاً ايضا بوصفه (فلاح إنليل) :

المني الذي يهب الحياة، البزرة التي تهب الحياة

ملك نطق باسمه إنليل، المني الذي يهب الحياة البذرة التي تهب الحياة

ننورتا، الذي نطق باسمه إنليل، يمليكي، سوف أنطق باسمك مرة بعد مرة،

ننورتا، أنا رجلك، رجلك

سوف أنطق باسمك مرة بعد مرة،

يا مليكي، النعجة ولدت الحمل،

النعجة وضعت الحملَ، النعجة ولدت الشاة الحسنة،

سوف أنطق باسمك مرة بعد مرة (كريمر 1986:84)

ولنلاحظ علاقة المني باسم إنليل الذي هو الكلمة وهي ما نراه في قصائد وسرديات آلهة آخرين .

وفي الأساطير المصرية القديمة يتولى الإله (بتاح) مهمة الخليقة في ممفيس حيث يخلق عن طريق فتح فمه وعن طريق لسانه، فهو الذي يخلق كل الآلهة والبشر عن طريق الكلمة، ولكنه من ناحية أخرى كان الإله (خنوم) يدير دولابا فخاريا يضع عليه نماذج أو هياكل جاهزة لمن سيخلقهم، وهذا الدولاب يملأ بالطين والماء .



الإله خنوم يصنع الإنسان على دولابه الفخاري

ماء وتراب الإنسان (الصلصال)

تجمع الكثير من أساطير الخليقة الشرقية القديمة على أنَّ الإنسان خلق من الماء أولاً، وربما خالط هذا الماء مواد أخرى كالتراب أو الدم، ولكن الماء يبقى هو الأساس في خلق الجسد، ولعلَّ الأساطير السومرية تمثل أقدم الأساطير الشرقية القديمة التي تجسد خلق الإنسان من الماء، وهناك أكثر من أسطورة ومروية في هذا المجال، ولكن أشهرها

تلك التي يقوم فيها الإله إنكي بخلق الإنسان بمساعدة من الإلهة الأم (نمّو) والإلهة (ننماخ)، فهي تصف الخلق كما يلي :

نهض الإله إنكي على كلمات والدته (نمّو)

ودخل إلى القاعة المقدسة، وأخذ يضرب فخذه وهو يفكر

الحكيم، العليم، البصير، الذي يدرك كلّ شيء وكل فنّ

جلب الأيدي وصاغ صدره (صدر الإنسان)

إنكي، الخالق وصنع داخل مخلوقه شيئا من حكمته

ونادى أمه الإلهة نمّو (وقال لها)

أمي : المخلوق الذي أوجدته، اربطي به عمل الآلهة

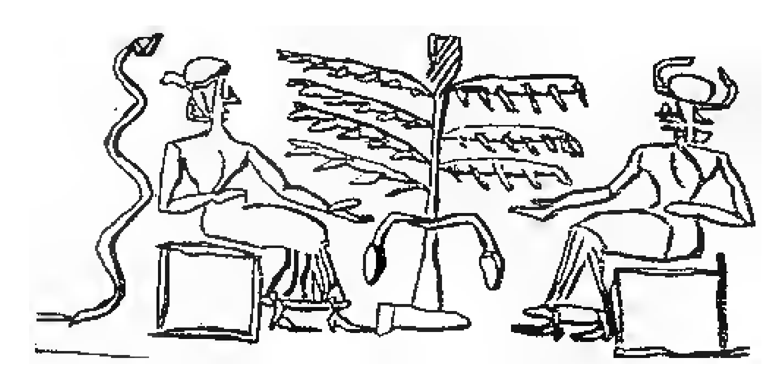
وبعد أنْ تخلطي الطين الذي تأخذينه من مياه الإبسو

عليك أن تصبغي ال . . . . . والطين وتكوّني المخلوق (الإنسان)

وعسى أنْ تساعدك في ذلك الإلهة ننماخ . (رشيد 19:1981)

وتوضح الأسطورة أنَّ الإله إنكي بعد أنْ يقرر شكل الإنسان وطبيعته من الماء والطين ويدخل فيه حكمته يترك أمر ولادته لننماخ وإلهات الولادة السبع، ثم تقرر نمّو مصيره، أمّا ننماخ فتقرر العمل الذي سيقوم به من أجل الآلهة . لكن هذا الإنسان يعاني من أمراض عديدة ومن عجز، فيقوم إنكي بخلق إنسان آخر عاجز أيضًا، وبلغة الأسطورة غير قابل للخلود (وهذا ما تعمده إنكي لكي لا يخلق إنسانًا يشبه الآلهة يكون خالدا) ويسمي هذا المخلوق بـ (أومول) ومعنى اسمه (يومي بعيد) .

وفي أسطورة سومرية أخرى متأخرة يكون خلق الإنسان من الماء والطين ودم أحد آلهة العمل، الذي يذبح لكي يجري العمل في دم وجسد الإنسان، او من دم إلهين قديمين جدا .



عناصر الفردوس التوراتي في رقيم سومري (حواء وآدم والشجرة والأفعى)

وفي أسطورة الخليقة البابلية يجري خلق الإنسان عن طريق خلط الماء والتراب مع دم إله شرير كان في جيش الإلهة تيامت .

في الأساطير المصرية يجري خلق الإنسان من دموع الإله (رع) التي هي نوع من الماء الإلهي الخاص والتي تتساقط على الهضبة البدائية (بن بن) فيظهر منها البشر .

في الأساطير الصينية يخلق الإنسان على يد (نيويوا) التي تشبه المرأة والحية في الآن نفسه، لقد بات العلم مزودا الآن بأسباب البقاء كلها، ولكنه هادئ ساكن وأحست نيو يوا بالوحدة والملل، ورأت أنه يجب خلق شيء ما آخر لبثّ الحيوية على الأرض، وها هي تجلس يوما على صفة ينبوع، فأخذت قبضة من تراب أصفر بيديها ونظرت إلى صورتها في الماء . (البيديل246 :2005)

3 . ماء الخصب (الزرع والتكاثر)

بعد الخليقة بدأت الكائنات بالتكائر والتناسل، واكتشف الإنسان ضرورة الماء للزراعة منذ معرفته بأهمية المطر، ثم أدرك أنَّ مياه الأنهار يمكن أن تقوم بالدور نفسه، فنظم السدود وسيطر على مياه الطبيعة المخصبة، وسطرت لنا أساطير وملاحم وقصص العالم القديم الكثير من مشاهد صور الماء الذي كان أساس الخصب للنبات والإنسان والحيوان، بل هو مادة الحياة للطبيعة كلّها .

تعمل قوة الخصب التي يسببها الماء أساساً على سيادة انسجام كوني عميق في الحضارات الزراعية الأولى، فالحضارة السومرية هي أول حضارة كبيرة أتت بعد

اكتشاف الزراعة وزيادة ارتباط الإنسان بظواهرها المادية، ونظرة بسيطة للسرديات السومرية تكشف لنا مدى الانسجام الذي يسببه خصب الماء لحياة الإنسان والحيوان والنبات، عندما أصبح الإله (إنليل) سيد الآلهة في المجمع الإلهي أخذ الكثير من صفات الإله (إنكي) الخصبية التي كان الإله إنكي يمتاز بها عندما كان هو سيد الآلهة السومرية في ماضيها غير المدوّن . وهو ما نراه في هذه الترنيمة المرفوعة إلى (إنليل) :

بدون إنليل، الجبل العظيم

لا المدائن شيدت، ولا المقار أسست

لا الاسطبلات شيدت، ولا حظائر الغنم أقيمت

ولا الأنهار، مياهها العالية، جلبت الفيض

ولا البحر أعطانا مختارًا كنوزه الوفيرة

ولا سمك البحر وضع بيضه في الأحواض

ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الأرض الرحيبة

ولا الغيوم المحملة بالغيث في السماء فتحت أفواهها

ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير

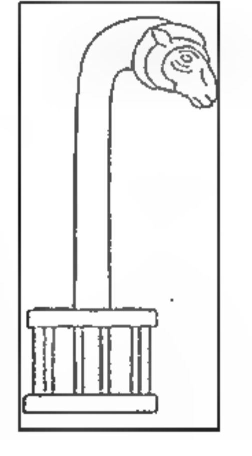
ولا الأعشاب والحشائش في السهوب نبتت

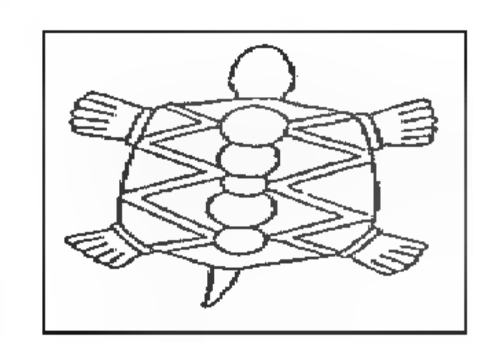
ولا أشجار (الجبل) الكبيرة في البستان حملت ثمارها . . . (كريمر1986:84)



الإله أيا جالس والمياه تنبع من كتفيه







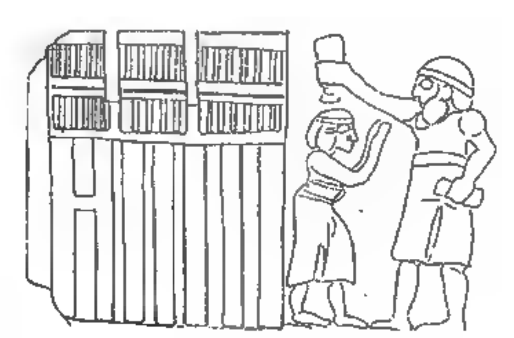
رموز الإله أيا

ولا تخلو نصوص حضارة زراعية قديمة من هذا التأكيد على أهمية الماء معبرًا عنه بالإلهة في الخصب والتكاثر، فالكنعانيون كانوا يحيون سنويًا حفلة انتصار بعل على يم في أعياد خصبية دونتها السرديات الكنعانية (وكان انتصار البعل يدل على انتصار المطر ضد البحر والمياه الجوفية للأرض، وإن اليقاع المطري الممثل للمعنى الكوني، يعوض لانهائية العماء وجدب البحر والفيضانات المدمرة، فانتصار بعل تنتصر الثقة في النظام وفي استقرار الفصول . (الياد 193:2006) .

4 . ماء الطقوس (ماء النور)

كان الماء مادة الشعائر والطقوس الأولى، ففي معظم الحضارات الشرقية القديمة تحول الماء في الأديان أو في أعمال البطولة إلى قوة شعائرية عكست ظلالها على النصوص السردية من أساطير وملاحم، ولعلّ الصابئة المندائيين، سكان البطائح في وادي الرافدين، هم أقدم وأكثر الشعوب الشرقية تمثلاً لطقوس الماء الشعائرية، وبسبب ذلك أطلق عليهم اسم (المغتسلة)، والحقيقة أنَّ سكنهم الدائم عند ضفاف الأنهار يفسّر تقديسهم للماء الجاري الذي يرون فيه مصدر الخلق وصورة من صور الإله الواحد الحي العظيم (هيي ربا) .





طقس سكب السوائل كاهنان بينهما الإناء المقدس إناء سكب الماء المقدس

هناك ثلاث شعائر أساسية للماء عند المندائيين وهي الوضوء (الرشامة) والارتماس في النهر (طماشة) والتعميد (مصبتا) الذي يجري أيام الآحاد، وبخاصة في عيد الأيام الخمسة الكبيسة (البنجه)، ويشكل الماء القاسم المشترك في جميع الطقوس المندائية كالولادة والزواج والموت وغيرها، حتى إنَّ المندائي يبدو مثل كائن مائي، وعلامته المميزة هذا اللباس الأبيض الذي يسمى (الرسته) والذي نراه معلقا على (الدرفش) شعارهم الديني المعروف .

وفي الديانات الفارسية القديمة يظهر الماء كمطهر شعائري من الخطايا، ويذكر البيروني بأن الناس بأمر من (ياما) يغتسلون بالماء ليتطهروا من خطاياهم، ويفعلون ذلك كل عام لينجيهم الله من مصائب ذلك العام، وبالنسبة لرأي آخر فإنَّ سبب الاغتسال هو أنَّ هذا اليوم، يوم رأس السنة، هو يوم (هاروذا) المقدس، ملاك الماء، الذي يتحكم به . ولذلك كان الناس ينهضون من النوم في هذا اليوم مبكرين مع انبثاق الفجر ويذهبون إلى ماء الينابيع والآبار وباستمرار، يأخذون الماء الجاري بإناء ويصبونه على أنفسهم معتبرين ذلك فألا حسناً ووسيلة لنجاتهم من الضرر، وهذا الهاروذا يمكن أنْ يكون

(هاور فاتات)، الروح المجسدة للصحة والإنبات، وبهذا يكون التماثل هنا مع فكرة الصابئيين قويا جداً .

ويرسم هيرودوت صورة لتبجيل الفرس للأنهار والنهيرات، وهنا يظهر مرة أخرى أنَّ هذه عقيدة قديمة أصيلة . إنَّ لدين (مثرا) الفارسي الذي انتشر بسرعة وقوة لينافس الكنيسة المسيحية الأولى ارتماسا في الماء أيضا، وهو رمز واضح لتطهير الروح، كما أنّ لهم أيضًا رسمًا للجبهة وتكريسا للخبز والماء كطقوس الصابئيين . (دراوور2006:142-143)

وبالمقابل فإنَّ المندائيين يرون في الماء شكلا من أشكال الحي العظيم الذي يوحدونه، ولأنه نور خالص فإنهم يرون في ماء الطقوس ماءً نورانيا يغسل الجسد والروح من الأدران ويطهرهما .

وقد كانت الشعائر السومرية والبابلية مفعمةً بالماء، وكذلك شعائر الشعوب الشرقية القديمة التي عكست سردياتها هذا المعنى .

5 . ماء الحكمة (أبكالّو)

تظهر لنا السرديات التاريخية المؤسطرة أنّ الآلهة هي التي علمت الإنسان الحكمة، ويرى السومريون أنَّ الإله (أنكي)، الذي هو إله الماء، هو إله الحكمة والفكر، وهو إله الآداب والفنون، وقد قام بتعليم الإنسان حكمته هذه عن طريق مجموعة من العرّافين والكهنة المؤلهين الذين يطلق عليهم (أبكالو) أي الحكماء السبعة، ويلفظون أحيانًا (أفكالو) سومريا، ولكن المصطلح الأكدي لهم هو (بلوكّو) . ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرّافين، أمّا المصطلح الأكدي فيعني حصراً (مراقبو النجوم)، ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) العربية، فهي قريبة من بولوكو وكذلك من (أُفك) أي الكذب التي تشير إلى فئة الدجالين من العاملين في قراءة النجوم . وقد أظهر نص مكتوب باللغتين السومرية والأكدية أسماء هؤلاء الحكماء السبعة الذين عاشوا قبل الطوفان، ويعتقد أنَّ كل واحد منهم عاصر أحد ملوك ما قبل الطوفان . ويأتي ذكرهم في اللوح الأول من ملحمة جلجامش :

أعلُ فوق أسوار أوروك

وامنش عليها متاملاً

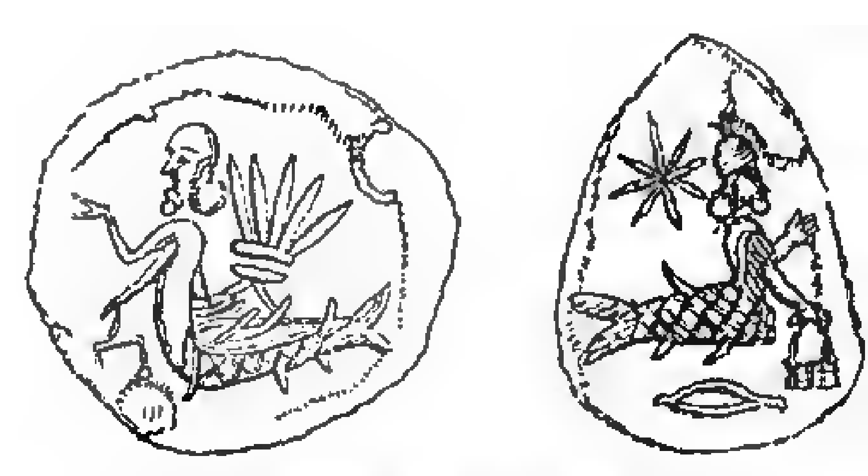
وتفحص أسس قواعدها وآجر بنائها

أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟

وهلاّ وضع الحكماء السبعة أسسها . (باقر74:1981 .)

ولعل أشهر هؤلاء الحكماء السبعة هو (آدابا) المعروف بقصته في العروج إلى السماء ومحاولة الخلود . لكن اللافت للانتباه في هؤلاء الحكماء جميعا أنّهم يرتدون لباسًا سمكياً يشبه جسد سمكة كبيرة ذات رأس مميز وحراشف وذيل سمكي، فما سرّ هذا الرداء وما علاقتهم بالسمكة؟

يخبرنا الكاهن البابلي (برعوشا) أو (بيرسوس) الذي عاش في ظلّ الثقافة الهيلنستية في وادي الرافدين أنَّ البشرية شهدت في فجرها ظهور كائن خرافي، كان على هيئة سمكة اسمه (أون) وبالصيغة الهيلينية (أوانيس)، علم حكمة الإله (إنكي) للبشرية، وكان يخرج من الماء بين فترة وأخرى معلمًا هؤلاء الكهنة السبعة أصول الحكمة والعلوم الأولى، وكان هؤلاء الحكماء بمثابة كهنة لهذا الكائن، والحقيقة أنَّ هذا الكائن ما هو إلا شكل آخر من أشكال الإله (أنكي) أو (أيا) باللغة الأكدية، وهو إله الماء . وهكذا يكون الماء مصدر الحكمة في هذه السرديات القديمة .



Oannes on gemstones in the British Museum

أوانيس على أختام سومرية

ويبدو أن أسطورة الحكماء السبعة انتشرت في كل العالم القديم، فالفرس والهنود والصينيون والإغريق لهم، كل على حدة، حكماء سبعة شادوا لهم حضاراتهم القديمة وعلموهم فنون الحكمة والعمران .

إنَّ ظهور الحكماء السبعة مع ملوك ما قبل الطوفان يشير، من وجهة نظرنا، إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أنَّ الملوكية عندما نزلت من السماء فلا شكّ أنَّها نزلت من الإله (آن) الذي سلمها إلى (أنليل)، وهو المسؤول عن الملوكية أو السلطة . أمّا الحكمة فإنَّها خرجت من الماء وأخرجها كائن مائي أسطوري هو الإله (أنكي) أو (إيا) نفسه إله الحكمة والماء، وبهذا المشهد يتكامل ظهور أكبر الآلهة على الأرض من خلال ممثلين عنهم من البشر هم (الملوك والحكماء) . ولنتأمل في هذا المقطع المأخوذ من كتاب (بابلونيكا) للكاهن برعوشا : إلى بلاد بابل، قدم من مناطق أخرى، عدد كبير من الناس وتمركزوا في بلاد الكلدان، حيث عاشوا حياة جهل، تماثل معيشة الحيوانات .

وفي سنة أولى آنذاك، ظهر على الشاطئ كائن غير عادي خرج من البحر الأحمر وسمي (أوانس) . جسده كامل، كان جسد سمكة وله تحت رأس السمكة رأس آخر بشري، وكذلك رجلان مماثلتان لرجلي إنسان، وهذا المظهر تمَّ الاحتفاظ به في الذاكرة، إذ لا يزال يمثل على هذا الشكل حتى في أيامنا هذه . وكان هذا الكائن الحي يمضي نهاره مختاطًا بالبشر دون تناول أيّ طعام، كما كان يعلمهم الكتابة والعلوم والفنون وبناء المدن وبناء المعابد وأصول المحاكمات والهندسة، وكشف لهم أيضاً عن كيفية زراعة الحبوب وجني الأثمار، وقد علمهم إجمالاً كل ما يشكل أسس الحياة المتحضرة . (الشواف1997 ج283:3-284).

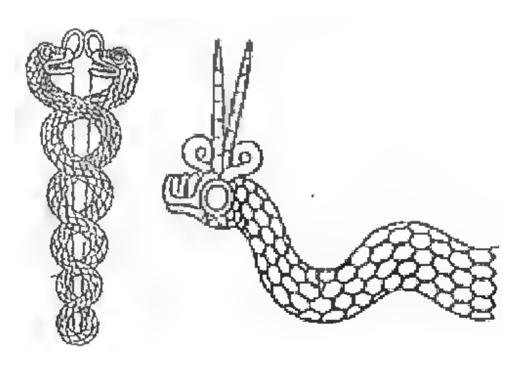
6 . ماء الطب والشفاء (آسو)

عرف الطبيب في اللغة السومرية بـ (آزو) أو (آسو) وتعني حرفيا (المعرفة بالماء) أي الشخص الذي يكتشف المعرفة من الماء كما يقول كونتينو، وتأتي هذه القرينة بين الطب والماء من حقيقة أن الطبّ يعني الحياة والماء هو مصدر الحياة، ويعتبر الإله أنكي رب الطب الأعلى، فهو إله الماء الذي هو مادة الطب .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الملك السومري (أنميدار انّا)، وهو الملك السابع قبل الطوفان ويسمى أيضًا (أنميدر أنكي) هو أول طبيب في التاريخ، وهو الذي اخترع الطريقة الخاصة بالعرافة والتي تسمى (عرافة الإناء)، وتعتمد على صبّ الزيت والماء في إناء أو طشت ومعرفة ما يعانيه المريض أو معرفة المصائر بعامة من خلال ذلك . وبذلك يكون الماء مادة العرافة والسحر أيضًا . فالعرافون يرون فيه أحداث المستقبل، والسحرة يستخدمونه في الكثير من أعمالهم وخصوصًا في الأعمال المضادة للسحر الأسود .

ويرى العراف في وادي الرافدين أنّه إذا ما تكونت حلقة كاملة (بعد صبّ الزيت على الماء) واتجهت نحو الشرق كان ذلك في نظره فألا حسناً . أمّا إذا انكسرت الدائرة فهو فأل سيئ . ويعتبر تكون الحلقة على سطح الماء واتجاهها كاملة دون أنْ تنكسر نحو الشرق فألاً حسناً لمن يعزم على السفر، وعلامة جيدة لشفاء من يعاني من مرض . أمّا إذا تكونت حلقتان كبيرتان وأخرى صغيرة فهو فأل حسن، إذ تلد الزوجة ولدًا وسوف يشفى المريض من مرضه، أمّا انتشار الزيت فوق سطح الماء فكان نذير شؤم عند صاحب العرافة . (علي 70: 1979 .)

وقد وضع السومريون الشعار الأول للطب في التاريخ والذي ما زال يستخدم إلى يومنا هذا، وهو عبارة عن ثعبانين يلتفان على عصا بينهما ويرمز الثعبانان إلى الإله ننكشزيدا . وهو إله الطب ألسومري .



رمزا الإله ننكشزيدا

لقد ظهرت كلمة (شامان) التي تعبر عن طبيب وساحر القبائل فهو سيد الطقوس المهمة، ومن مهماته توسل الرخاء والعافية والخصب للناس والحيوانات، ووفرة طرائد الصيد والأسماك، والطقس الجيد لدى الآلهة والأرواح، ومن بين واجباته أيضًا

تخمين نوايا العدو ومدّ يد العون لأبناء القبيلة كي يحققوا النصر . والشامان هو الذي يكشف عن أسباب المرض ويداوي المرضى، وهو الذي يرافق الأرواح إلى العالم الآخر، ويستطيع الشامان أنْ يقرأالمستقبل، ويعثر على الأشياء المفقودة، ويحدّد أماكن وجود الحيوانات التائهة . (البيديل131:2005)



الشامان

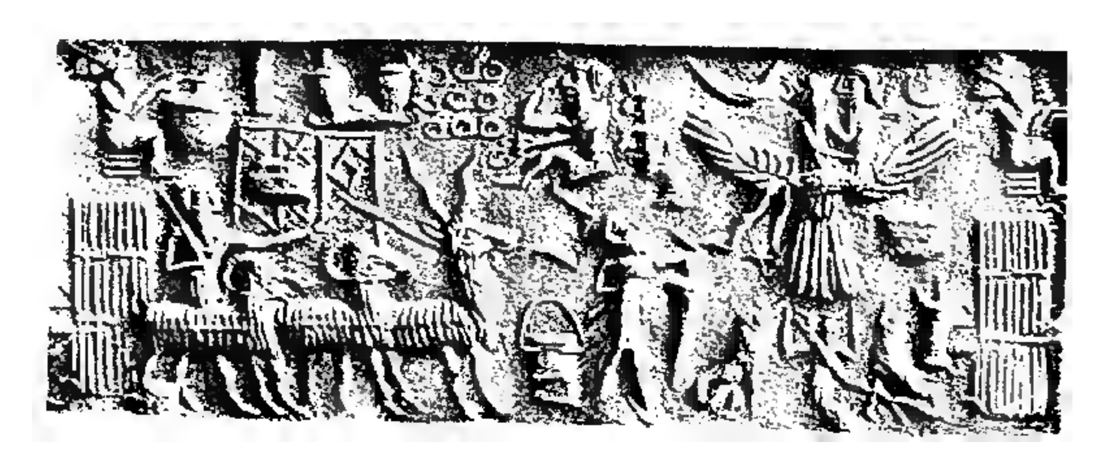
http://www.firstpeople.us/pictures/challenger/JD-Challenger-Wisdom-Of-The-Shaman.html

والسرديات الشرقية القديمة تتناول هنا وهناك في الأساطير والملاحم والقصص قوة الماء الشافية وقدرته على أنْ يكون مادة الطب الأساسية، وخصوصاً عند الشعوب البدائية وفي فولكلورها الشعبي .

7 . ماء الخلود (سوما)

تراوحت محاولات نيل الخلود عن طريق ماء الخلود في السرديات الرافدينية بين الفشل والنجاح، ففي قصة (ادابا)، الذي يصعد إلى السماء، يفشل بشرب (ماء الحياة) الذي يجعل منه خالدا ومعه (طعام الحياة)، حيث يقدمهما له إله السماء نتيجة التحذير المبالغ فيه أو المقصود من قبل الإلهين (دموزي وننكشزيدا) الموجودين في

الأعالي . لكن (إيتانا) ينجح في الحصول على عشبة الإنجاب عندما صعد إلى السماء .



صعود إتانا للسماء

أمّا المخلوقان اللذان أرسلهما الإله أنكي لإعادة الحياة إلى الإلهة (أنانا أو عشتار)، التي هبطت إلى العالم السفلي وماتت هناك، فإنّهما ينجحان في إعادة الحياة إلى الإلهة ويصعدان بها إلى الأرض بعد أنْ ينثرا عليها ماء الحياة ستين مرة وطعام الحياة ستين مرة :

ذهب نمتار، وقرع باب ايكالجينا،

وزيّن عتبات الأبواب بالمرجان

أخرج الانوناكي وأجلسهم فوق عروش ذهبية

رش عشتار بماء الحياة وجاء بها إلى أختها

أخرجها من الباب الأول وأعاد لها رداء جسدها الفاخر . (دالي197 : 1997)

وتنمو عشبة الخلود في ملحمة جلجامش في البئر أو المياه العميقة، ومعنى اسمها (يعود الشيخ إلى صباه) ويرى الأستاذ طه باقر أنَّ هذه العشبة ربما تكون نبات العجرم .

ويؤكد المندائيون على خلود الروح (نشماثا) دون خلود الجسد الذي يعتبرونه موطن الشر، وتتناول سردياتهم الروحية وخصوصا في كتاب (كنزا اليسار) رحلة

الروح من الجسد والأرض إلى عالم النور، وهي رحلة شاقة وطويلة، لكن ماهية الروح عند المندائيين مرتبطة بالماء، فهي جزء من الـ (مانا) الكوني الذي يعم الكون، وهو روح مائي خصبي شامل، لكنه بعيد عن التجسد المادي، فهو روح نوراني حيث الماء والنور هما أساس طبيعة الروح الصغرى أو الكبرى .

هذا ما نراه أيضًا في السردية المانوية الغنوصية المسماة (أغنية اللؤلؤة) التي تصف بطريقة رمزية رحلة الروح إلى الجسد ثم عودتها من الجسد إلى عالم النور .

وفي السردية الكبرى للهنود (راغ فيدا) يخصص الكتاب التاسع منه للإله (سوما) السماوي الأصل، ومشروب السوما هاوما هو (ماء الخلود) الذي عندما يشربه مريدوه فإنّهم يقفون بوجه الموت ويخلدون :

لقد شربنا السوما، لقد أصبحنا خالدين، بوصولنا للنور وجدنا الآلهة . ماذا يستطيع أن يفعل الخبث لفانٍ أيّها الخالد . إنّنا نتضرع لسوما ليمدّ في عمرنا، لأنّه حارس أجسادنا، وإنَّ المتاعب الغباء والأمراض قد أخذت بالهرب . (إلياد296: 2006)

إنَّ السوما تنعش الفكر، وتعيد نشاط الشجاعة للمحارب، وتزيد الحيوية الجنسية، وتشفي الأمراض . إنَّ شربها من قبل الكهنة والآلهة معا، يقرب الأرض من السماء، ويقوي ويمد في أجل الحياة، ويضمن الخصب . وفي الواقع إنَّ التجربة الوجدية تكشف في ذات الوقت عن الكمال الحيوي، وعن معنى الحرية بلا حدود، وعن امتلاك قوى طبيعية وروحية لا يتسرب إليها الشكّ . من هنا الشعور بالمشايعة مع الآلهة بل الانتماء إلى عالم الألوهية، واليقين بعدم الموت . أي بحياة كاملة في الدرجة الأولى ممتدة إلى ما لانهاية له . (إلياد 296: 2006)

وتذكر السرديات الشعبية المدونة حادثة رحيل الاسكندر المقدوني نحو المكان الذي تغرب عنده الشمس، وكيف أنّه والرجل الذي معه (وهو الخضر في الروايات الإسلامية) شربا من ماء الحياة فخلدا هناك، والحقيقة أنَّ السرديات الوسيطة هي التي تخلط علينا صورة هذه الحادثة بينما تذكرها السرديات القديمة بوضوح، والغريب أنَّ اسم (سوما) يرافق سردية الاسكندر المقدوني ويتماهى مع شخصية أخرى هي شخصية (سميراميس) التي كان اسمها الحقيقي هو (سوما رامات) أي محبوبة الحمام؟



الإسكندر الكبير (356-323 ق . م)



سمير أميس (سومورامات، شميرام) نحت آشوري (805-800 ق . م)

8 . ماء الأمراض (الماء الفاسد)

تمثل مياه الهيولى المتبقية في العالم الحالي ومياه العالم الاسفل أكبر مصدرين للأمراض والشرور، فمنها تخرج آلهة وكائنات وشياطين الأمراض كلها تقريبا، لكن بعضها يكون على شكل ناري وبعضها على شكل مائي فاسد . وهكذا تظهر (تيامت) البابلية كأكبر مصدر للشر وهي تستخدم حيواناتها كمصدر للأمراض (الأفعى، التنين، الأسد ذو الرأس البشري، الأسد الضخم، القلب المسحور، الإنسان العقرب، العفاريت

الضخمة بشكل أسود، الذبابة التنين، الحصان برأس إنسان وصدر إنسان) وكانوا بمثابة الأسلحة لتيامت، وهكذا نلمح المرأة أنثى كمصدر من مصادر المرض والشر والخطيئة، وهو ما سنجد صداه لاحقاً في المثولوجيا العبرية عبر (حواء) . يحفل العالم الأسفل بقصص وروايات كثيرة عن آلهة الأمراض التي تطفح وتهاجم العالم الأرضي بين حين وآخر وتحاول أن تشيع فيه الأمراض والأوبئة والخراب، وما حكاية (اللابو) إلا دليل على ذلك، فهذا الوحش الجبار الذي يخرج من أعماق المياه السفلى محملاً بالأمراض التي ينشرها على الأرض . وهناك نص آخر حول (ايرا) الذي يخرج من جوف الأرض وينشر الطاعون بعد أنْ يختطف الإله مردوخ من بابل إلى العالم الأسفل . وتتكرر صورة المياه الفاسدة التي تجلب الأمراض في قصص (كور) و (أساج) و (بشمو) وهي تنانين مائية تخرج من العالم الأسفل ويتصدى لها أبطال من الآلهة ليهزموها ويحلوا المياه العذبة محلّها لتعود الأمور كما هي .

وفي التراث الكنعاني هناك قصص البعل ويم وفي التراث العبري، إشارات لصراع يهوا مع لوثيان تنين المياه الهيولية . وفي السرديات المندائية التي يحفل بها الـ (كنزا ربا) هناك الكثير من حكايات صراع الملاكين (منداد هيي) و (هيبل زيوا) مع كائنات الظلام التي تسبب الأمراض والفساد .

9 . ماء الدم (ماء الحروب)

عندما يكون الدم محقونا يكون الماء الذي فيه وظيفياً من أجل استمرار الحياة وخلقها، لكن الدم عندما يهدر يصبح ماء رخيصًا يرمز إلى الموت، ولا شكَّ أنَّ الحروب هي العامل الأكبر في هدر الدم البشري وإشاعة الموت، وما أكثر ما تحفل به الأساطير والملاحم وكل سرديات العالم القديم والمعاصر بالدماء التي هي ماء الحروب وإشارة إلى موت الإنسان والحيوان .

كان الدم قديما أحد عناصر التضحيات الشعائرية، سواء كان هذا الدم بشريًا أو حيوانيًّا، وغالبا ما تقدم مثل هذه الأضاحي للنذور ولإرضاء الآلهة، وهي دماء شعائرية . لكن دماء الحروب لم تكن سوى نتائج العنف البشري المتمثل بتصادم التوجهات واختلاف الأفكار والعقائد والطمع بالسلطة والمال، وبإمكاننا إحصاء ما لا حصر له من سرديات الدم التي تحولت فيها وظيفة الماء من خلق إلى موت، وكان الماء هنا رمزا لها

وليس سببا . لكن أقدم اسطورة في هذا المجال هي أسطورة (وهي أسطورة مدهشة حقا : أنانا والفلاح شوكاليتودا) التي تسرد لنا ما حصل للإلهة أنانا (ملكة السماء) عندما هبطت، ذات يوم، إلى الأرض وأرادت أنْ تستريح من رحلتها في حقل بستانيّ إنكي (شوكاليتودا) الذي تعجبه مفاتنها وهي نائمة فيقوم باغتصابها ويهرب قبل أنْ تفيق، وحين تفيق أنانا تقرر الانتقام من البستاني الذي اختلط بالسكان ولم يعد بالإمكان العثور عليه، فتعمل الإلهة على إغراق الآبار وأحواض البساتين بالدم :

بسبب فرجها المهان!

ملأت بالدم جميع آبار البلاد

جرّت الدم إلى أحواض البساتين كلها

إن ذهب خادم لجمع الحطب : لم يكن يشرب سوى الدم!

وإنْ ذهبت خادمة لجمع الحطب : لم تكن تعود إلا بالدم!

ولم تشرب الرؤوس السود كلّها سوى الدم!

وهي، إنانا، كانت تقول : سأكتشف المعتدي عليّ أينما كان!

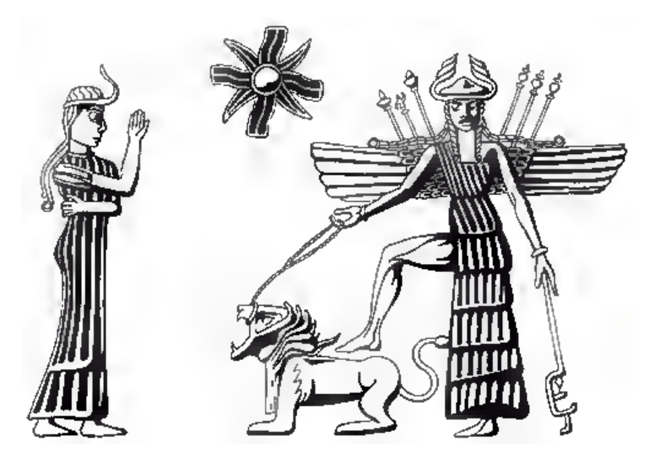
ومع ذلك، وأينما وجد

لم تخرج قط من أهانها من مخبئه

كم من قصة نسجت حول ذلك!

كم من رواية، كذلك، رددت! (الشواف1997 ج3:92)

ويكون الدم هنا بمثابة نذير بالموت الجماعي والذي سيكون مناظرا لما حصل في الطوفان لاحقا، يوم أغضب الإنسان الآلهة وجعلها تنتقم منه . ويأتي العقاب الثاني، في الأسطورة، عن طريق إطلاق الرياح والغبار في البلاد، والعقوبة الثالثة هي سد طرق البلاد، لكنها تعرف أنَّ البستاني محميّ من قبل أنكي في مقره فتأخذه إلى السماء، حيث مقرها الأصلي، وتحوله إلى نجم في السماء لكن ذكراه تبقى، كما تعد إنانا أنكي، في أغاني الشعراء على الأرض تردد في قصور الملوك وفي أغاني العامة وهم يمخضون قربة الحليب .



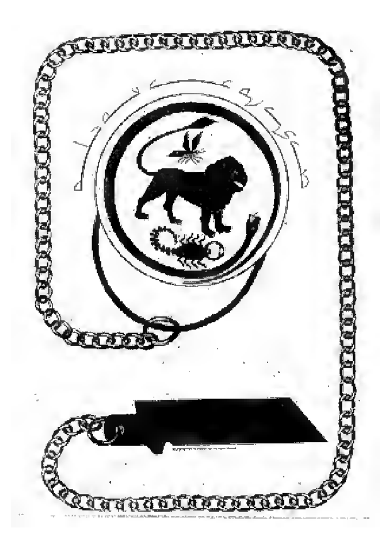
إنانا كإلهة للموت والحرب

10 . ماء الظلام (روها)

رأى الصابئة المندائيون أنَّ الوجود الذي نحن فيه ينقسم إلى عالمين : الأوّل هو عالم النور (المي دنهورا)، حيث يظهر في الخالق (هيي ربا) بنوره الباهر ممتزجا بماء الحياة (هيي) الذي هو الماء الجاري (يردنا) والذي تخلق وتعمد فيه كائنات عالم النور . أمّا العالم الثاني فهو عالم الظلام (المي دهشوخا) الذي يظهر فيه كائن الظلام العملاق (أور) ومعه أمّه (روها) سيدة الظلام التي هي ماء الظلام الراكد العفن الذي يخفي أسرار الشرّ والموت . ويجري الصراع دائما بين هذين العالمين، أمّا الأرض فهي نتاج هذا الصراع بينهما، فهي مصنوعة من مادة مظلمة بشكل عام، لكن جريان الأنهار فيها ووجود الأنفس والأرواح البشرية سجينة في الأجساد يضع العالم النور حصة في هذا العالم الأرضي . وقد حفلت السرديات المندائية والثنوية عموما (مثل الزرادشتية والزرفانية) بالكثير من القصص والأساطير التي أظهرت ماء الظلام في صور مختلفة وغريبة حافلاً بالأسرار والمعاني الغامضة .

تتحدث السرديات المندائية عن أصول وجذور عالم الظلام، فتقول على لسان (قن) الأم العتيقة، وهي أمّ روها وجدة أور بأنهم أتوا من ثلاثة أصول هي : (تنّا) الدخان أو الينبوع، و (نصبتا) وهي الأغراس، و (ساخا) وهي أقصى نهايات الماء الأسود، وحين يقول لها (هيبل زيوا) ممَّ جبلتم؟ تقول له من ثلاثة هي قوة واستقرار الظلام، السرّ الخفيّ الذي يحرسه عمالقة وجبابرة الظلام، العين التي لا نهاية لها، ولها نبع فيه مرآة، وهذه العين ذات الماء الأسود، فيها مرارة وجمرة تكوّن صلابة

عوالم الظلام وكثافتها، أما المرآة فكانت العين التي ينظر فيها كائنات الظلام إلى قسماتهم فيعرفون ماذا ينبغي عليهم أنْ يفعلوه . (كنزا ربّا اليمين 5:1 ص163 .)



السكندولة التي ترمزإلىعناصر الظلام

وتفصح الأساطير المندائية عن أنَّ الماء الأسود (ميا سياوي) هو الماء الآسن، وله سبعة أنهار مظلمة توصف بأنّها (شرايين أرض سينياويس) والتي يغلي فيها الماء الأسود وتسمى (البحر المضطرب)، أو (الماء المظلم) . وتدور أغلب السرديات حول الروها وأور، ويتم تشبيههما بالحيوانات الشريرة، فالروها تسمى أيضًا (هيواث) التي تعني حيوان بالآرامية، ونمروس المصحفة عن نمرود وغيرها . أما (أور) فيسمى بـ (المارد) والأفعى والعملاق والدودة والمحارب الأحمق والشرير همبالا (المفسد) . ولعل أكثر السرديات تشويقاً هي رحلة (منداد هيي) إلى عالم الظلام، والتي يذكرها كتاب الكنزا ربا بالتفصيل، والتي يقوم فيها هذا الملاك النوراني بالهبوط إلى عالم الظلام لكي يفتح طريقاً إلى عالم الظلام الغامض، ولكي يقيد أور ريثما يتم خلق الأرض، ولكي يصنع طريقًا آمنا لهبوط وصعود الكائنات النورية والروح (نشماثا)، ويصارع أور في ماء الظلام بشراسة ويسيطر عليه .

وهناك سردية أخرى عن رحلة الملاك النوراني (هيبل زيوا) إلى عالم الظلام، وهي بلا شكّ أعظم السرديات القديمة في هذا المجال، والتي تشكل ملحمة حقيقية عن صراع النور والظلام، وتخبئ في داخلها الكثير من الأسرار المثولوجية .

ويشكّل ماء الظلام المكان السلبي الذي تعكس فيه وظائف الماء الإيجابية، فهو ماء الشر والمرض والفناء والموت والخراب والحواس والخوف والدم والفواجع .

11 . ماء الدمار (الطوفان)

تسرد لنا ملحمة كلكامش المحفوظة في اثني عشر لوحاً من ألواح الطين حكاية الطوفان الذي احتفظت به الذاكرة البشرية وصاغته بطريقة أسطورية وملحمية عند مختلف الشعوب . ورغم أنَّ أقدم سردية للطوفان في التاريخ هي السردية السومرية التي تتحدث عن بطل الطوفان السومري (زيوسيدرا)، أمّا ملحمة جلجامش فتسرد الطوفان على لسان بطلها (أوتونابشتم) بالكثير من التفاصيل التي تفوق النسخة العبرية المتأخرة في التوراة .

في الطوفان يتحول الماء من مادة للحياة والعمران إلى مادة للموت والخراب، حيث يسقط المطر الكاسح من السماء بأمر إله السماء (آن) وإله الهواء (إنليل) وينفتح قفل السماء فتفيض الأرض ويحصل الطوفان، لكن الإله (إنكي) المحب للحياة وخالق الإنسان وإله الأرض لا يشارك بهذا الدمار وينقذ الإنسان والحياة من الطوفان عندما يسر إلى زيوسيدرا ببناء سفينة وإنقاذ البشر :

وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير والعواصم

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليال

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

(وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذ) فتح زيوسدرا كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسيدرا أمام الشمس

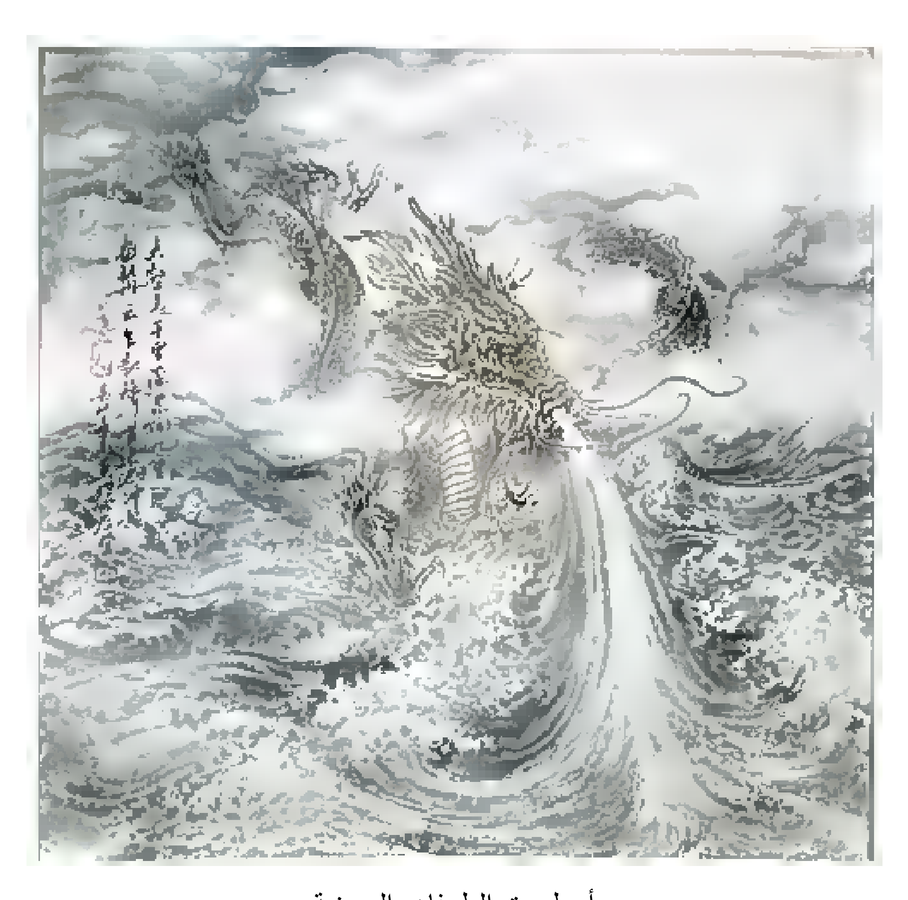
ونحر الملك (زيوسدرا) أعدادا كبيرة من الثيران والأغنام . (علي121 : 1975)

يرى مرسيا إلياد أن نهاية العالم على هذا النحو ليست بالنهاية الجذرية، بل إنَّ نهاية البشرية يعقبها ظهور بشرية جديدة . لكن غمر المياه للأرض بصورة كلية أو حرقها بالنار كليا، يعقبه ظهور أرض عذراء، إنّما يرمز إلى الانكفاء وإلى العماء وإلى ولادة كونية . ويرى أيضًا أنَّ الطرفين يرتبطان بخطأ طقسي يثير غضب الكائن الأعلى . ويحدث أحيانا نتيجة لشهوة كائن إلهي لوضع حدّ للبشرية، ولربما كان السبب الرئيسي المختفي خلف ذلك هو خطايا الناس وشيخوخة العالم ووهن قواه، وبذلك يفتح الطوفان الطريق إلى خلق جديد للعالم وولادة جديدة للبشرية .

وهكذا يكون الماء هنا مطهّرا من خطايا العالم والناس فهو أشبه بمادة طقوسية تلفّ بشعيرتها الأرض كلّها . ويظهر الطوفان في سرديات أغلب الشعوب التي أظهرت سرديات خليقتها نشوءاً وخلقا عن طريق الماء .

فالأموريون والأراميون، على سبيل المثال، بدأت خليقتهم بالهواء والريح وكذلك كانت أساطيرهم الاسكاتولوجية (نهاية العالم) عن طريق الريح، ونفتقد لأسطورة طوفان في الأساطير المصرية لتعدّد أشكال الخليقة عندهم .

من ناحية أخرى كانت السرديات الصينية عن الطوفان تتحدث عن تنين يدعى (كونكون) ضرب السماء برأسه ضربة تهاوت من شدة قوتها أعمدة السماء كلّها فانهارت السماء على الأرض وغمرتها بالمياه . وحسب الخرافات الأندونوسية فأنَّ الأرواح الشريرة هي التي تسببت بالطوفان بمكائدها . فبسببها حدث مد عال لم يعرف له مثيل من قبل غمر الأرض كلّها . ولم ينج منه سوى امرأة واحدة علقت جدائل شعرها بشجرة، ولذلك لم تحملها الأمواج إلى المحيط . لقد كانت وحيدة وخائفة، فأخذت ترمي الحصى على الغرقى الذين كانوا يتأرجحون على أمواج الشاطئ، فدبت الحياة في هؤلاء وعادوا أحياء . (البيديل337 : 2005)



أسطورة الطوفان الصينية

http://www.squidoo.com/dragon-legend

12 . ماء الموت (الفناء)

في نوعين مهمين من السرديات الاسكاتولوجية وهي (الهندية والمندائية) نصادف فناء مطلقًا أكبر من الطوفان وأبعد، فرغم وجود أسطورة الطوفان لكن نهاية العالم ستكون كارثية وبطريقة شاملة . الأساطير الهندية تروي نهاية العالم بالجفاف والحرق والمياه دون أنْ يبقى من البشر أحد، ويتحول العالم إلى كتلة مائية مخيفة ليس فيها علامة من علامات الحياة، ولن يكون هناك سوى الثعبان المهول (شيشو) يتأرجح على سطح المحيط و (فيشنو) يغفو ناعما على ثنياته، ولن يتجدد العالم إلى أنْ يستيقظ .



ماتسيا (سمكة سنسكريت) وهي أحد أشكال فشنو

http://www.absoluteastronomy.com/topics/Flood_(mythology)

أمّا في الأساطير المندائية فيمرّ العالم بأربع نهايات عن طريق القتل بالسيف أو الطاعون والحريق الأرضي والطوفان، والرابع هو الكارثي الذي ستزول به الأرض، وسيكون عن طريق الريح التي تعصف بكل شيء، ومثل مياه الطوفان المدمرة تذكر (مياه الموت) التي ربما هي بقايا مياه الطوفان، نجدها في ملحمة جلجامش عندما يعبر جلجامش مع أورشنابي إلى دلمون حيث يسكن أوتونابشتم حالا مع زوجته، حيث يعبرها جلجامش بحذر :

بلغ أورشنابي المياه المميتة

خاطبه أورشنابي، خاطب جلجام قائلا :

ابق بعيدا عن الماء يا جلجامش وخذ كل وتد على حدة

لا تدع المياه المميتة تلوّث يدك، أمسك المقبض

خذ ثانياً، وثالثاً، ثم وتداً رابعاً يا جلجامش

خذ خامساً وسادساً ثم وتدًا سابعًا ياجلجامش

خذ وتداً ثامنًا وتاسعًا ثم وتدًا عاشرًا ياجلجامش

خذ الوتد الحادي عشر ثم الثاني عشر ياجلجامش

وخلال مسافة سبعمائة وعشرين مترًا، كان جلجامش قد استهلك جميع الأوتاد .

(دالي 123: 1997-133)

هكذا عبر جلجامش مياه الموت، ولو أنَّ قطرة مست يده لهلك، فما هي مياه الموت هذه؟

نرى أولاً أنَّ هذه المياه تفصل بين عالم البشر الفاني الذي عاش فيه جلجامش وعالم البشر الخالدين الذي يعيش فيه جلجامش وزوجته وقائد مركبه، وهذا يعني أنَّ هذه المياه تفصل بين عالمي الموت والخلود ولا تسمح للبشر بعبورها، ونرجح أيضًا أنْ تكون هذه المياه من بقايا مياه الطوفان الذي فصل بين زمنين، والذي كان مهلكًا أيضًا . أي أنَّ مياه الموت هذه ذات وظيفة تدميرية هي الأخرى بعد الطوفان .

وهناك مياه أخرى تذكر بالموت، وهي المياه الموجودة في الانهار أو النهر الذي يفصل بين عالم الأرض والعالم الأسفل، وتنتقل فيه أرواح الموتى بعد الموت، وتسمي السرديات الرافدينية هذا النهر (خبر)، بينما يسمى عند الإغريق (ستايكس)، وله أسماء مختلفة في سرديات الشعوب الأخرى . ولعل أشهر أسطورة يرد فيها ذكره هي أسطورة أنليل وننليل وغيابهما في العالم الأسفل .



نهر ستايكس

http://members.tripod.com/Snyder_AMDG/ImageMan.html

ينتقل الماء في فقه دائري عجيب بين أربع محطات كبرى وتحركه، في السرديات الشرقية، شحنة المثولوجيا والملاحم بقوة، وهذه المحطات هي :

1 . **مياه الخليقة :** وتبدأ من مياه الهيولى الساكنة العمياء نحو المياه المتحركة التي تخلق العالم والإنسان (مياه

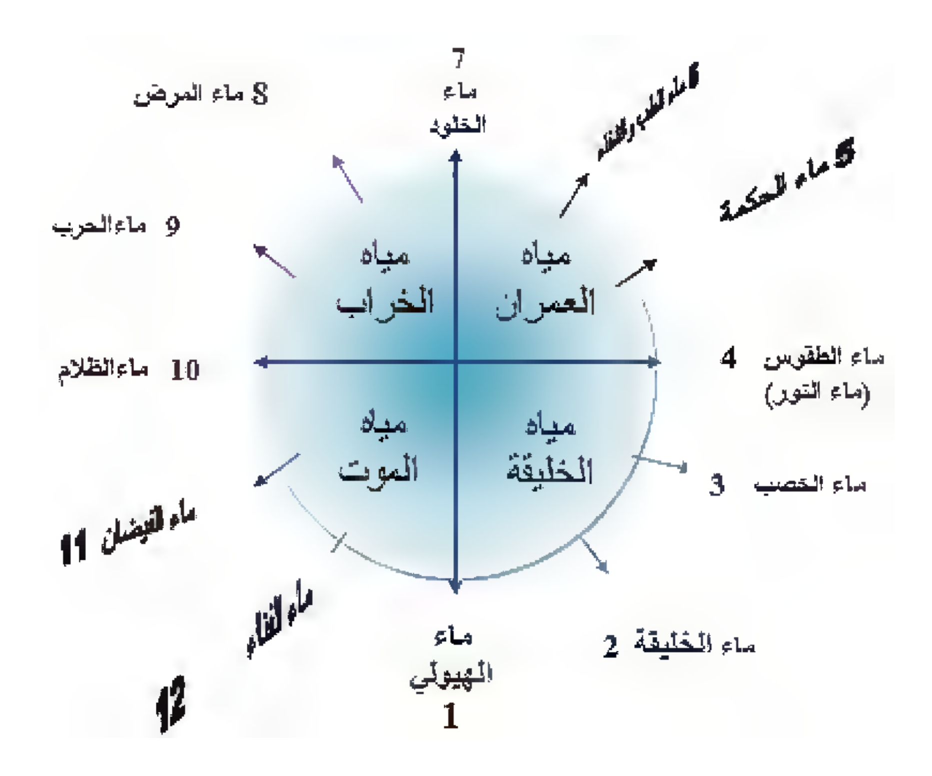
المطر المخصبة المشبهة بالمني ومياه الكلمة اللوغوسية ومياه خلق الإنسان) ثم ماءالخصب، ثم ماء الطقوس الذي هو ماء النور .

2 . **مياه العمران :** وهي مياه الحكمة ومياه الطب والشفاء ومياه الخلود .

3 . **مياه الخراب :** وهي مياه الأمراض وطفح العالم السفلي ومياه الدم الناتجة عن الحروب وشعائر التضحية .

4 . **مياه الموت :** التي شملت مياه الظلام والطوفان والموت والفناء الكلي للعالم .

ومن الاستنتاج السابق تمكنّا أنْ نرسم دورة فقه الماء ممثلة بدائرة عود أبدي تروي لنا حكاية الماء في السرديات الشرقية القديمة من ماء الهيولى إلى ماء الموت .



ويبقى الماء في جوهره أحد العناصر الأربعة المكونة للوجود والسابقة عليها، لكننا نلمح هنا تبدل وظائف الماء وفقا للعناصر الأربعة أيضا، فعندما يكون الماء ماءً يكون ماء خليقة، وعندما يتطابق الماء مع شكل الهواء ويأخذ وظيفته فإنّه يتحول إلى مياه العمران التي تضبط الوجود وتكون مادته بانتظام، أما عندما يأخذ الماء شكل التراب فإنّه يجفف الحياة ويخربها، فيكون ماء الخراب، وحين يأخذ شكل النار فإنّه يدمر العالم ويكون مياه الموت . وهكذا يختزن الماء في جوهره صفات العناصر الأخرى، وهو ما يفسر فقهه وتبدلاته الوظيفية، وهو ما نراه في الحياة، وكذلك في ما روته لنا السرديات الشرقية القديمة .

لكننا، ونحن نختم بحثنا، لا بدّ هنا أنْ نسأل السؤال الآتي : أليس هناك تناظر وتطابق واضحين بين دورة الماء المثولوجية ودورة الماء الطبيعية (الفيزيائية)؟ ألم ينزل ماء الحياة مع المطر ويجري على الأرض فتحيا به الطبيعة والكائنات ثم تستهلكه فيفسد ويصبح ضارًا، ثم يصعد بخارًا ويعود مكثفًا على شكل غيوم تعيد لنا المطر؟

رموز العود الأبدي
الحيمن الكوني

الرموز العامة للعود الأبدي

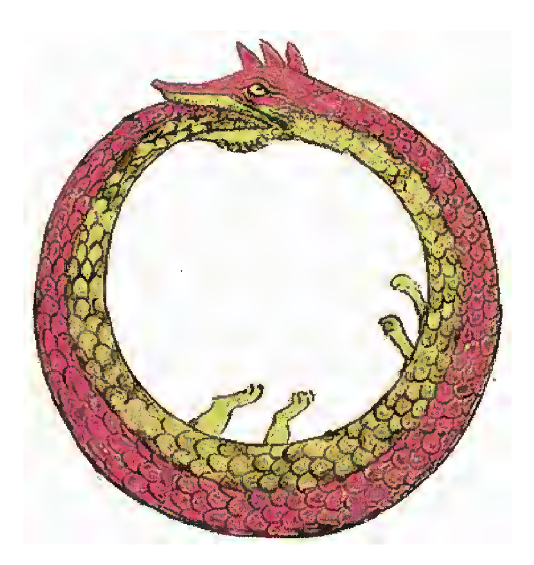
1 . **أوروبوروس** Ouroboros : الأروبوروس كلمة إغريفية الأصل تعني (الأفعى التي تعضّ ذيلها) وتدل على الدائرة المكتملة للحياة، وتشير إلى الأبدية والخلود، وهي أكثر رموز العود الأبدي دلالة وأكثرها استخداماً . وقد ظهر هذا الرمز لأول مرة في حدود 1600 ق . م في مصر ومنها انتقل إلى الفينيقيين ثم إلى الإغريق .



الأوروبوروس المصري

http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

وأصبح عند الإغريق دالاً على الإله هرمس (عطارد) والإله المصري (تحوت)، وظهر فيما بعد دالاً على هرمس مثلث العظمة Hermes Trismegistus وهو مبتكر الخيمياء الأسطورية .

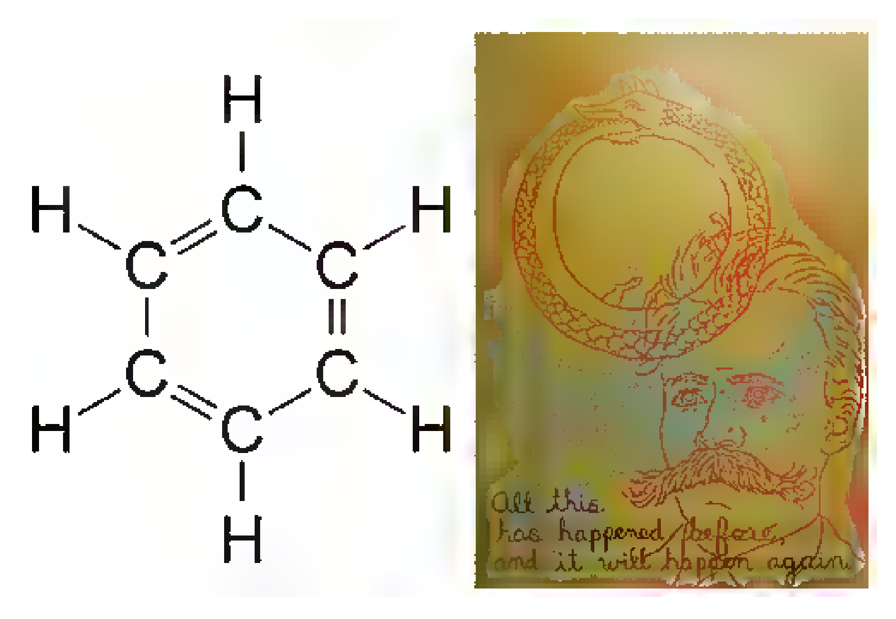


أوروبوس : العود الأبدي

http://nl.wikipedia.org/wiki/Bestand:Ouroboros.png

وقد أصبح هذا الرمز، عند الباحثين في علم الأساطير، دالاً على الإلهة الأم المائية مثل (نمو) و (تيامت) وغيرهما . باعتبارهما في حالة سكون دائري، وحين يبدأ الخلق ينفك الذيل عن الفم وتبدأ الحركة .

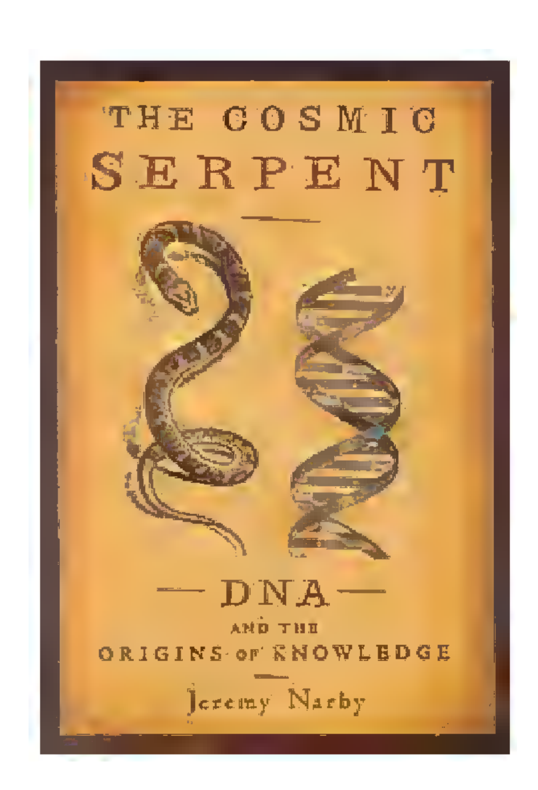
وقد أصبح هذا الشكل الدائري ملهماً لعالم الكيمياء العضوية أوغست كيكولي Kekule عندما رآه في الحلم ليستيقظ بعدها ويجعله الشكل الدائري السداسي لجزئية البانزين .



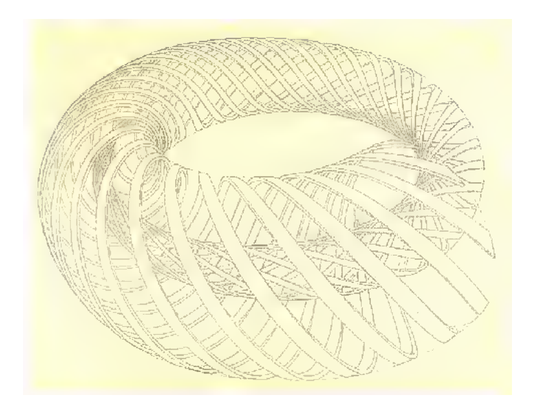
إلهام حلقة البنزين

http://brysonstein.blogspot.com/

وقد ألهم ثعبان الأربوروس، أيضاً، الكاتب (جيرمي نابري) فوضع كتاباً يوازي فيه بين هذا الثعبان وجزيئة الـ DNA الوراثية باعتبارهما سر الوجود البشري بايولوجياً وروحياً .



لكن هذا الشكل كان موفقاً تماماً في دلالته على (العود الأبدي) لأنه أية نقطة في هذه الدائرة يمكن أن تكون بداية للزمن، ثم إن الثعبان أو التنين الذي يقضم ذيله سيتلاشى كما تتلاشى دورة الزمن لكي يبدأ من جديد من خلال قشرته الرامزة لخلود البقاء . ويرى كارل غوستاف يونغ أنَّ رمز العود الأبدي (أوربوروس) هو أحد النماذج البدئية (أركيتايب) الموجودة في أعماق الإنسان ضمن اللاشعور الجمعي فيه . .



الأركيتايب أوربوروس كما يراه يونغ

وقد ارتبط هذا الرمز بالغنوصية والهرمسية والكيمياء السحرية واعتبره كارل غوستاف يونغ نموذجاً بدئياً (أركيتايب) للنفس البشرية، واعتبره عالم النفس اليونغي إريش نيومان دالاً على ما قبل الأنا (الحالة السفلى Dluwn state) الخاصة بالإنسان والطفل خاصة، وقد دلّ الرمز على الإله الروماني (يانوس) إله الأبواب (ذو الوجهين)، وقد صار اسم يانوس أساسياً في اشتقاق اسم أول شهر في السنة (جنوري) لكنَّنا نرى أنَّ الـ (أوروبوس) له علاقة بالإله السومري إنكي أو إيا وبالكائن المائي (يوانيس) الذي كان يحمل المعرفة وهو يخرج من الماء بلباس سمكّين، وهذا ما يزيده تقرّباً من الإلهة السومرية الأم (نمّو) التي كانت بمثابة أم (إنكي) .

لعل أفضل رمزٍ للعود الأبدي هو ثعبان الأوربوروس الذي يضع ذيله في فمه ويستهلك نفسه إلى الأبد ليتجدد بعد ذلك من قشره الذي يعيده إلى الوجود وهكذا .

ورغم أنَّ هذا الرمز يعني أيضاً أبدية الإلهة الأم الأولى الخالقة وسكونها الأبدي مثل (نمّو السومرية، تيامت البابلية، إم الآمورية . . . إلخ) .

اعتقد الهندوس أنَّ الأفعى الكونية أو الكوبرا (أوربوروس) تحيط الكون وتلف سلحفاة يقف على ظهرها أربعة من الفيلة،، وهي تسند الجبل الذي تحيطه الأفعى الكوبرا وتشير قشرة السلحفاة إلى الأرض فيما تشير القشرة المقببة إلى السماء .



أوروبوروس الهندوس

http://dcsymbols.com/mastersquare/page4.htm

ويظهر براهمان محاطًا بالأوربوروس في الصدر الهندوسية وهو يمثل كوكب زحل .



براهما محاطاً بالأروبوروس

http://www.niburu.nl/forum/viewtopic.php?f=18&t=2861&start=2

وكذلك يظهر الأوربوس عند أقوام أميركا القديمة المختلفة .



إله السماء عند المايا كوتزلكتل، الثعبان الريش : أوروبوروس



عود البشر إلى الأوربوروس عند شعوب أميركا القديمة

http://www.62stockton.com/spacebirds/labels/Ouroboros.html

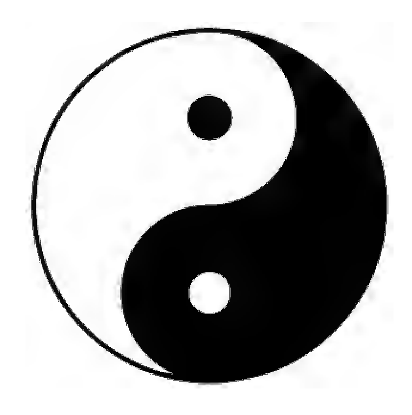
وفي الغنوصية يرمز الأوربوروس إلى اللانهاية وإلى روح العالم أما في الأساطير الاسكندنافية فيظهر الأوربوروس على شكل ثعبان يورمنجاندر، وينمو واحد من ثلاثة أبناء (لوكي وانجروبدا) بشكل مهول لدرجة أنه يتمكن من احتواء العالم ووضع ذيله في فمه والعضّ عليه بأسنانه .



الأوربوروس على شكل ثعبان يورمنجاندر

ويكاد الأوربوروس يشبه في شكله الحيمن المنوي للذكر، وهذا ما يقرب من رمزيته ودلالته على الحياة والخصب خصوصاً أنه عندما يأخذ شكل الدائرة فإنه يجمع شكل الحيمن والبويضة الأنثوية، وبذلك يكون الأوربوروس قريباً من ما يمكن أن نطلق عليه بـ (الحيمن الكوني Pansperm) .

2 . **ين يانغ** Yin Yang: يُمثل الين يانغ الصيني التكامل (يانغ) والأبدية، فهو مكون من سمكتين في إطار دائري، السمكة البيضاء تمثل الطاقة الإيجابية في الكون مثل الشمس والنهار والذكورة والحركة والنار، وتمثل عينها السوداء ميلها نحو السلبية . أما السمكة السوداء (ين) فتمثل الطاقة السلبية كالقمر والليل والأنوثة والسكون والماء وتمثل عينها البيضاء ميلاً نحو الإيجابية .



ين يانغ

وكان هذا الرمز أساس الفلسفة التاوية الصينية وهو المبدأ الأبدي للحياة، حيث كل شي في الحياة يكون (ين) أو (يانغ) وفي كلٍّ منهما ميلٌ للآخر وهو أساس كتاب التغيرات (I Ching آي جنك) ودائرة العود الأبدي تايتو Takjitu والتايكوان Taijiquan الذي هو فنّ مادي له علاقة بالجسد وبتوازن الجسد أمام المتغيرات .

3 . العجلة الهندية (الثمانية، الاثنا عشرية، سمسارا) : ترمز العجلة الهندية الثمانية لإله الشمس (سوريا) الذي يرمز إلى الأبدية والطاقة . وترمزالعجلة الثمانية الأشعة دارما شاكرا (Dharma chakra) . الأشعة الثمانية تمثل الدرب الثماني النبيل عند البوذية، وترمز العجلة الاثنا عشرية لأشهر السنة التي هي رمز لدورات الزمن الكبرى . أما السمسارا Samsara فهي عجلة الحياة والموت .



الثماني للفضيلة دارما شاكرا : رمز البوذية الدرب

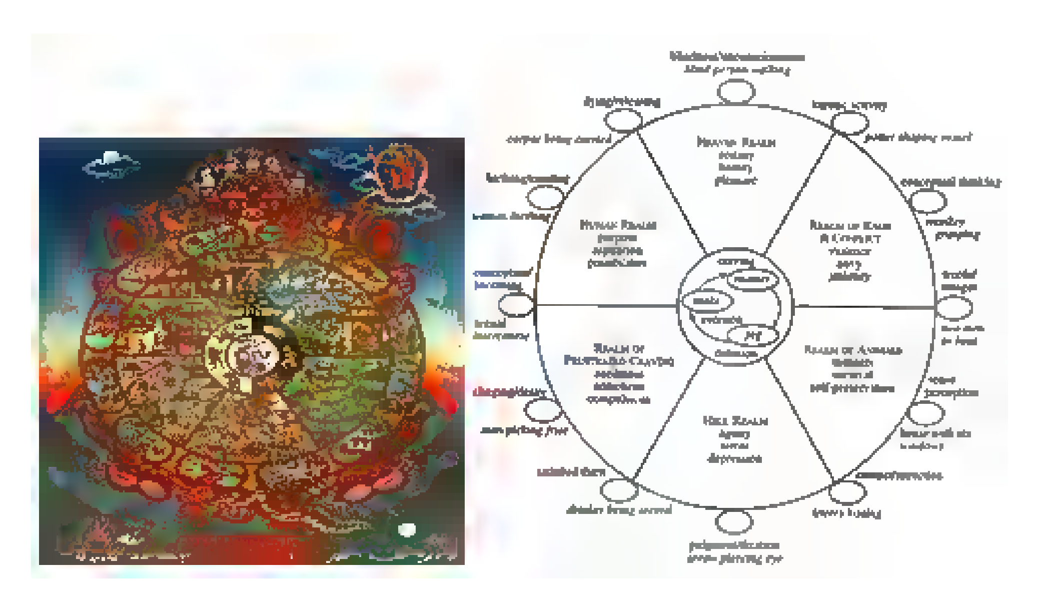
http://blogs.myspace.com/index.cfm?fuseaction=blog.view&friendId=1000353063&blogId=481273450



رمز سوريا اله الشمس الهندوسي :

http://www.fittedhawaii.com/hanahou/?p=8871

أما السمسارا فهي عجلة الولادات والميتات (التجسيد) التي قد يبقى الإنسان أسيراً لهاإلىالأبد وسيكون مصيره الألم، وحين يدرك البوذي أن الرغبات هي مصدر الألم، يكون عليه أن يتخلص من حقول دورة السمسارا، والإنسان غير المتحرر داخلياً لا ذات له (أنتما) وهو قلق ونهم وشقي، ولذلك يكون طريقه الحقيقي بإخماد نار الرغبات، إما عن طريق الانعتاق (مكشا) أو عنطريق الفناء (نرفانا) . وتنقسم عجلة السمساراإلىستة حقول هي (الجيم، الحيوان، الغضب والصراع، السماء، الإنسان، الحنين المحبط)



حقول عجلة السمسارا

4 . **الفينيق** Phonix: يرمز الفينيق للولادة والعودة الدائمة للحياة، وهو رمز لطير ناري يحترق ولكنه يعود من رماده من جديد . ويوضع أحياناً في دائرة لتدلّ على موته وبثه الدائمين .



طائر الفينيق ورمزه

http://www.guide-to-symbols.com/phoenix/

5 . **المندالا** Mandala : وهي كلمة سنسكريتية تعني (دائرة) ترمز للفن المقدس في البوذية والهندوسية وتحمل مدلولاً طقسياً وأسطورياً، وهي عبارة عن دائرة مع نقطة مركزية، وتكون عادة بأربعة أبواب أو مداخل . وترمز المندالا بصفة عامة على اللامتناهي وإلى اللاشعور وإلى رمز الكليّة عند يونغ .

وأحد أشكال المندالا هي الـ (يانترا أو اليانترا Yantra) الذي هو عبارة عن دوائر بداخلها نجمة سداسية، وهي رمز هندوسي يشير إلى العالم الأكبر وبداخله العالم الأصغر (الإنسان) .





مندالا يانترا مندالا ستوبا

http://fineartamerica.com/art/photographs/mandala/all

وفي البوذية هناك نوع آخر من المندالا هي (ستوبا Stupa) و (سوتا Sutta) وهناك أيضاً مندالا التبت .

ولعل أقدم أنواع المندالا ظهرت في الأطباق الفخارية لحضارة سامراء، وهي عبارة عن دوائر تحتوي رمز الصليب المعقوف (سواستيكا) المتحرك والدال على الأنوثة . وهو يرمز لسيادة الإلهة الأم الكونية .

وقد ظهرت أنواع لا حصر لها من المندالا كانت تشير في أغلبها إلى الدورة الكونية وقد وضع في داخل بعضها الصلبان أو الآلهة أو الرموز الهندوسية الدالة على الحركة أو الكليّة .

6 .براهمان : العود الأبدي الهندي

براهمان هو الله الواحد الأحد في الهندوسية والذي لا تدركه الأبصار ويكون فوق قدرة البشر من ناحية تصوره، فهو الإله الأعظم الذي لا يرى، ولكن أسماءه وصفاته يمكن أن تُرى في باقي الآلهة الأدنى منه (حيث كل الآلهة الهندوسية هي تجليات له) .

وتظهره الأدبيات الهندية في شكلين أساسين هما (برهما) الذي هو الإله الخالق و (فشنو) الذي هو الإله المدمر (رغم أن فشنو يظهر بثلاثة أشكال هي : المنشئ، الحافظ، المدمر)، ومن هذا الرباعي تظهر، عادة، صورة الوجوه الرباعية للإله الأعظم براهمان التي تمثل أحد أهم رموز العود الأبدي لأن كل شيء في الوجود هو من براهمان وسيعود إليه .



براهمان

http://www.easywebdx.com/brahman/second.php?page_num=3

الجوهر الإلهي غير المرئي الذي يشكل مركز دائرة العود الأبدي هو الإله (براهمان)، أمّا مظاهره المجسدة فتكون ظاهرة على محيط هذه الدائرة عبر تجسدات في الآلهة أو البشر العظام وكما يلي :

1 . مظاهر براهما : وتكون في عدة آلهة مثل جانيتا الذي له رأس فيل الذي يساعد على تخطي الصعاب، وهانومان إله الإخلاص والقوة، وكارتيكيا أو سوبراமايا الذي يُعبد في جنوبي الهند .

2 . مظاهر فشنو : حيث يعتقد الهندوس أنَّ فشنو نزل إلى الأرض في تسعة مظاهر أو تجسُّدات وينتظرون حدوث التجسُّد العاشر . ومن أشهر هذه التجسدات تجسده ونزوله في راما بطل ملحمة رامايانا، وفي كريشنا الإله الفيلسوف مؤلف بجافاد جيتا .

الرموز الخاصة للعود الأبدي

رموز النماذج البدئية (الأركيتايب)

تعتبر الرموز والآلهة والأشكال الهندسية والفلكية نوعًا من النماذج البدائية لكل شعب قديم ترقد في لاوعيه الجمعي وتتوارثها الأجيال وصولاً إلى حاضرنا هذا، لكن كارل غوستاف يونغ أحصى لنا الكثير من الأركيتايب والرموز مثل (الكلية، الأنيما، الأنيموس، النفس، المندالا . . . الخ) وهناك النماذج البدئية التسعة في الإنسان .



رمز الإلهة الأم



رمز البطل



الأنيما والأنيموس

http://eve3.wordpress.com/2007/11/05/once-upon-a-time-the-quest-2/



النفس (الروح والنفس والجسد)

http://www.esoterica.gr/articles/psycholg/animus/animus.htm





رموز الكواكب والأبراج بدلالة حيوانية

http://www.eso-garden.com/index.php?/weblog/2006/04/P30/



رمز الين واليانغ



رمز الذكورة والأنوثة

ليس هناك حصر دقيق بالأركيتايب الموجودة في الإنسان، ولكن هناك ترتيبات كثيرة من أجل معرفتها منها هذا الترتيب الموضح أدناه من خلال الشخصية البوذية الحاملة للذكورة والأنوثة معاً وكما يلي :

1 . سيدة العدالة، ملك زمن السلم، العدالة .

2 . القلب، الرغبة، أفروديت .

3 . الرجل، الشمس، الإله .

4 . الطفل، المتمرد، الفنان .

4 . 5 . الثعبان، الشيطان، الخط .

5 . الفيلسوف، الأستاذ، هادي الأرواح بعد الموت .

6 . المرأة، الإلهة، الأرض .

7 . حياة الفنان، المهرج، المحتال .

8 . المنتخب، البطل، زمن الحرب .

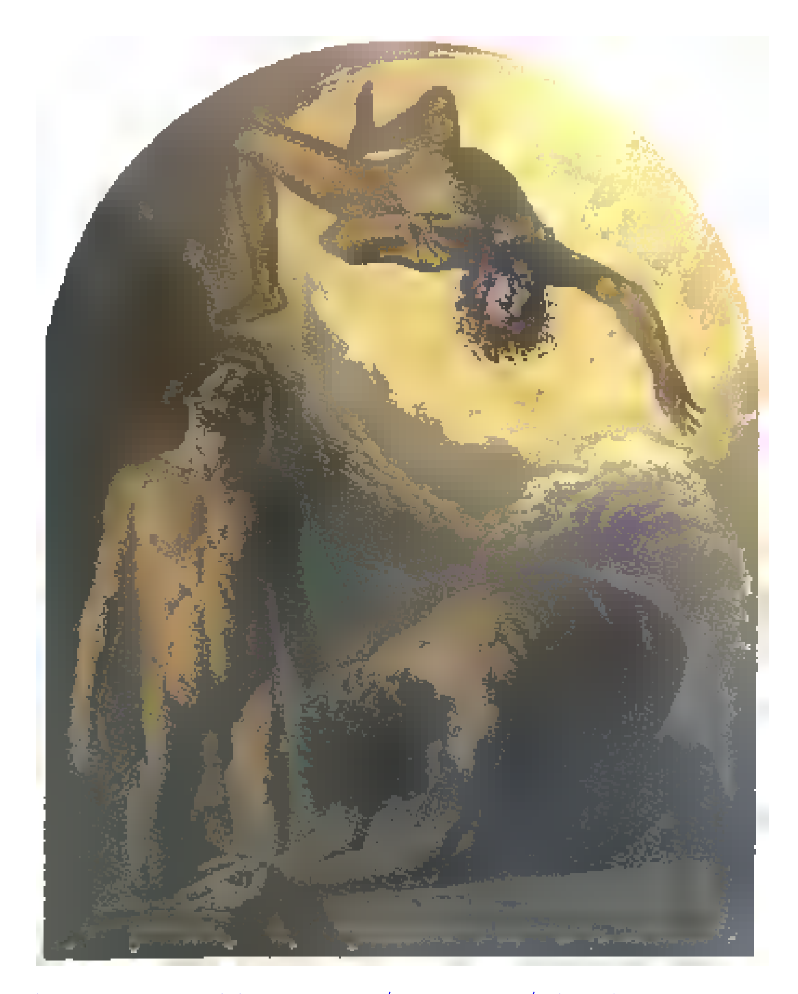
9 . الطريق (التاو)، القيصر (الملك)، التاج .



النماذج البدئية

http://www.enneagramstudies.com/verbreding-jung-deel3.php

الفصل الخامس
طقوس العود الأبدي



http://www.thefrasergallery.com/artists/ChawkyFrenn-HolyCost.html

العود الأبدي
في طقوس رأس السنة وولادة الكون أُسطوريا

العود الأبدي، إذن، هو التكرار الدائم للظاهرة وما يرافقها من طقوس وشعائر تؤكد هذا التكرار وتوضِّحه وتحتفي به أملا في الخلاص أو العودةإلىزمن أسطوري لا يمارس فيه الزمن التاريخي فاعلية قسرية في حياة الإنسان الهارب من هذا الزمن التاريخي الدنيوي والملتجئُإلىالزمن الأسطوري الديني .

العود الأبدي زمن ساكن مطلق قياسًاإلىالتاريخ الذي هو زمن دنيوي تحركه الصيرورة ″إنَّ إلغاء الزمن الدنيوي والزج بالإنسان في زمن ميطيقي لا يحدثان إلا في أوقاتٍ ذات صفةٍ جوهرية، أي في الأوقات التي يكون فيها الإنسان هو نفسه حقاً : في الولادة، الاحتفالات، القنص، الصيد، الحرب، العمل . . . الخ،،، (إلياد72: 1987)

يرتبط العود الأبدي بمفهوم نهاية دورة زمنية وبداية أخرى وهو ما يؤكده (مرسيا إلياد) الذي يراه قائما على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية الكونية، ويدخل في إطار نظامٍ أوسع، هو نظام التطهيرات الدورية والنظافة، الصوم، الاعتراف بالذنب . . الخ عند نهاية الموسم، وتجديد الحياة دورياً . فهذه الضرورة من التجديد الدوري الذي يفترض خلقاً جديداً أي تكراراً كوسموغونياً (تكرار فعل ولادة كونية)، هذا المفهوم من الخلق الدوري، أي تجديد الزمان دورياً يطرح علينا مشكلة إبطال التاريخ . (إلياد100: 1987)

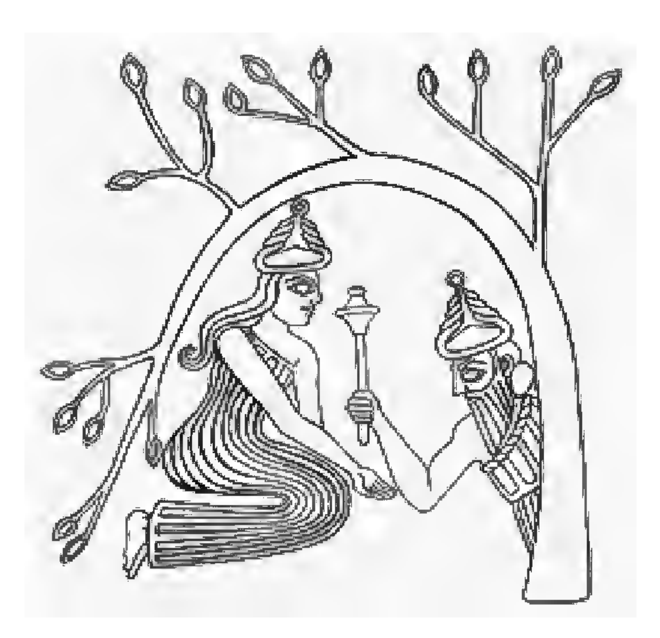
في وادي الرافدين ظهرت طقوس رأس السنة مبكرا في حضارات الإنسان كنوع من العود الأبدي والتكرار المثولوجي لموت عالم قديم وولادة عالم جديد .

وقد اعتاد سكان وادي الرافدين المعاصرون النظرإلىيوم21 آذار من كلِّ سنةٍ كعيد قومي للأكراد، وأصبح هذا العيد الذي يسميه الأكراد (عيد نوروز) يرمز إلى الربيع والذي تكرّس لهم، بصورة خاصة، كمناسبة قومية تمثل انتصار البطل الكردي (كاوه) الحداد على الملك الطاغية (الضحّاك) فأصبح هذا اليوم رمزاً للربيع والحرية .

لكن هذا اليوم، في حقيقة الأمر، يمثل عيداً لكل القوميات والأديان والطوائف العراقية في الحاضر والماضي . وهو أقدم عيد عراقي على الإطلاق؛ لأنه يمثل عيد رأس السنة السومري منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا يصح اعتباره عيدا لقومية واحدة أو لديانة واحدة أو لمذهبٍ واحد، بل هو في حقيقته نوعٌ من طقوس العود الأبدي التي تمثل أعياد رأس السنة نموذجا فريداً لها، وسنحاول في هذا البحث إثبات ذلك والتحري عن جذوره الحقيقية :

1 . السومريون : زكمك الأول

أدرك السومريون، من خلال مراقبتهم لطول الليل والنهار، أنهما يتساويان مرتين في السنة، المرة الأولى في 21 آذار والمرة الثانية في 21 أيلول . ويقل طول الليل بعد21 آذار ويزداد النهار، بينما يزداد طول الليل بعد 21 أيلول ويقل النهار، ولذلك جعلوا عيد رأس السنة السومرية في 21 آذار (ويسمى شهر آذار عند السومريين شيكوركو) وأسموه عيد (زكَمك الأول) الذي يعني عيد الولادة والتجدد، وهو عيد الاعتدال الربيعي، حيث يصادف الحصاد ونشاط ولادة الحيوانات وانتعاش الرغبات الجنسية عند الإنسان، ولذلك أصبح أسطورياً عيد بعث وولادة دموزي وزواجه من الإلهة إنانا في زواج مقدس، يقوم به الملك والكاهنة العليا رمزياً بين المعبد والقصر .



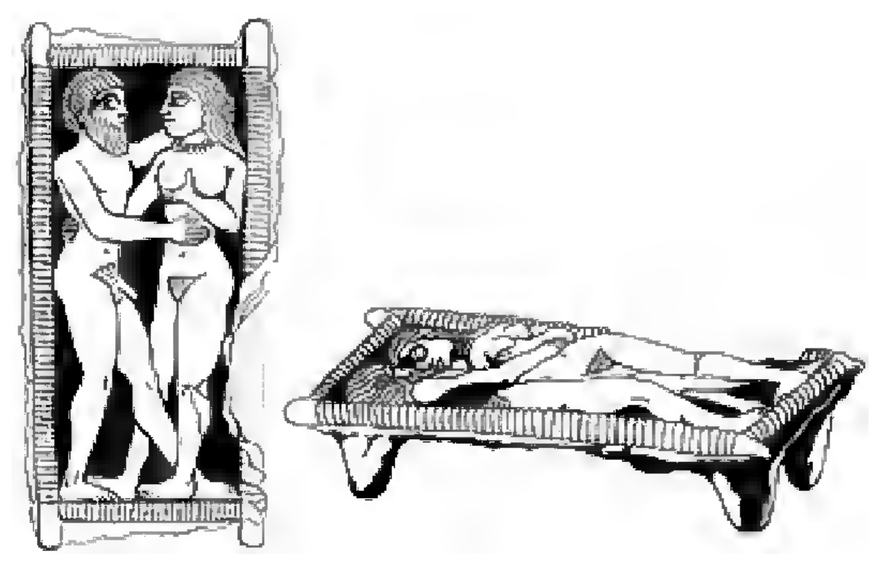
صورة من رقيم طيني للإلهة إنانا والإله (ربما كان دموزي) وهما تحت شجرة الحياة

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm



طقوس الجنس المقدس السومري

http://www.widdershins.org/vol2iss1/b9607.htm



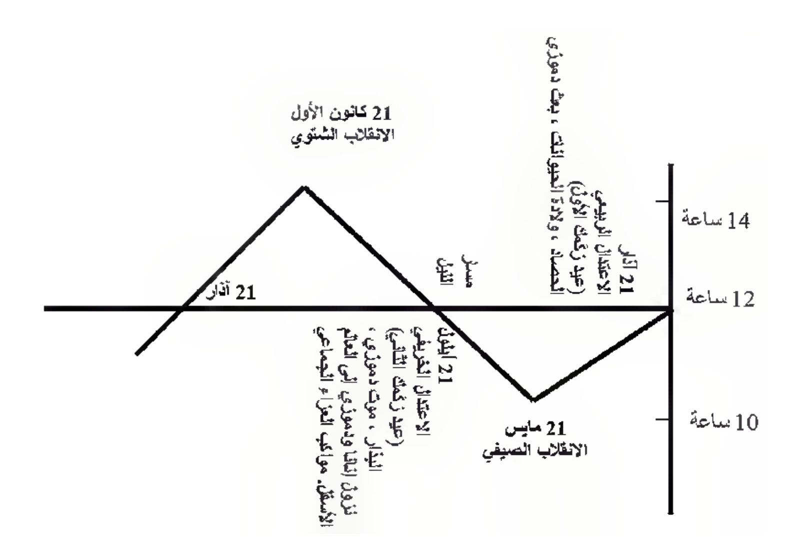
الدراما الدينية السومرية الزواج المقدس

أما في 21 أيلول (ويسمى شهر أيلول عند السومريين آكيتي) فيحصل الاعتدال الخريفي حيث يكون عيد (زكَمك الثاني) الذي يعني الموت والبذار (دفن البذور) وموت دموزي ونزول إنانا ودموزي إلى العالم الأسفل ومواكب العزاء الجماعي .



عيد رأس السنة السومري

ويتضح من ذلك أن السنة السومرية منقسمة إلى قسمين الأول ربيعي يبدأ في21 آذار بعيد زكَمك الأول ويستمر ستة أشهر، والثاني خريفي يبدأ في21 أيلول بعيد زكَمك الثاني ويستمر ستة أشهر . وتكتمل السنة بهذين القسمين . وقد أصبح هذا الناموس الذي وضعه السومريون عن وعي وترصد للطبيعة أساساً بُنيت عليه أعياد رأس السنة في العالم القديم كلّه بشكل خاص .



مخطط فلكي تقويمي سنوي يوضح علاقة فصول السنة وطول الليل والنهار بالزراعة وأعيادها والطقوس المرافقة لها عند السومريين . (وضع وتصميم خزعل الماجدي)

2 . البابليون والآشوريون : أ كيتو

وضع البابليون والآشوريون تقويماً جديداً لهم يبدأ من 21 آذار السومري وكان عندهم 1 نيسان (نيسانو)، أي أن نيسان عندهم لا يطابق نيسان الحالي في تقويمنا بل يطابق 21 آذار في تقويمنا، وربما كانت بداية العيد تبدأ مع ظهور أول بدر بعد (21 آذار) وهو احتمال وارد في التقويم البابلي . وهو بداية السنة عندهم وقد أصبح عيد رأس السنة عندهم يسمى بـ (آكيتو) .

وكلمة (آكيتو) البابلية ذات جذر سومري لأن أقدم صيغة لها جاءتنا بحدود2400 ق . م وعلى شكل (آ - كي - تي)، العلامة (آ) تعني الماء، ومجازاً المطر، و (كي) تعني الأرض و (تي) فعل بمعنى يقرّب، فيكون بذلك معنى الكلمة كاملاً (تقريب الماء إلى الأرض) أي الاستسقاء . (رشيد 1991:85) .

ونرى أن طقوس الاستسقاء تعود إلى فترة حضارة سامراء في الألف السادس قبل الميلاد، حيث شكلت هذه الطقوس بذرة العيد الأكبر آنذاك .

كانت مدة العيد اثني عشر يوماً (أي بعدد أشهر السنة) تبدأ من الأول من نيسان وتنتهي في الثاني عشر منه . ففي بداية هذه الأعياد من كل سنـة جديدة يأتي

الإله نابو من معبده، البيت الحصين (E-Zida) في بورسيبّا (برس نمرود) لزيارة والده الإله مردوخ في بابل والاشتراك في هذه الاحتفالات التي تقام فيها . (الأمين 1962:16)



الأكيتو البابلي عند بوابة عشتار

http://www.christiansofiraq.com/norooz.html

كان للاحتفالات بيت يعرف ببيت الأكيتو يقع خارج المدينة، كما في الوركاء وآشور وبابل، وكانت الأربعة أيام الأولى لتقديم الضحايا والقرابين وتعيين درجات الكهنة وقراءة ملحمة الخليقة البابلية . وفي اليوم الخامس يحمل تمثال الإله نابو من بورسيبا إلى بابل في سفينة مذهبة، وفي اليوم السادس تجرى محاكمة الملك ونزع شاراته الملكية في معبد الإيساجيل في بابل، ويسحب من أذنيه حتى يركع أمام الإله ويؤدي صلاة الغفران . وفي اليوم السابع تمثل دراما محزنة لموت الإله مردوخ وصعوده إلى السماء، وتسود الفوضى المدينة حيث تجري عربة هائجة في شوارع بابل وتخربها بسبب غياب مردوخ، ويُنصّب ملك مزيف للحكم في هذا اليوم . وفي اليوم الثامن يعود مردوخ إلى الحياة وتنتظم بعودته الأشياء، وتجتمع الآلهة في مخدع المصائر ويقررون مصائر البشر للسنة الجديدة، وتعاد شارات الملك إلى الملك الحقيقي، ويسير الكهنة في موكب نحو بيت الأكيتو خارج المدينة ليمكثوا ثلاثة أيام لتمثيل دراما رمزية للخليقة وفي مساء اليوم

الحادي عشر يعود الكهنة إلى المدينة ويدخلون المعبد ويقضي الإله مردوخ ممثلاً بالملك ليلة مع الكاهنة العليا في معبد الإله، وفي اليوم الثاني عشر تغادر الآلهة بابل فيذهب كل إله إلى معبد مدينته .

إن هذا العيد الذي يمثل أكبر احتفال درامي في بابل كان راسخاً في حياة العراقيين القدامى، وقد جرت ممارستهُ لأكثر من ألفَي سنة، وكان علامة مهمة من علامات وادي الرافدين وتراثها . كان يجرى في 21 آذار (حسب توقيتنا من كل سنة) وهو الرحم الذي ظهرت منه الدراما الكوميدية والتراجيدية فيما بعد عند الإغريق . وهناك وصفٌ مطول له في رقم طينية ترجمها عن اللغة الأكدية (ثورو دنجان) و (بريشارد) و (ساكز) .

لقد كان إحياء ذكرى الخلق إعادة فعلية لولادة الكون، والبرهان على ذلك نجده في الطقوس كما نجده في الصيغ التي كانوا ينطقون بها في أثناء الاحتفال . أما القتال بين تيامت ومردوك فكانت تجري محاكاته في المبارزة التي كان يؤديها فريقان من المشخصين . هذا الاحتفال نجده دائما في إطار دراما العام الجديد عند الحيثيين، كما نجده عند المصريين وفي أوغاريت . إنَّ الصراع بين فريقين من المشخصين لا يحيي ذكرى القتال البدئي بين تيامت ومردوك وحسب، وإنَّما كان يكرر ويخلق فعل ولادة الكون، أي الانتقال من العماء إلى الكون، وبذلك يكون الحدث الميطيقي حاضرًا . (إلياد1987:106)

كان هذا العيد أحد الأسباب الذي سقطت من أجله بابل الكلدانية (539 ق . م) على يد الفرس الإخمينيين، فقد قرر آخر ملوك بابل نبونائيد عدم إقامة عيد الأكيتو لذلك العام وكان كورش الذي يتربص ببابل يُرسل الرسائل للبابليين بأنه سيدعم بقوة إقامة هذا العيد، ونبذ عقيدة نبونائيد القمرية المؤيدة للإله (سين)، فرحب كهنة مردوخ بكورش لأنه ناصرهم، ونبذوا نبونائيد لأنه غيّر تقاليدهم .

ولكن كورش بعد أن فتح بابل ورعى هذا العيد لسنوات قام هو الآخر وأتباعه من بعده بتغيير جوهر العيد وفرض الغزاة الفرس إلههم (أهورا مزدا) بدلاً من (مردوخ) على بابل، وتحول العيد تدريجياً إلى عيد فارسي وترجموه إلى نوروز، أي اليوم الجديد الذي يقابل الاسم البابلي الآخر وهو (يومو نيسانو)، أي يوم نيسان أو اليوم الجديد .

ومع ذبول بابل وصعود الفرس انتعش نوروز وغاب الأكيتو وبقي في الذاكرة هذا العيد بصورته الفارسية في 21 آذار، وانتقل إلى كل شعوب إيران، ومن ضمنهم الشعب الكردي . وتغيرت مضامينهُ الأسطورية والطقسية حسب الشعوب التي دخل إليها .

ولا بدّ من التنويه أن هذا العيد انتقل إلى الفينيقيين تحت اسم (الأدونيات) وتحديداً عيد الهفريس وهو عيد القيامة وبعث أدونيس في بداية الربيع، ومثله عيد بعل عند الكنعانيين، وعيد أيزيس وأوزوريس عند المصريين، وعيد ديونسيوس عند الإغريق . كل هذه الأعياد كان مصدرها عيد الأكيتو البابلي الذي انتشر شرقاً وغرباً، وكان هو مصدر إلهام عيد رأس السنة الحالي الذي تحول إلى بداية السنة الميلادية المسيحية .

وربما تحورت كلمة (آكيتو) مع الزمن لتتحول في اللغات السامية إلى (حاكيتو) و (حجيتو) ثم إلى (حج) والتي ما زالت في السريانية تعني (عيد)، وربما تضمن ذلك ظهور كلمة (حكاية) من (حكيتو) بسبب ما كان يبدأ به احتفال الأكيتو من سرد قصصي لأسطورة الخليقة البابلية، وفي الأيام الأخرى لحكايات وقصص أخرى مثل جلجامش .

وينطبق هذا على (نيسانو) الشهر الذي كان يمثل بداية رأس السنة، حيث كان يعني في البداية شهر الخصب والتلاقح الجنسي (نيش)، ثم أصبح شهر البشارة والنيشان (نيشانو) أي العلاقة الفارقة، ومنه ظهرت كلمة (نيشان) في مراحل الزواج .

كان عيد الأكيتو قد نشأ كعيد من أعياد الطبيعة، وهو يتميز بنوعين من المظاهر فيعبر المظهر الأول عن حزن الطبيعة على موت كل الأشياء النامية، ويعبر المظهر الثاني عن فرحة الطبيعة بعودة الحياة إلى هذه الأشياء . وأضيف إلى هذا العيد تمجيد مردوخ، فيحتفل بالمآثر دفعته إلى مقامه الجليل بين الآلهة . (كونتينو 1979:474) .

ونرى أن عيد الأكيتو البابلي استبدل الإله الشعبي السومري دموزي بالإله الرسمي مردوخ، وأسبغ عليه من صفات دموزي ما ليس فيه مثل علاقته بالخصب واختطافه المشابه لنـزول دموزي إلى العالم الأسفل والزواج المقدس وغيرها . أي أنَّ الزكَمك عيد سومري شعبي، والأكيتو عيد بابلي رسمي يكوّن الملك ومردوخ ونبو عناصرَهُ الأساسية .

3 . الأكراد : نوروز

انتقل عيد نوروز، كما أسلفنا، من الفرس إلى الكورد في إيران، وقد تأثر الكورد بهذا العيد وضمنوه خصوصيتهم القومية عندما جعلوا من ملحمة (كاوه الحداد) نواةً لهذا العيد . فقد وقف كاوه بوجه الملك (الضحّاك) الذي كان يقدّم كلّ عامٍ اثنين من شباب الكورد للثعبانين اللذين ظهرا على كتفيه بعد مرضه رغم أنَّ هناك ما يشيرإلىظهور مثل هذه الأشطورة التاريخية في التراث الفارسي .

وتفصح لنا هذه الملحمة ذات العمق الأسطوري عن بعد سومري مدهش يكاد يبعدها عن المؤثرات الفارسية ويجعلها عراقية رافدينية، ويتجلى هذا البعد في المقاربة بين كاوا ودموزي، وبين الملك الضحّاك والإله ننكشزيدا الذي يحملُ ثعبانين على كتفيه، لكن هناك ما يُربكُ في تمثّل عناصر الأسطورة السومرية مع الملحمة الكردية . إن كاوا قد يلتقي مع اسم كَود أي (الثور) بالسومرية، وهو ديموزي الذي يعدّ الثور أحد رموزه، وقد يكون هناك علاقة بين مهنته (الحدادة) ورمز النار الذي يمثله دموزي، وهو في العالم الأسفل رفيقاً لإلهي النار كَيبل ونركَال . أمّا ننكشزيدا فهو إله الطبّ ذو الثعبانين اللذين يدلان على رمز الطب والشفاء، وهو ما تلبسه الملك الضحّاك بصورة سلبية .

تحتاجُ المقارنة بين الأسطورة السومرية والملحمة الكردية إلى دراسة معمّقة قد ينتج منها أنَّ جذور العيد الكوردي تتصل مباشرة بالعيد السومري دون حاجة إلى وسيط فارسي وهو ما نراه صحيحاً .



عيد نوروز الكردي (نوروز)

http://www.thejitty.com/articles/my-first-kurdish-new-year

4 . الإيزيدية : سرصالي

يسمى هذا العيد عند الإيزيدية بـ (جه زتا سه ري سالي) وهو عيد رأس السنة التي تبدأ في أول يوم أربعاء من شهر نيسان الشرقي (اليولياني)، فإذا وقع في 1 نيسان الشرقي فإنه سيكون في 14 نيسان الغربي (الغريغوري) وشرط يوم الأربعاء بسبب من أنَّ هذا اليوم هو يوم طاووس ملك المقدّس عند الإيزيدية .

ولهذا العيد جذور تاريخية قديمة ترمز إلى بداية التكوين في الاعتقاد الإيزيدي، ويسمى أيضاً بعيد (مه له ك زان) أي عيد ملاك التجديد وهو (طاووس الملائكة)، ويسمى في بعض مناطق الإيزيدية في الكوردستان الشمالي والاتحاد السوفيتي السابق بالأربعاء الأحمر (جارشه مبوا سور) . (باقسري2002:132)

يرى البعض أن كلمة (نيسان) صُحّفت من (نوي زان) الكوردية التي تعني الولادة الجديدة . إن شهر نيسان لدى الإيزيدية شهر مبارك وهو رمز استمرار الحياة والتجدد ومن أشهر الربيع الجميلة حيث الأرض مكسوة بالنباتات والورود الملونة بأنواعها المختلفة، لذا فإن اهتمام الإيزيدية بالطبيعة كبير جداً في هذا الشهر فيما يجري الحفاظ على استمرارية الإنبات وجمال الطبيعة، ويصفونه بعروسة السنة . . ولقدسية هذا الشهر يحرم فيه الزواج . (باقسري2002:132) .

والملاحظ أن هذا العيد يؤكد على جمع البيض وأكله وتقشيره وتلوينه واللعب به، وهو ما يشير إلى العنصر التكويني أو الخلقي في العيد إضافةً إلى خبز الـ (السَوك) وطقوس إشعال فتائل القطن الـ (365) في معبد (لالش) من أجل طرد الأرواح الشريرة وتمهيدا لنزول الملك زان (طاووس ملك) من السماء إلى الأرض ليثبت التعاليم الإلهية في الأرض ويجدد الحياة للسنة الجديدة .



معبد لالش الإيزيدي واحتفالات العيد

http://www.awda-dawa.com/print.php?ID=5049

ولا بدَّ لكل بيت إيزيدي أن يشتري لحماً أو يذبح ثوراً أو خروفاً أو دجاجةً في ليلة عيد رأس السنة، ويطبخ أفخر أنواع الأكل، ويقسم كل ذلك في اليوم الثاني على الفقراء والمساكين والمارة وعابري الطرق، وقد تذهب بعض النسوة بالطعام إلى الجبّانة ليوزعنه على أنفس الموتى، والترحم عليهم، فأكل اللحم واجب على كل يزيدي في هذا العيد . (الحسني 1974:114) .

ويرى البعض أن هذا اليوم هو نزول طاووس ملك إلى الأرض ليخلص موسى (ع) وصحبه من كيد الفراعنة . (الحسني 1974:113) .

ويمكننا إجمالاً تلمس جوهر الخصب في هذا العيد وفكرة الخليقة والبداية والتجديد فما زالت عناصره تحملُ ذكرى التكوين الرافديني بوضوح .



طاووس ملك

http://en.wikipedia.org/wiki/Melek_Taus

5 . المندائيون : البنجه

يسمى هذا العيد عند الصائبة المندائيين بـ (دهوه برونايا) ويستغرق خمسة أيام وهي الأيام الخمسة التي تكبس بها السنة وتكون في الغالب أيام (5 و6 و7 و8 و9) من نيسان . حيث يعتقد المندائيون أن السنة مكونة من 360 يوماً بمعدل 30 يوماً لكل شهر، وأن الأيام الخمسة الكبيسة هذه ما هي إلاّ فاصلة بين سنة وأخرى . والحقيقة أنهم يعتبرون، بقصد أو بدون قصد، أن هذه الأيام الخمسة خارج الزمن أو فوق الزمن، أي أنها ليست أياماً (تاريخية) عادية، بل هي أيام (مقدسة) ذات طبيعة (أسطورية) حصل فيها خلق الكون . ولهذا السبب فقط تفتح أبواب عالم الأنوار (آلمي دنهورا) المقدّس ليلاً ونهاراً خلال هذه الأيام الخمسة، وتحلل الصلاة والذبح ليلاً دون أيام السنة، ويتقبل (الحي العظيم) دعوات المؤمنين خلال أيام هذا العيد . وتسمى هذه الأيام بأسماء الملائكة العظام الذين يشغلونها تيمناً بهم وتباركاً بذكرهم .



طقوس الطماشة (الإغتسال والتعميد) في عيد البنجة المندائي

وفي هذا العيد يتم تعميد المندائيين في النهر الجاري أو في المندي، ويحرص رجال الدين على الترقي في الدرجة الدينية خلاله، بل إنَّ المحتضرين يتمنون الوفاة خلاله لتمرّ أرواحهم في (المطرائي) وهو المطهر من دون عذاب ولا حساب ولتصعد مباشرة إلى عالم الأنوار . ويقول الصابئون أن كل يوم من أيام هذا العيد الخمسة يختصّ بشخص من الـ (360) شخصاً السماويين، فاليوم الأول لـ (آنوش أثرا) والثاني لـ (شيشلام رّبا) والثالث لـ (يوخاشاركنّا) والرابع لـ (نابوت زيوا) والخامس لـ (بهرام رّبا)، وكان هؤلاء الأشخاص الخمسة قد خلقوا في أيام البنجة الخمسة، وسموا بأسمائهم فيه . كما كانوا يطوفون حول العرش الجليل، يسبِّحون بحمده وهم بأثوابهم البيض . (الحسني146: 1980)

وترى الليدي دراوور أن البنجه لها علاقة حقيقية بعيد رأس السنة البابلية الذي يقع في شهر نيسان، وتقول إنَّ الكهنة المندائيين يرون بأن أصل البنجه قد وقع في وقت لا يمكن تذكره في فصل ذوبان الثلوج وارتفاع مياه الأنهار نتيجة لذلك . (دراوور151: 1987)



طقوس البنجه المندائية

وتؤكد دراوور أن أهم عيد في السنة الصابئية ليس ما يسمى بالعيد الكبير أو ما يدعى بالسنة الجديدة بل هو عيد الربيع في (البنجه) . وترى أن (البنجه) احتفال ديني أكثر مما هو عيد، وفيه يقدم الصابئون من أماكن بعيدة إلى مواطن كهانهم للتعميد بقدر ما تسمح لهم ظروفهم، ويشاركون في الفاتحة (لوفاني) وفي الصدقة المباركة (زدقه بريخه) وفي الذكرى (ذخرانه) من أجل الموتى . إن الموتى وقد تجمعوا حول الطعام المقدس الذي دعوا إليه بمجرد ذكر أسمائهم في الصلوات ينتعشون بهذا الطعام ويباركون الأحياء . (دراوور152 :1987)

أما الصابئة الحّرانيون (وهم من الأقوام الرافدينية) فيحتفلون بعيد رأس السنة في الأول من نيسان حيث يضعون عند رؤوسهم تمراً وزبيباً، ويكحل الرجال والنساء أعينهم ويطبخون قدراً ويشوون شواءً ويأكلون ويشربون ويقولون أنه عالم الغوامض يحيى، ويزعمون أنه كما نجد الإنسان كذلك يكون في سائر السنة ممتلئة أو فارغة . وفي السادس من نيسان يقولون إنَّ الله يشرق في نصف النهار، ويسرجون السرج ويبخرون، وفي الثامن منه يقولون إنَّ سنن الآلهة نزلت ويخرج إلى الدير المعروف بـ (كَدا)، وفي العشرين منه يخرجون إلى الدير ويرمون الشياطين . (حبي 170 :1985) .

ويشترك المندائيون مع البارسيين المعاصرين كالمجوس بإجراء شعائر خاصة على أرواح الموتى في الأيام الخمسة الأخيرة من السنة، كما يقوم النساطرة المسيحيون في العراق بتناول طعام الذكرى (ذخرانه) من أجل أقرباء الميت وأسلافه ومن أجل القديسين في عيد الفصيح . ويصاحب عيد الربيع لدى اليزيديين في نيسان تناول وجبات طعام طقسية على أرواح الموتى تتضمن ذبحهم لكبش . (دراوور165: 1987)

وهكذا يتضمّن هذا العيد جانبين : الأول علوي نوراني احتفالي والثاني سفلي يشارك أرواح الموتى، وهو ما يذكرنا بعيد الأكيتو البابلي وقبله عيد الزكَمك السومري .

6 . المسيحيون : عيد الفصح .

وهو عيد احتفالي سنوي لدى المسيحيين في ذكرى قيامة المسيح . يُهيّأ له بالصيام والأسبوع المقدس (أسبوع الآلام) . قضت التقاليد المتبعة في القرن الرابع بأن يُحتفل بهذا العيد يوم الأحد الذي يلي الليلة الرابعة عشرة من الشهر القمري الذي يبدأ في الحادي والعشرين من آذار، أو الأيام التي تلي هذا التاريخ . (عبودي 648: 1991)

والفصح تعني عند المسيحيين البعث أو القيامة أو ظهور السيد المسيح بين الأموات حياً .



صورة من الفنّ القبطي المعاصر حول قيامة السيد المسيح

http://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/07-Jesus-Mastery-Feast__Anba-Benyameen/Rites-of-Coptic-Small-n-Big-Mastery-Feasts_042-Resurrection-Feast-Intro.html

ليرتفع إلى السماوات . أي أنه اليوم الثالث بعد صلب المسيح وآلامه، وكأنه يصادف عند نهاية عيد الأكيتو البابلي إلاّ أنه يبتعد عن 21 آذار بحوالي ثلاثة أسابيع، ولكنه مرهون بهذا التاريخ أيضاً . ويحتفل المسيحيون بعد الصيام الكبير الذي يدوم أربعين يوماً، ويبدأ بعضهم الاحتفال بهذا العيد في الجمعة الأولى بعد 14 نيسان بموت السيد المسيح، ثم يحتفلون في الأحد التالي أي بعد ثلاثة أيام بقيامة المسيح . ويسمى أيضاً هذا العيد بعيد إيستر (Easter) .

لا علاقة لعيد الفصح المسيحي بعيد الفصح اليهودي الذي يصادف في الوقت نفسه تقريباً (13 و 14 نيسان) لأن الفصح اليهودي يؤرخ لذكرى خروج بني إسرائيل من مصر وإنقاذهم من العبودية وتحريرهم فهو عيد الخروج، فالفصح هنا يعني العبور وربما العفو أو الضربة، وتختلف تفسيرات كلّ منها : فالعبور هو عبورهم البحر الأحمر، والعفو هو غفران خطاياهم بسبب هذا العبور، والضربة هي ضربة الرب للمصريين وخصوصاً الضربة العاشرة التي سمحت للعبريين بالخروج . وهذه كلّها تأويلات توراتية

لتبرير الطقس، ونرى أن البدايات الأولى لهذا العيد كانت في أرض كنعان حيث التضحية تتم ببواكير قطعانهم من الأغنام وطلائع موسم الشعير بصورة خبز فطير . ثم جعله اليهود مناسبة لذكرى الخروج من مصر .



قيامة المسيح

http://www.ankawa.com/forum/index.php?topic=400288.0

7 . التركمان : نوروز .

احتفلت الشعوب التركستانية بعيد رأس السنة الجديدة الذي يسمى (ينكي كون) أو (اليوم الجديد)، وظهرت حكايات وملاحم شعبية حول هذا اليوم أشهرها ملحمة (أركينكون)، أما التركمان في مدينة أرضروم فيعتبرونه يوم بعث الموتى وانطلاقهم للمرح في الحياة . (مطر 2005:13)



صور لعيد نوروز

http://arabic204.web.unc.edu

وفي المجتمعات الشعبية والعلوية والبكتاشية التركية يحتل نوروز مكانة مقدسة عند هذه المجتمعات، حيث يعتبر البكتاشيون (فرع من فروع الشيعة التركية) نوروز يوم ميلاد الإمام علي (ع) كما أنه بالنسبة لهم أيضاً يوم زواجه من فاطمة الزهراء (ع) أما الشيعة فيعتبرونه اليوم الذي أعلن فيه الرسول (ص) الإمام علي (ع) خليفةً له . (مطر 2005:13)

ويحتفل التركمان في أذربيجان بالعيد، وكذلك التركمانستان والقزاغستان وهم أغلبية سنيّة . التركمان الشيعة في العراق يحتفلون بالعيد ويخرجون إلى الجبال والمتنزهات ويؤدون صلاة خاصة بهذا العيد بعد صلاة العصر .

8 . العرب المسلمون : دورة السنة، يوم الخضر، فرحة الزهرة، الكسلة .

تسّرب عيد رأس السنة إلى الأوساط الشعبية من العرب المسلمين في العراق وظهر على شكل أعيادٍ ومناسبات منذ العصر العباسي تشير إلى يوم الحادي والعشرين من آذار، ونلمح فيها بعض جذوره الرافدينية .



عيد الربيع في العصر العباسي

http://www.mesopot.com/old/adad4/3.htm

فهناك عيد (**دورة السنة**) حيث يراقب الناس رأس السنة الهجرية في 1 محرم وما يقبله من توقيت الأبراج الذي يبدأ من 21 آذار، ولذلك يقول الناس دارت السنة على الثور، أو على الأسد، أو على الحوت وغيرها . وهم يتحدثون عن أبراج الثور والأسد والحوت التي قد تصادف مع بداية السنة الهجرية، وبهذه الطريقة فهم يربطون التقويمين الهجري والميلادي بلغة الأبراج، وقد يقيمون عليها التنبؤات وما يرافق ذلك مع احتفالات في رأس السنة الهجرية أساساً .

وتمارس طقوس دورة السنة في جنوب العراق بوضع أطعمة الرز المطبوخ واللبن والآس والسمسم والسكر والحناء والخس تحت سلّة تجتمع العائلة حولها، وتنتظر هدوء الجو، ثم يرحل العام الماضي ويحلّ العام الجديد، فتضاء الشموع ويخرج الناس في اليوم التالي إلى البساتين عصراً للنـزهة ويتناولون الأطعمة ويفرحون .

وهناك (**يوم الخضر**) حيث يحتفل الناس في 21 آذار بعيد خضر الياس حيث يوقدون الشموع على الصواني، ويضعون معها الحناء وأغصان الآس الخضراء، ويطلقونها في النهر ليلاً فيتلألأ النهر بأضواء الشموع، وكان يرافق هذا العيد احتفالات مفرحة وتمنيات بالمستقبل . ومعروف أن شخصية الخضر تقابل أسطورياً شخصية تموز

البابلي الذي يشير إلى اخضرار النبات وازدهاره، وتشير أيضاً إلى شخصية أوتونابشتم وهو الرجل الخالد الوحيد في تراث وادي الرافدين .



عيد خضر الياس في تلعفر

http://www.belagh.com/news.asp?id=5&sId=11465

ويشير موقع مقام خضر الياس في بغداد على دجلة (مقابل وزارة الدفاع سابقاً) إلى مكان احتفالات الناس بعيد الخضر، ومن الصُدف الغريبة أن يكون هذا المكان مشيراً إلى مكان بابلي قديم يسمى (بغدادو) الذي يعني بستان العاشق أو مربط الغنم، الذي هو اسم ومكان بغداد الحالية، وقد ورد باللغة الأكدية والكتابة المسمارية . وكلّ هذه الإشارات تمضي في سياق خصبي وتاريخي واحد .

وهناك يوم آخر هو (**يوم الكسلة**) الذي كان يقام في الغالب في 21 آذار حيث يقوم البصريون أو البغداديون على شكل جماعات بزيارة مرقد سلمان الفارسي (سلمان باك) في المدائن، قرب طاق كسرى، منطلقين من مناطق المربعة والشيخ عبد القادر الكَيلاني مرددين بعض الأغاني الشعبية في فرح وعيد، وقد اشتهرت أغنية (الما يزور السلمان عمره خساره) . ويسمى هذا العيد أيضاً باسم (الهلاي) .



طاق كسرى حيث تجرى احتفالات الهلاي

http://www.fadak.us/A.database/Travel/monument.I/Archive.0006.htm

وهناك أيضاً (**عيد فرحة الزهرة**) ويشير هذا العيد بروايات مختلفة إلى فرح فاطمة الزهراء إمّا بولادة الإمام الحسن (ع)، أو أنها ابتسمت حين عرفت موعد وفاتها بملاقاة ربّها، أو أنها فرحت بموت عمر بن سعد أو (عمير) عند العامة . . وكلّ هذه أمور تدخل في سياق الاحتفال القديم بالحادي والعشرين من آذار . ويصادف هذا اليوم ميلاد بعض الأئمة والأولياء الشيعة حيث يحتفل بهم وبهذه المناسبات .

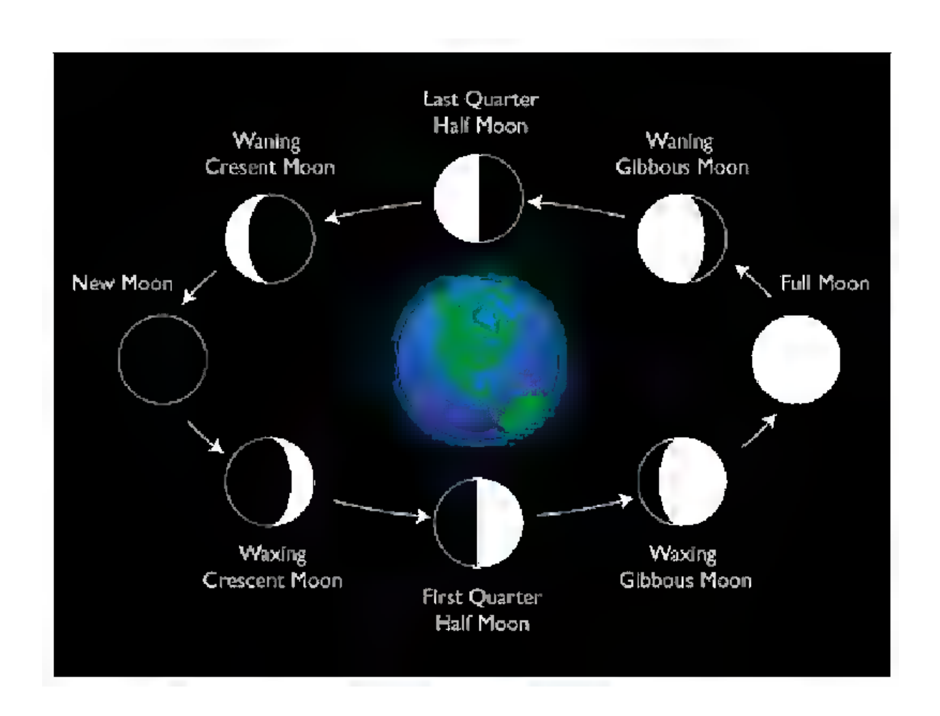
ومن الصدف الغريبة أن يتم اختيار يوم 21 آذار ليكون (اليوم العالمي للشعر) وليحتفل به كل شعراء الأرض، وتقام خلال الاحتفالات مهرجانات وحفلات الشعر، وكأن نبض الروح والخصب في هذا اليوم استعاد ذاكرته القديمة عبر الشعر الذي كان حضوره طاغياً في ذلك اليوم منذ قصائد الحب والغزل بين دموزي وإنانا في سومر التي يستعيدها عيد الشعر كنماذج بدئية للشعر والحب والجمال قصد ذلك أم لم يقصده .

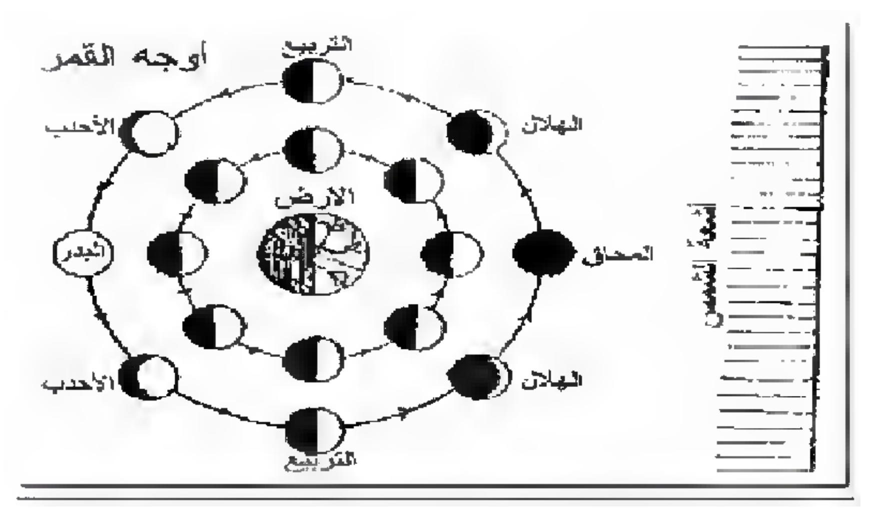
الطقوس المندائية والعود الأبدي

العود الأبدي (الزمان الدائري)

نشأت أساطير العود الأبدي منذ راقب الإنسان الطبيعة ولاحظ تكرار الليل والنهار والفصول والولادة والموت . فكانت أول أساطير العود الأبدي هي أسطورة ديموزي السومرية عندما يهبط إلى العالم الأسفل فيحلّ الخريف والشتاء، وحين يعود من هذا العالم ويحل على الأرض يظهر الربيع والصيف . وبهذه الأسطورة فسّر الإنسان السومري أول ظواهر العود الأبدي وربطها بالآلهة .

وحين كان يغيب القمر شهرياً ثم يعود اخترع الإنسان السومري أسطورة إنليل وننليل وخلق القمر ليفسر ظهورَ القمر واختفاءَه وولادته من جديد في العالم الأسفل . وكانت أدوار القمر موحية بعود أبدي يتكرر كل شهر ويقاس زمنه بشكل القمر ومراحل ظهوره الثماني (الهلال، التربيع، الأحدب، البدر، الأحدب، التربيع، الهلال، المحاق) وكل مرحلة تستغرق 3-4 أيام .





أدوار القمر

http://yasermetwaly.wordpress.com/2009/06/11

وهكذا ظهرت الكثير من أساطير العود الأبدي لتفسّر الظواهر الدورية أو لتضمر في داخلها فكرة الحركة اللانهائية الإيقاعية للزمن . وأبتكر البابليون مثولوجيا أدوار العالم في الساروس والناروس وهي دورات السنين الكونية .

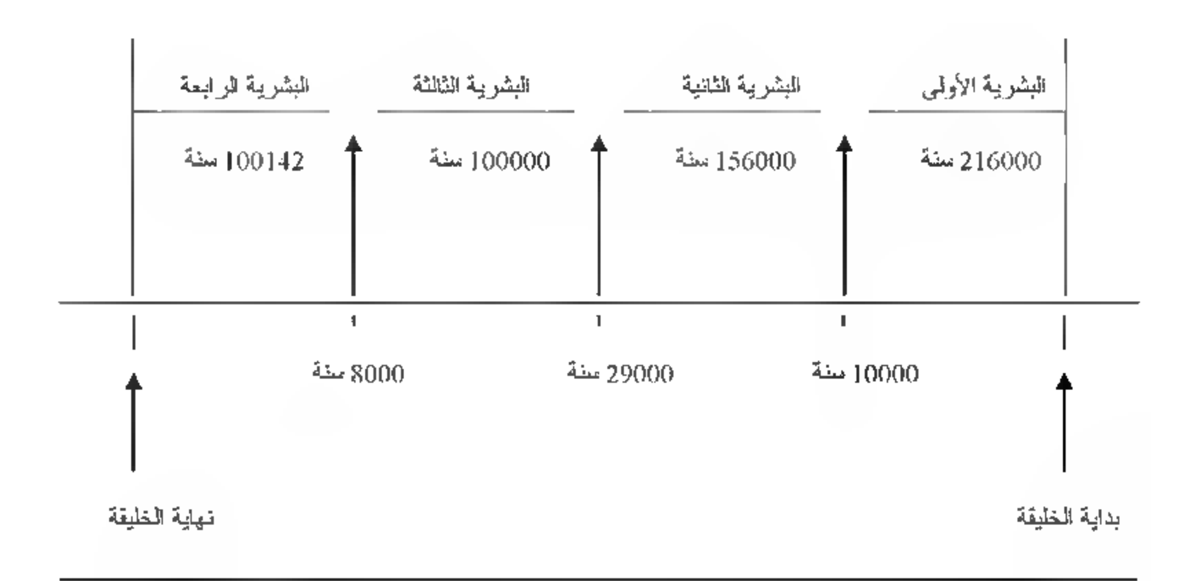
وفي الهند القديمة ظهرت أسطورة الدورات اللانهائية للزمان والتي ترى أن الزمان الدوري يتكون من أربع (يوغات) عمر الأولى (كريتا يوغا) 4000 سنة، والثانية

(ترتيا يوغا) 3000 سنة، والثالثة (دوا بارا) 2000 سنة، والرابعة (كالي يوغا) 1000 سنة . ويفصل بين كل يوغا وأخرى400 سنة . وتسمى هذه الدورة الإلهية مها يوا (الدور التام) وعمرها12000 سنة . وتعتبر المها يوغا سنة واحدة من عمر الآلهة، والإله يعمر 360 ألف سنة إلهية أي ما مجموعه 4.320.000 سنة وهو ما يشكل دورة كونية واحدة .

أما كل ألف ماها يوا فتؤلف (كالبا) أي صورة، وأن 14 كالبا تؤلف مانفاتارا واحدة، وأن 100 كالبا أي (311000) مليار من السنوات تؤلف حياة البراهما الذي هو بمثابة الإله الأعظم عند الهنود . والآلهة غير خالدة والخلق والإبادة تتابعان إلى ما لا نهاية .

هذا النوع من (العود الأبدي) هو أسطورة تنجيمية أو فلكية لأدوار الزمان يشكل الإيقاع الأساسي لخلق وهدم الكون إلى الأبد .

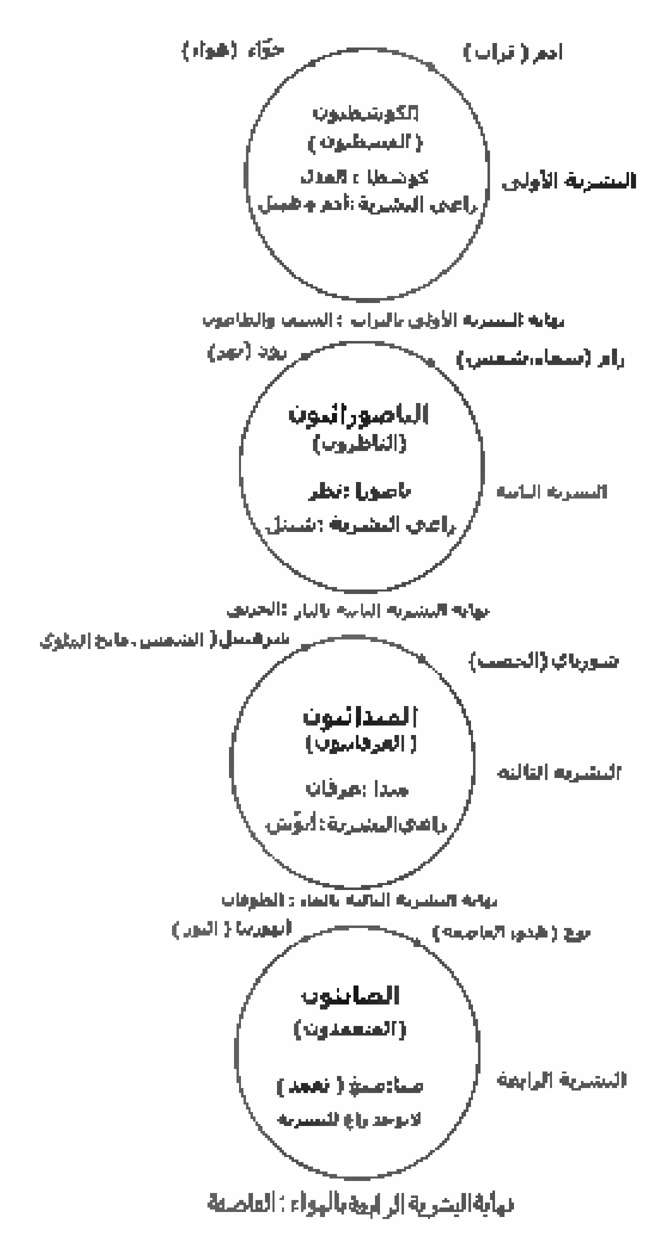
ويبدو أن المندائيين تأثروا بمثولوجيا أدوار العالم البابلية والهندية حيث الإيقاع المندائي للعالم يتكون، في المندائية، من (مها يوغا) واحدة بلغة الأسطورة الهندوكية . أي أنَّ هناك دوراً تاماً واحداً يتكون من أربعة عصور بشرية بينها فترات انتقالية، وكما يلي :



عمر البشرية بأدوارها الأربعة

هذه هي الدورة الواحدة ذات الأدوار المتعددة التي اقترحتها الديانة المندائية لتاريخ الأرض وما عليها من بشر . ولا نعرف ما هو الإيقاع الكوني الأكبر الذي يشمل الكون كلّه، فالنصوص المندائية لا تفصح شيئاً عن هذا .

إنَّ هذه الأدوار المندائية الأربعة بررت الكوارث الكونية الأربع (السيف، الحريق، الطوفان، الريح) وتوضّح الانحطاط التدريجي الذي يصيب الإنسان في نشاطاته الاجتماعية والأخلاقية والروحية . فالعصور الثلاثة الأولى كان لها رسول كوني أصبح راعياً لبشريتها، أما العصر الرابع الذي هو (عصر الحديد) فيجري في المندائية دون رسول كوني، إنه دور نُزعت منه القداسة . ولذلك فإنَّ غَسَقَهُ يختلف عن الأدوار التي سبقته، فهو ينتهي بالفناء الكلي لعالم الأرض والسماء والكواكب والأبراج .



الأدوار البشرية الأربعة في الديانة المندائية

إن نظرية الأدوار المندائية الأربعة تعطي الروح (نيشمتا) ما يلي :

1 . القدرة على تحمل أخطاء الجسد والشقاء الكوني لأنها تُطلعه مسبقاً على ضعف الإنسان وكونه أعزل إلاّ من بريق روحه الذي لا يدوم إلاّ بالعمل الصالح والإيمان .

2 . تبرير التناقص المستمر في عدد المندائيين . ففي العصر الأول (العصر الذهبي) كان كل الناس على دين آدم الذي هو جذر الدين المندائي، ونرجح

أن يكون اسمهم أنذاك (الكوشطيون) أهل العهد والعدل والصدق، وكان اسم كتابهم هو (كتاب آدم) . وفي العصر الثاني (العصر الفضي) ظهر الناصورائيون والناصورائية، ولم يعد كل الناس على دينهم . وفي العصر الثالث (العصر النحاسي) تناقص الناصورائيين وظهر ما يسمى بالـ (مندائيون) . وفي العصر الرابع (العصر الحديدي) أصبحوا يسمون (المندائيون)، وأصبح كتابهم هو الكنزا ربا وأعدادهم أصبحت أقل . وفي هذا العصر أيضاً أطلق عليهم العرب المسلمون اسم الصابئة .

3 . إن ابتكار أسطورة/ فلسفة الأدوار الكونية المندائية تعبر عن انعتاق الإنسان من نظام الدور الواحد (الذي يتضمن أربعة فصول) والنهاية الواحدة المحتومة ونظام النماذج البدئية، وهذا النظام الفلكي الكوني هو جزءٌ من أسطورة الأدوار الكونية الكبرى التي بدأت بالسار (الساروس) البابلي، ثم انتقلت إلى الهند واليونان ثم اكتسحت هذه الأسطورة العقائد الغنوصية .

لقد كانت الأدوار الكونية المندائية وريثة الأدوار الكونية البابلية مباشرة وإذ كان الإغريق قد طوّروا هذه الأدوار علمياً فإنَّ المندائيين أبقوها على حالها المثولوجي، وربما زادوها رموزاً وعلامات كوزموسكاتولوجية .

كان انكسمندر، مثلاً، يرى أنّ جميع الأشياء تولد وتعود إلى الأبريون (النار) وكان هيراقليط يترقب الحريق الكوني القادم . لكن المندائيين ابتكروا الأدوار الكونية الأربعة التي تتناغم تماماً مع العناصر الأربعة، فالكارثة الأولى تحصل بالسيف والطاعون وهما مبدآن ترابيان حيث السيف معدن أرضي والطاعون مرضٌ يندلع من مغاور الأرض العتيقة . أمّا الحريق فهو مبدأ ناري والطوفان مبدأ مائي والكارثة الأخيرة العاصفة والرياح وهي مبدأ هوائي .

إنَّ العود الأبدي يعني استعادة جميع الكائنات لوجوداتها السابقة بصورة دورية، فمن العقائد النادرة التي نعرف نسبتها في شيء من اليقين إلى الفيثاغورية البدائية ثم بحسب الأبحاث الحديثة، التي استثمرها وركّبها بطريقة تبعث على الإعجاب ج . بيديه J. Bidez تتضح قوة الاحتمال بأنَّ عناصر معينة من النظام الأفلاطوني، على الأقل، ترتدّ إلى أصل إيراني - بابلي (إلياد 1987:211) .

ويقول هنري شارك بوش : يدل التعريف الأفلاطوني الشهير على أن الزمان الذي يحدد دورة الأفلاك السماوية ويقيسها هو الصورة المتحركة للسرمدية الثابتة، وهو يقلّدها إذ يجري على صورة دائرة . ولذا، فإن الصيرورة الكونية بأسرها، وكذلك ديمومة هذا العالم، عالم الكون والفساد، عالمنا، ستنمو على شكل دائري أو تتبع تعاقباً غير محدود من دورات ينشأ خلالها نفس الواقع، ويفسر ثم ينشأ من جديد بحسب قانون وتناوب ثابت لا يتغير ولا يتبقى، مجموعة الكون وحدها مصونة بدون فناء شيء ولا خلق شيء، بل إنَّ بعض مفكري أواخر (العصر القديم)الفيثاغوريين – والرواقيين والأفلاطونيين – انتهوا إلى القول بأن داخل كل دارة من دورات الديمومة . من هذه الأيونات Aiones ، من هذه الإيفات Aeva تتكرر نفس الأوضاع التي كانت حدثت في دارات متلاحقة إلى ما لانهاية – ما من حادث فريد لا يجري سوى مرة واحدة (ومثلاً الحكم على سقراط وموته)، فإنه يكون قد جرى، وسيجري بصورة دائمة، وإن الأفراد أنفسهم ظهروا ويظهرون وسيظهرون في كل عود للدارة حول نفسها، وأن الديمومة الكونية هي تكرار، دورة Anakuklesis عود أبدي . (إلياد91:1994-92)

رأى اليهود أن فكرة الزمن الدائري غير مجدية، وليس هناك عود أبدي لأن (يهوا) يتجلى في التاريخ دائماً . فالزمن له بداية واستمرارية موشّحة بظهورات يهوا . وبذلك أصبح للحدث التاريخي عمقٌ إلهيٌّ . ولم تعد الآلهة تظهر في بداية ونهاية التاريخ بل أثناء التاريخ على شكل حركات غضب أو رضا أو هزيمة . . إلخ .

وطوّرت المسيحية هذا النظر اليهودي للتاريخ إلى مدىً أبعد، فقد أصبح الله إنساناً في هيئة يسوع وذا بعدٍ تاريخي . أي أن التاريخ المدنّس أصبح (أحياناً) تاريخاً مقدّساً، فقد تقدّس الزمن بحضور يسوع، ولم يعد ذلك الزمان المقدّس أسطورياً، بل هو زمان تاريخي تأسطر أي ″أن (التاريخ) يتكشف على أنه بعد جديد ناجم عن حضور الله في العالم . (التاريخ) يغدو من جديد هو (التاريخ المقدس) كما كانت تتصوره، ولكن في منظور أسطوري، الديانات الابتدائية والغابرة . المسيحية تنتهي إذن، لا إلى فلسفة، بل إلى لاهوت (للتاريخ) . ذلك أن أحوال تدخل الله في (التاريخ)، ولا سيما (تأنسهُ) في الشخص التاريخي لـ (يسوع – المسيح) يستهدفان غرضاً يعلو على التاريخي : خلاص الإنسان″ (إلياد 93:1994)

الديانة المندائية تسلك سلوكاً وسطاً بين المفاهيم القديمة (البابلية، الإغريقية، الهندية) للزمان الدائري والمفاهيم الجديدة (اليهودية المسيحية) للتاريخ المقدّس . فهي إذ تضع دائرة الزمن الكبرى بأربعة أدوار بحيث إنّها تُبقي في نهايتها على عالمي النور والظلام متقابلين دون فناءٍ كلّي لعالم الظلام مثلاً، وهذا يعني إمكانية تجدد الدائرة، من جديد، في دورة خلقية جديدة . ولكن الأدوار الأربعة مسيطرٌ على ثلاثة منها من قبل ما يسمى بـ (رئيس الدور) ذي المنشأ النوراني مثل هيبل، شيتل، أنوش أما الدور الرابع فمخترق، بين حين وآخر، بظهور (أنوش أثرا) بشكل خاص عند حلول الكوارث، وعند رفع الناصورائيين الكبار مثل دنانوخت وسام ويحيى . . إلخ، وهذا يعني أن المقدّس ما زال يصبغُ جزءاً من التاريخ بقداسته فيرفعه من مستواه الدنيوي إلى المستوى الإلهي .

إنَّ عالم النور وقف كلّه مع الدور الأول، حيث الخليقة، وكان قد عهد إلى سلالة كاملة مكوّنة من آدم وحواء وهيل وشيتل وأنوش دفع عجلة الزمن في هذا الدور، لكن آدم وحواء ثم هيبل ارتفعوا إلى عالم النور، وفجأة بهت ضياء الدور الثاني لأن فيه كلاً من شيتل وأنوش فقط . ومع ذلك كان عالم النور بكائناته المترددة على عالم الأرض يعين مضي الزمن في هذا الدور الثاني، أمّا في الدور الثالث فقد وصلت الدورة إلى القياس الذي يناسب عالم النور فأصبح الدوران في الوجهة المضادة يمضي من تلقاء نفسه، وصعد أنوش، وأصبح العالم في الدور الرابع خالياً من رسل النور فانحطّ الزمن وسار إلى الحضيض حيث الكارثة الكونية الكبرى وفناء الأرض . لقد رفع عالم النور يده من حركة العالم مع بداية الدور الثالث وتركه ينزل تلقائياً في حركة نزول طبيعية صاحبها خراب كثير ودمار هائل وظهور أنبياء الكذب وكائنات الخراب واستشراس كائنات الظلام والكواكب والأبراج .

كان بيديه Bidez يرى أن الفكرة التي تقول بأن الكواكب إذا أنضمَّ بعضها إلى بعض يحدث اضطراب عالمي هي فكرة ذات أصل كلداني . وكذلك يخبرنا برعوشا البابلي (من القرن الثالث ق . م) بأن الكوارث الدورية ناتجة عن دورة الأجرام السماوية، فعندما تتجمع جميع الكواكب في مكان واحد فسنحصل على ما نسميه (السنة الكبرى) أو (الزمان التام) وهو الذي ينتج عنه الكوارث الكبرى . وقد أخذ المندائيون هذا المبدأ ضمنياً فهم يرون أن اتحاد الأبراج والكواكب مع بعضها بقيادة

الروها (الظلام) ينتج عنه كارثة كبرى تفصل بين الأدوار كالسيف أو الحريق أو الطوفان أو الريح .

كان المندائيون، في وادي الرافدين، هم الذين طوّروا مفهوم الأدوار الكونية الأربعة ونهايتها بالعاصفة الكونية . أما الرواقيون، في أثينا ثم روما، فقد طوّروا هذا المفهوم انطلاقاً من هيراقليطس أو تأثراً بما قاله المندائيون خصوصاً والغنوصيون عموماً .

وتبدو لنا فكرتا (العود الأبدي) القديمة و (نهاية العالم)، وهما من اختراع الأقوام الشرقية واليونان (الهيلنستية)، قد تفوقتا وظهر العود الأبدي بأدواره الأربعة (كما في المندائية) وبأدواره اللانهائية (كما في الهندوسية والبوذية والجاينية) . أما اليهودية والمسيحية ثم الإسلام فقد بقّعوا التاريخ بالحوادث المقدسة ولم تعد هناك ضرورة لعود أبدي .

إن العود الأبدي المندائي يشكل الحلقة الرابطة بين العود الأبدي في الأديان الوثنية القديمة وبينه في الأديان السماوية الموحِّدة الأخرى . فقد لجمت غلواء الهنود في الدورات اللانهائية وأعطت بداية تقديس التاريخ في ظهور حوادث إلهية، وتكون بذلك قد حافظت على الذاكرة البشرية في هذا المجال .

ثانياً : الرحلات بين عالمي النور والظلام :

تشكل الرحلات بين عالمين متناظرين أحدهما علوي والآخر سفلي المصدر الأول لمثولوجيا الغنوص والعود الأبدي . ولا نريد أن نخوض هنا في تفاصيل رحلات الصعود والهبوط من وإلى العالم الأسفل السومرية لديموزي وإنانا، وإنليل وننليل والبابلية لمردوخ والمصرية لإيزيس وأوزيريس والكنعانية لبعل وعناة والفينيقية لأدونيس وأفروديت وغيرها فهي معروفة ويمكن العودة لها .

إن أساطير النزول والصعود إلى ومن العالم الأسفل المندائي (عالم الظلام وعالم الأرض) هي ما يهمنا هنا لأنها تشكل نوعاً من العود الأبدي الذي نتجت عنه مفاهيم مثولوجية في غاية الأهمية .

1. **دورة الحيوات الثانية والثالثة والرابعة** : أول نزول بدأ مع تمرد الحياة الثانية (يوشامن) وهبوطها إلى خارج عالم النور للبحث عن سكن وعالم خاص بها ثم تبعها تمرد الحياة الثالثة (أباثر) . أما الحياة الرابعة (بثاهيل) فقد خاضت في المياه السوداء لعالم الظلام، ونتج عن هذه الحركة النازلة خلق الأرض بعد أن صعد بثاهيل إلى أباثر أكثر من مرة . . وبقية الأسطورة معروفة .

وقد كان نزول هذه الحيوات في بداية الخليقة، أمّا صعودها فقد حصل مع نهاية الخليقة ومجيء ساعة فناء الأرض . فقد عرفنا أن هيبل زيوا قبل فناء الأرض أعاد بثاهيل وأباثر ويوشامن إلى عالم النور بعد موافقة الحي العظيم على غفران خطيئتهم الأولى التي سببت كل هذه المتاعب .

وتعتبر دورة الصعود والنزول هذه أول وآخر دورة في الخليقة، فقد ضمت بداية الزمان ونهايته في دورة واحدة كبرى .

2. **دورة مندا إد هيي** : هبط مندا إد هيي إلى عالم الظلام بعد ظهور أبناء ا لحياة الثانية (يوشامن) ورغبتهم في إنشاء عالم خاص بهم، فقد خلق مندا إد هيي ثم قام مانا العظيم بإصدار الأوامر له لكي ينزل إلى عالم الظلام كي تنزل الأثري وتفعل شيئاً قبيحاً هناك . أي لكي يقطع الطريق على أبناء يوشامن وما بعده فينشِئ هو عالماً هناك لا ينقطع عن عالم النور، وربما كان المقصد الأخير هو خلق الإنسان ذي النشمتا التي هي رابطته بعالم النور . وقد عرفنا من الأسطورة كيف قاتل مندا إد هيي أور ملك الظلام وكيف استطاع أن يبني طريق العبور الآمن ويفتح مجرىً بين النور والظلام واستطاع أن يقيّد أور ويسجنه لكي يُسمح بخلق عالم الأرض ثم الإنسان دون متاعب ما دامت الأمور تتجه نحو خلق عوالم تابعة لعالم النور خارجه .

كان مندا إد هيي من وجهة نظرنا، ينافسُ أو يتسابق مع الحيوات الثانية والثالثة والرابعة لخلق عالم تابعٍ لعالم النور غير منقطع عنه بسلالاته النورانية . لكنّ هذا الهدف سيلتقي مع هدف الحيوات المتمردة، وسيعملان، في النهاية، مندا إد هيي وبثاهيل (الحياة الرابعة)، على التعاون وخلق الأرض ثم خلق الإنسان .

وقد عاد مندا إد هيي إلى عالم النور بعد أن أنجز مهمته . وكانت دورته هذه بمثابة الدورة الأولى التي أنجزت مباشرة بين عالمي النور والظلام .

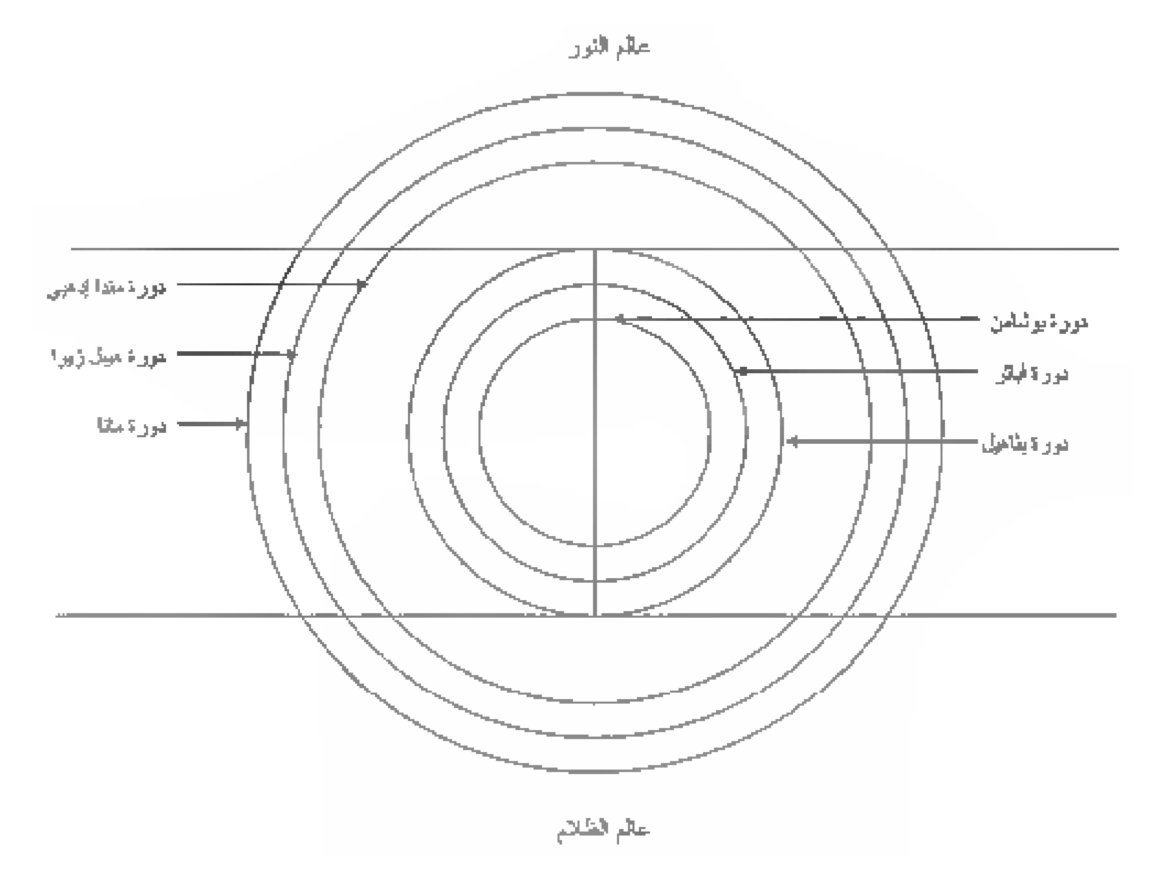
3 . **دورة هيبل زيوا** : تعتبر دورة هيبل زيوا أكثر الدورات تركيباً ودلالة على المستوى المثولوجي فقد جاءت لأغراض عديدة منها السيطرة على روها وأور، وجلب أسرار عالم الظلام والزواج من زاهرئيل (أخت روها)، حيث تم إنجاب بثاهيل داخل عالم الظلام من جهة ومن نظر أباثر في وجه الماء الأسود من جهة أخرى . . وهي عملية مثولوجية مركبة شرحناها بالتفصيل في مكانها .

إنَّ هذه الدورة هي عبارة عن أربع دورات، تكونت فيها كلّ دورة من صعود ونزول واحتشدت هذه الدورات بالرموز والدلالات العميقة . بل إنَّ دورة هيبل زيوا تظهر وكأنها أسطورة الخليقة الثانية بعد أسطورة الخليقة الأولى لعالم النور . ومع ذلك فهي تتوازى مع دورة مندا إد هيي كثيراً، لكنها تمتاز عنها بثقل رموزها ودلالاتها .

4 . **دورة (مانا) أو (نشمتا)** :التي يعبر عنها هي الأخرى بمركّب رباعي يتكون من آدم كاسيا وهيبل أثرا وشيتل أثرا وأنوش أثرا . فهي تناظر دورة هيبل زيوا في تركيبها . لكنها بطبيعة الحال، تتضمن هبوطاً لـ (مانا) من قبل آدم كاسيا في جسد آدم الظلامي ثم هبوط حواء كاسيا وأولادهم . وقد مثّلت هذه الدورة الفاعلية المستمرة للعود الأبدي المثولوجي حيث أرواح (نشماثا) الناس تهبطُ وتصعد في عود أبدي لا ينتهي، ظل مستمراً طيلة العصور البشرية الأربعة ولن يتوقف إلاّ بفناء الأرض ونهاية الإنسان .

كذلك فإن قرب انتهاء العود الأبدي سيكون مدعاةً لاكتمال دوائر الخطاة . الثلاثة (يوشامن، أباثر، بثاهيل) حيث سيصعدون في آخر الزمان إلى عالم النور بعد أن توقفت دورتهم في النزول فقط .

إن تأمل شكل دورات الأساطير الست توضح مدى توغل أساطير العود الأبدي في الديانة المندائية ومدى اتصال هذه الديانة بالديانات الرافدينية التي ظلّت حافلة بمثل هذه الأساطير رغم أن المندائية طوّرت، من جهة أخرى، دورات فلكية تنجيمية للعود الأبدي شرحناها في الفقرة السابقة صارت هي عماد الغنوصية والهرمسية فيما بعد .



دورات أساطير النزول والصعود من وإلى عالم النور والظلام

الطقوس الدورية المندائية والعود الأبدي

الطقوس الدورية خلال السنة تعبر دائماً، في جميع الأديان، عن ذكرى مقدّسة يتمّ استعادتها لكي يُكسرَ الزمان التاريخي الرتيب بأيام مقدسةٍ تعيد له الانتعاش من ناحية، وتجدد في المتدين القوة التقديسية التي تكفل له الالتحام بالحادثة الأولى وبشخوصها المقدّسين من ناحية أخرى . والأعياد هي نموذج الأيام الطقسية الدورية في كل الأديان .

إنّ لـ (زمان) الأصل لواقع من الوقائع، أي الزمان الذي يستند إليه ظهوره الأول، قيمة ووظيفة أنموذجية . ولذا فإن الإنسان يجهد لإعادته في الحاضر على نحو دوري بواسطة شعائر مناسبة . ولكن (الظهور الأول) لواقع يعادل خلقه حين خلقته (كائنات) إلهية أو شبه إلهية . ولذا فإنَّ العثور مجدداً عن (زمان) الأصل يتضمن، من ثمَّ، التكرار الشعائري لعمل الإله الخالق . وإن إعادة (الكائنات الإلهية)

الأعمالَ الخالقة في ذلك الزمان على نحو دوريّ يؤلف التقويم المقدس، يؤلف جملة الأعياد . فالعيد يجري دائماً في (الزمان) الأصلي . ولذا فإن إعادة تكامله في هذا (الزمان) الأصلي المقدس هي التي تميز، بوجه الدقة، سلوك الإنسان أثناء العيد عن سلوكه قبله أو بعده . وفي جميع الأحوال، يمارس الناس خلال العيد نفس الأعمال التي يمارسونها في الأيام العادية، ولكن الإنسان الديني يؤمن بأنه يعيش، عندئذٍ، في زمانٍ آخر، وأنه نجح في العثور مجدداً على الزمان المقدّس الأسطوري (إلياد 1994:6)

الأعيادُ الدينية هي عود أبدي، يتكرر كل سنةٍ، إلى لحظة أسطورية تمّت فيها الخليقة أو المعجزات الإلهية، وهي شكلٌ عملي من مثولوجيا العود الأبدي .

تعتبر محاكاة نموذج مثالي أو أصلي إعادة لفعل اللحظة، الميطيقية التي تكشّف فيها النموذج الأصلي لأول مرة . يترتب على ذلك أيضاً أن هذه الاحتفالات، وهي غير دورية ولا جماعية، توقف مجرى الزمن الدنيوي، وتقذف بمن يقوم بها، "في ذلك الزمان" . رأينا أن جميع الطقوس تحاكي نموذجاً إلهياً وأن إعادة تمثيلها المستمر تحدث في لحظةٍ ميطيقية واحدة، غير زمانية (إلياد138 :1987)

الأعياد المندائية تعكس أسطورة العود الأبدي الطقسية هذه، فجميعها يستعيد لحظة إلهية أو شبه إلهية تمّ فيها حدث عظيم ويحاول المؤمن استعادته في هذا العيد ليضمن اتصالاً بذلك المكان المقدس واقتراباً من شخوصه المقدّسين .

وسنحاول استعراض الأعياد المندائية دون التطرق إلى كل تفاصيلها، بل سنركز على أصلها الإلهي المقدس وكيفية تمثل حركات ذلك الأصل في سلوك المؤمن الذي يمارس طقس العيد، وكيف أنها تمثل نوعا من العود الأبدي في الزمان . وسنتذكر تواريخ الأعياد حسب التقويم المندائي الذي يبدأ بشهر شباط وسوف نتحاشى التقويم الميلادي لأنه يختلف من سنة إلى أخرى بسبب عدم حساب المندائيين لربع اليوم الكبيس في كل سنة .

Aries		♈	Mars	♂
Taurus		♉	Venus	♀
Gemini		♊	Mercury	☿
Cancer		♋	Moon	☾
Leo		♌	Sun	☉
Virgo		♍	Mercury	☿
Libra		♎	Venus	♀
Scorpio		♏	Mars	♂
Sagittarius		♐	Jupiter	♃
Capricorn		♑	Saturn	♄
Aquarius		♒	Saturn	♄
Pisces		♓	Jupiter	♃

رموز الأبراج وكواكبها

http://www.signcompatibilityhoroscope.com/zodiacsignsymbols.php

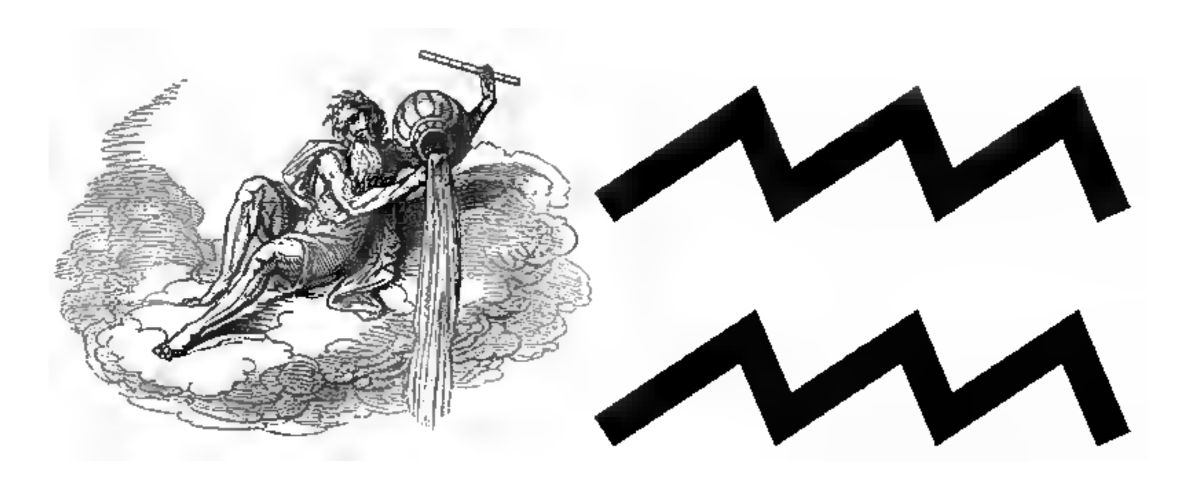


دائرة الأبراج (زودياك)

http://anmolastrologers.blinkweb.com/zodiac-signs.html

1 . عيد رأس السنة (دهفا ربّا):

وهو عيد الخليقة المندائي حيث تستعاد أيام الخليقة التي حصلت في بداية الزمان، ولذلك يبدأ مع بداية السنة الجديدة في الشهر الأول (شباط) . حيث البرج الأول (قام دوله) أي برج الدلو حسب التقويم المندائي، ولنلاحظ أن الخليقة تبدأ بالماء وببرج وشهر مائيين . والاحتفال به يكون لثلاثة أيام .



هذا اليوم هو ذكرى يوم الخليقة لأن (مانا ربّا الكبير) (مانا العظيم) ربّ العظمة، قد أتمّ خلق العالم في هذا اليوم، ولذلك فجميع الأرواح النورانية أينما كانت تغادر مواقعها وتذهب لزيارته وتقديم الشكر له . ويغلق (أباثر) بابه ويرفع الملكان (ندبي) و (شلمي) حراستهما عن الماء الجاري (يردنا) وهيبل وشيتل وانوش يغادرون الأرض أيضاً . وسكان (مشوني كوشطا) وعلى رأسهم (آدم كاسيا) وحارسهم الروحي (شيشلام ربّا) نظير هيبل زيوا – يرتفعون جميعاً إلى عالم النور اللانهائي . وتستغرق هذه الرحلة اثنتي عشرة ساعة للعروج حيث يصلون إلى غايتهم في فجر يوم رأس السنة الجديدة، ويمكثون هناك متأملين خاشعين للكمال طيلة يوم رأس السنة ثم يعودون إلى أماكنهم الأولى فيصلونها في نهاية الليلة التالية (دراور147 : 1987)

لهذا السبب يصبح العالم مهجوراً من الكائنات الإلهية (لأنها صعدت إلى الخالق)، ويكون غير محروس، وتصبح قوى الشر والموت طليقةً سائبة، ويصبح كلّ شيء نجساً وحتى مياه الأنهار تصبح خطرة، فلا يجوز أن يتصل بها أحد، وتغلّف الأشجار

بالحصران لكي لا يمسها الأطفال، ولا يفعل المندائيون شيئاً طيلة يوم ونصف هي الفترة التي تقضيها الكائنات الإلهية في زيارة عالم النور .

في هذه الأيام لا تجري طقوس ولا يعمل أي شيء سوى إغلاق البيوت وعدم الاتصال بالناس أو بشيء . حيث يحافظ المندائيون على أنفسهم من أي شيء . وتعتبر وفاة أحدهم في هذه الفترة كارثة كبرى (لأنه يوم خليقةٍ)، ولذلك يغطى بالقماش الأبيض لليوم التالي وتجري طقوسه في عيد البنجة .

في اليوم الثاني يخرج المندائيون من بيوتهم ويتزاورون ويحتفلون ويقرأون حظوظهم من الكهان للسنة الجديدة . وبذلك يقلّد المحتفلون ما فعلته الكائنات الإلهية ويحذرون من لمس الأشياء التي تركتها بلا حراسة، وهذا بحد ذاته يجعل المؤمن ملتحماً بهذه الكائنات محترماً سلوكها وملتحماً معها .

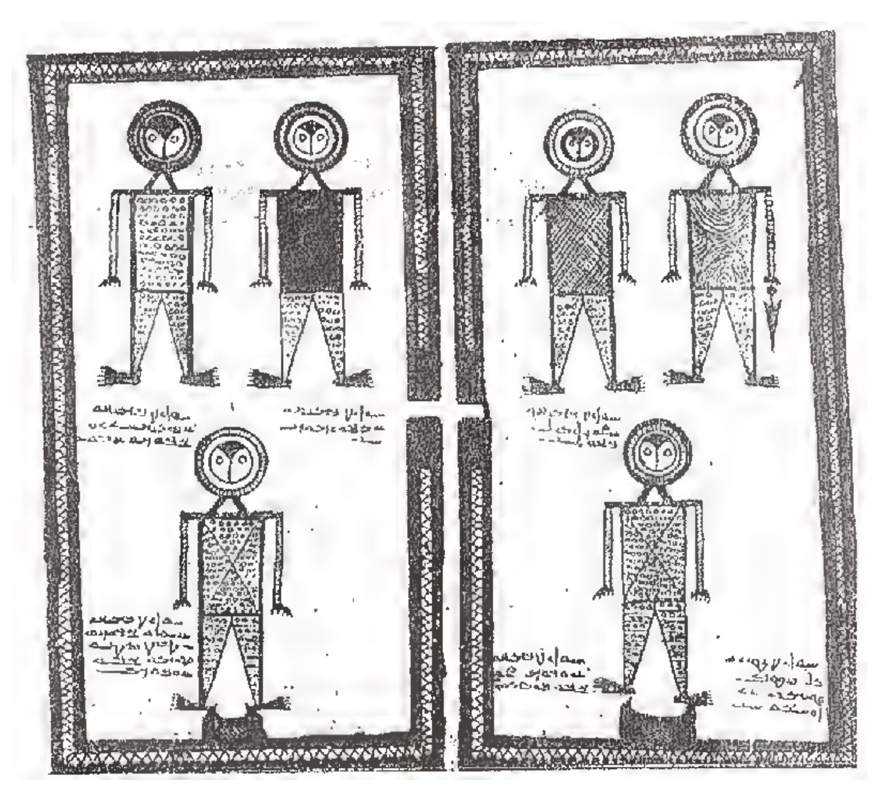
2 . عيد شوشيان (دهفا إد شيشلام ربا أو شوشيان):

ويصادف اليوم (6–7) من الشهر الأول شباط . أي بعد العيد الكبير بثلاثة أيام، ويسمى (نوروز زوطا) أي السنة الجديدة الصغرى .

وأصل العيد مرتبط بحارس مشوني كوشطا الأثري شيشلام ربا (شوشيان) الذي يبدو أن هذا هو يوم تتويجه بإكليل الآس، والليلة بين اليومين تسمى ليلة القدر حيث تفتح فيها أبواب أباثر، أمّا الناسُ المؤمنون فيرون أسرارها ويحصلون على ما يطلبون .

يعمل المحتفلون على صنع أكاليل الآس والصفصاف ووضعها على واجهات بيوتهم إلى السنة القادمة في مثل هذا اليوم مشاركة منهم لتتويج شيشلام ربا . ويطلب الناس من السماء في ليلة القدر التحرر من الخطايا والدعاء .

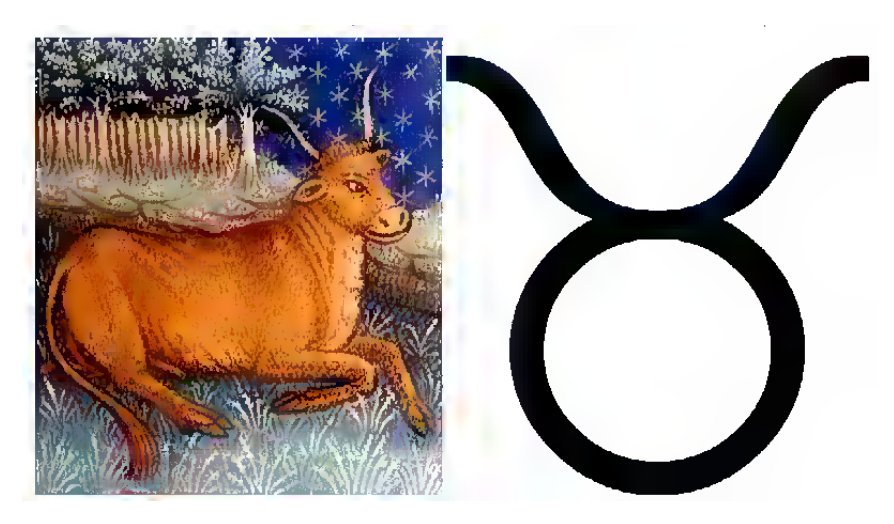
إن شيشلام ربّا هو راعي الفردوس (الجنة)، لذلك يكون استدعاء يوم تتويجه هو محاولة الانضمام إليه ذات يوم في هذا المكان السامي . وهذا أيضاً عود أبدي لتلك اللحظة المقدسة التي حصلت ذات يوم لكسب شفاعته .



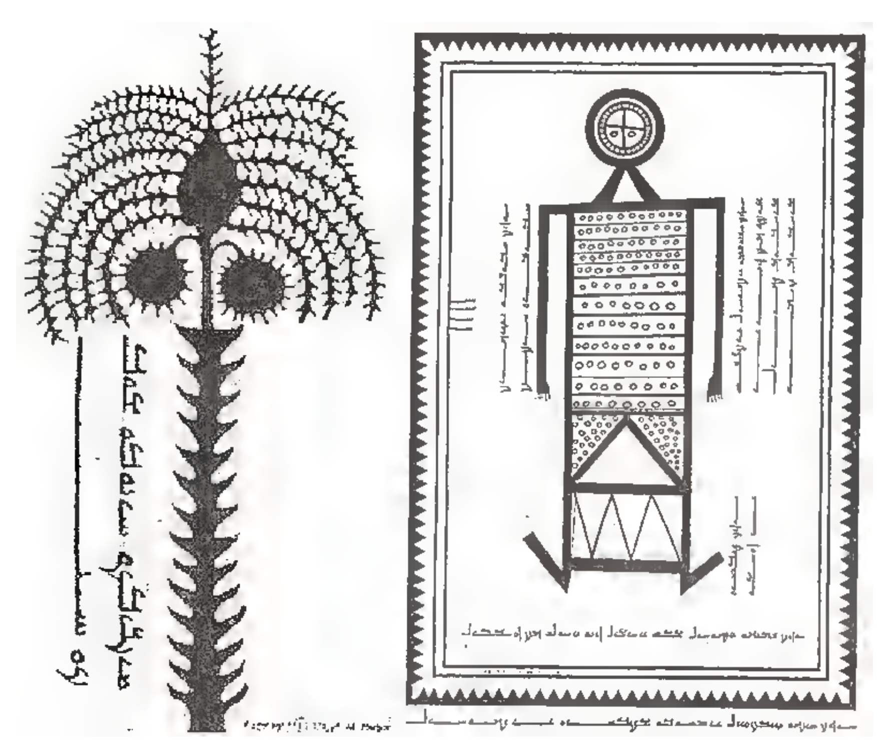
كائنات عالم مشوني كوشطا

3 . عيد الفل :

ويصادف في أول يوم من الشهر الرابع تورا . والأصل الإلهي لهذا العيد هو أنه يوافق يوم إرسال الخالق لهيبل زيوا وبثاهيل من أجل خلق الأرض وجعلها قابلة للسكن، حيث وصل لها في مثل هذا اليوم وكان أول ما خلقه عليها هو النخلة ثم خلق الأشجار والخضروات .



برج الثور ورمزه



بثاهيل خالق الأرض النخلة (سندركا)

ولذلك يقدّس المندائيون النخلة (سندركا) "ويهيئون قبل يوم من العيد كميةً من التمر، وبعد عزل نواتها أو بذورها يضيفون لها السمسم وبعض الحبوب المعطرة، ثمّ يحمّرونها على النار وبعد سحق الحبوب المعطرة في الهاون يضيفونها إلى التمر، عندما يذوب على النار جيداً ويمزجونه مع المواد المضافة جيداً، ويصنعون من الخليط أشياء تشبه الضفيرة تسمى بـ (الفل)" (برنجي 209: 1997)

إن عيد الفل هو صدى ذكرى خليقة هيبل زيوا لشجرة النخيل .

4 . العيد الصغير (دهفا حنينا (طرما)) :

ويصادف في 18 من الشهر الرابع (تورا) ويستمر لثلاثة أيام . أما الأصل الإلهي للعيد الصغير فهو انتهاء هيبل زيوا من مهمته وعودته من عالم الظلام أو عالم الأرض .

ولذلك يقوم المندائيون بالاحتفال بعودة هيبل زيوا ظافراً ويقيمون مراسيم التعميد وقراءة الفاتحة للموتى (لوفاني) . فإذا كان العيد الكبير (الخليقة) لخلق الكون كله، فإنَّ هذا العيد الصغير لخلق الأرض، وربما لعودة هيبل زيوا من عالم الظلام لكي يهيِّئ لخلق الأرض كما عرفنا .

5 . عاشوراء (العاشورية):

يسمى أول يوم من الشهر السادس (سرطانه) ويُصادف شهر تموز باسم عاشوراء أو العاشورية وهو ذكرى لحادثتين متباعدتين :



برج السرطان ورمزه

الأولى : يوم نهاية الطوفان بعد أحد عشر شهراً من ضياع سفنية نوح على سطح المياه ونزول نوح ومن معه من السفينة، حيث أقاموا مراسم (لوفاني) أو غذاء الثواب الذي كان يعرفه المندائيون قبل نوح وما زالوا يعملون به .

الثانية : يوم غرق المصريين الذين هلكوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود، لأن هؤلاء المصريين كانوا من المندائيين (الصابئة) .

وبالمقابل فإن اليهود يحتفلون في اليوم العاشر من شهر محرم بيوم عاشوراء لأن الله قد أغرق فرعون في مثل هذا اليوم، وهو ما ذكره البيروني .

وفي الحالين يقيم المندائيون في مثل هذا اليوم وجبة طعام تذكارية من الحبوب ويصنعون منها نوعاً من الأكل يشبه الهريسة ويوزعونه بينهم ويعطونه للفقراء . ويكشف لنا هذا العيد صدى تلك الحادثة التاريخية الأسطورية التي ذكرها كتاب (حرّان كوثيا) وسلطنا الضوء عليها . أما نهاية الطوفان فقد كانت هناك وجبة طعام تذكرها الكثير من الأساطير وفي مقدمتها أسطورة الطوفان البابلية .

6 . عيد الربيع (البنجة، بروانايا):

ويقع بعد انتهاء الشهر الثامن (قام شمبلتا) أو (أيلول) واليوم الأول من الشهر التاسع (قام قينا) أو (تشرين) حسب التقويم المندائي .



برج الميزان ورمزه

ويصادف الآن في آذار ونيسان ويستمر لخمسة أيام لا تحسب في التقويم أو أنها تعدّ بمثابة شهر كامل يُحشرُ بين الشهرين الثامن والتاسع . لأن السنة المندائية مكونة من اثني عشر شهراً وكل شهر مكون من 30 يوماً، ولذلك تعتبر الأيام الخمسة الزائدة هذه عيداً منفصلاً قائماً بذاته، وربما كان لأغراض عملية من أجل كبس السنة، ولكن

المندائيين لم ينتبهوا لربع اليوم معها، والذي ظلّ يربك تقويمهم كلما حاولنا مطابقته مع التقويم الشمسي .

الأصل الإلهي لهذا العيد هو خلق خمسة من الكائنات الإلهية الكبيرة في خمسة أيام أي بمعدل يوم واحد لكلٍّ منهم، وهم على التوالي (أنوش أثرا، شيشلام ربّا، يوخاشا كنّا، نباط زيوا، بهرام ربّا) وفي هذه الأيام تُفتح أبواب عالم النور وتبقى مفتوحة ليلاً ونهاراً، ولهذا يجوز إقامة الصلوات والمراسيم في الليل، تلك التي لا يجوز إقامتها في الليل في الأيام الأخرى؛ لأن الليل يعتبرُ مضاءً بفعل أشعة عالم النور . وتكون أبواب السماء مفتوحة للأدعية .

يقيم المندائيون أكبر عيد تعميد نهري ويكرس كل يوم لواحد من هؤلاء الأثري العظام احتفالاً بخلقهم، وهو عيد فرح وبهجة يجري فيه تعميد المندائيين جميعاً، ويصار فيه من أجل تذكر الموتى . ويرتدي الجميع ملابس بيضاء ويمشون حفاةً أثناء التعميد الجماعي اليومي . ولأن أبواب السماء مفتوحة ترتفع أرواح الموتى في هذه الأيام بسرعة إلى عالم النور .

7 . عيد العماد الذهبي (دهفا إد إيمانا):

ومدته يوم واحد،ويكون بعد عيد البنجة بستين يوماً أي في اليوم الأول من الشهر الحادي عشر (هطيا) . الأصل المثولوجي له هو عيد الاحتفال بتعميد آدم لأول مرة بعد خلقه .



آدم كاسيا وكتابه المحفور في روحه (كتاب آدم)

ولذلك يقوم المندائيون بالتعميد فيه بصورة واسعة، خصوصاً أنه يقع في الصيف، وهو أنسب عيد لتعميد الأطفال، ويحصل المعتمد في هذا العيد على بركات ستين عماداً، ويحرّم فيه ذبح الحيوانات، ويمنع أكل اللحوم فيه .

8 . كنشي وزهلي (الكنس والتنظيف):

وهو آخر يوم من السنة أي يوم 30 من شهر (كديا) وهو بداية الاستعداد للاحتفال برأس السنة القادمة، فهو نوعٌ من طرد وكنس السنة الماضية واستقبال سنة جديدة، ولذلك هو يوم عمل تذبح فيه الأكباش والدجاج، ويخبز فيه الخبز ويحفظ، وتحضّر الفطائر والخضراوات والتمر، وتجلب المياه في الأواني من النهر ومن صباح ذلك اليوم يعمّد الكهان من يرغب في ذلك . إنه وداع سنة واستقبال سنة . فهو ليس بالعيد بل هو استعداد للعيد القادم بعد يوم .



برج الجدي ورمزه

يتضح لنا من الصورة التي عرضناها للأعياد المندائية أنَّ كل هذه الأعياد هي صدى لأيام أسطورية في تاريخ المندائيين الروحي، وأن الطقوس الخاصة بها تناجي ما حصل في هذه الأيام وتقلدها أملاً في الاتحاد بها وبكائناتها الإلهية .

علينا ملاحظة أنَّ كل الأعياد المندائية هي تذكير بأحداث أسطورية لا تاريخية تنتمي كلّها إلى عالم النور، باستثناء الوجبة الطقسية (عاشوراء) التي تستذكر حدثاً تاريخياً أسطورياً، وهي على كلّ حال ليست عيداً بل وجبة طقسية . ويترتب على هذا أيضاً أنَّ المندائيين يختلفون عن جميع الأديان التوحيدية في أن العود الأبدي الطقسي عندهم ذو مرجعيات أسطورية خالصة .

لقد فعلها (أنوش أثرا) في أكثر من مرة عندما دمّر أورشليم وعندما دمّر بابل (بغداد كما وردت في نص حران كويثا)، وعندما انتقم لشعبه المندائي كما ذكرنا في سردنا للتاريخ الأسطوري لهم، لكنهم لم يحوّلوا تلك الأحداث إلى أعياد أو مناسبات للذكرى الطقسية، أي أنهم لم يجعلوا من التدخل الإلهي في التاريخ مناسبة للعود الأبدي .

الفصل السادس
العود الأبدي في الفن والأدب والفكر والعلم



لوحة العود الأبدي

http://larvalsubjects.wordpress.com/2008/11/20/reminder-desire-and-the-death-drive-depression/

الفن والعَود الأبدي
الفن المقدس والفن الجميل

كانت فنون ما قبل التاريخ الرحم المقدس الذي خرج منه الفن وهو مشحون بطاقة الأبد اللامتناهي الذي جسّده التأمل في البنى الماروائية الأولى التي آمن بها الإنسان .

وكان من الطبيعي جداً أن يكون هذا الفن رمزياً مليئاً بطاقة الرمز الدالة العميقة . ورغم أن تلك الفنون كانت تشحذ فكرة محاكاة الطبيعة، لكنها لم تكن مطالبة بأن تكون مطابقةً للطبيعة، بل إنها بالإجمال لا تطابق الطبيعة، وقد تأخذ أشكالاً تجريدية وهندسية لكنها لا تكون واقعية .

وهذا هو سرّها الكبير في كونها تحاول أن تعبر عن الكليّ والمطلق والأبد، ولذلك تتجنب ضمناً أن تكون مطابقةً للطبيعة أو محاكية لها .

وإذا كانت فنون ما قبل التاريخ تحمل كلّ هذه القداسة كونها اقتربت أكثر من البدائية والأبد وتمثلت الرمزية في باطنها، فإن فنون العصر التاريخي القديم حاولت أن تنهج ذات النهج، لكنها كانت أقل من فنون ما قبل التاريخ تمثلاً للفن المقدس .

يمكننا من أجل تتبع تاريخ الفن المقدس القول أنه ينقسم إلى فنون ما قبل التاريخ والفن القديم والفن الوسيط، لكن لكل مرحلة من هذه المراحل تجلياً خاصاً للمقدس فيها، ففي فنون ما قبل التاريخ يظهر المقدس ملتصقاً بالطبيعة والفطرة ومشحوناً بقوة المقدس بدرجة كبيرة، أما الفنون القديمة فتُظهر التصاقاً أقل بالطبيعة والفطرة وتدخلاً للخبرة والإبداع والتنوع وظهوراً نوعياً للمقدس وإن قلّت شحنته عن ما سبقه . لكن الفنون الوسيطة تُظهر ميلاً عالياً للتجريد وابتعاداً عن الحسيّة .

كان الإغريق يرون في الفن محاكاة لعالم المُثل، وهذا يؤكد أنَّ الفن الإغريقي لم يزل فناً دينياً مقدساً؛ لأن عالم المُثل هو عالم النماذج البدئية، وكان الفن يهرب من

التاريخ ليلجأ إلى الدين والعالم الأبدي . وكان هيغل يرى "أنَّ العمل الفني عملٌ روحي" (هيغل :1988:68) .

ويسري هذا الأمر على الفن المسيحي والفن الإسلامي والفن البوذي في العصر الوسيط .

يأتي العمل الفني إذن من الروح ويوجد للروح، ويكمن تفوقه في الواقع أنّه إذا كان النتاج الطبيعي نتاجاً محبواً بالحياة فإنه بالمقابل قابل للفناء، بينما العمل الفني عمل يدوم، والديمومة ذات أهمية أعظم . الأحداث تقع . لكن ما أن تقع حتى تزول . بيد أن العمل الفني يسبغ عليها ديمومة، يمثلها في حقيقتها غير القابلة للفناء . إنه يضع يده على الفائدة الإنسانية والقيمة الروحية لحدث ما، لطبع فردي ما، لعمل ما، في تطورها وعواقبها ويبرزهما في صورة أكثر نقاء وشفافية مما في الواقع العادي، غير الفني . لهذا يتفوق العمل الفني على كل نتاج طبيعي لم يمر بطريق الروح . وعلى هذا النحو نجد أنَّ العاطفة والفكرة اللتين ألهمتا الفنان في الرسم منظراً معيناً يبوئان عمل الفكر هذا مرتبة أسمى من مرتبة المنظر نفسه كما هو موجود في الطبيعة . إن كل ما يصدر عن الروح يتفوق على ما يوجد في الحالة الطبيعية . ولا ننسَ أنَّ الكائن الطبيعي لا تنبثق منه مُثَل عليا إلهية، وأنَّ الأعمال الفنية وحدها القادرة على التعبير عن نظير هذا المثل . (هيجل1988:68)

منذ عصر النهضة وبداية التاريخ الحديث بدأ السعي حثيثاً لخلق فنٍّ جميل وليس للاستمرار بالفن المقدس القديم والوسيط، وكان من أهم شروط هذا الفن الجديد انسجامه مع التاريخ وتخلصه من المقدس . واستطاع الفن الحديث بعد عصر النهضة وحتى يومنا هذا التخلص نهائياً من المقدّس ونشأ الفن الدنيوي أو التاريخي أو الجميل يشمل الفن الحديث والفن المعاصر .

كان الفن الحديث منذ عصر النهضة وحتى نهاية القرن التاسع عشر قد أنتج أعظم آيات الفن الحديث، ومع حلول القرن العشرين وترسّخ الحداثة ظهر فنّ الحداثة وما بعد الحداثة اللذين تحول معهما الفنّ الجميل إلى فنّ تاريخي بامتياز .



لوحة العود الأبدي لديفد بويد

David Boyd O.B.E. (1924-)

http://www.wagnerartgallery.com.au/artists.php?id=6

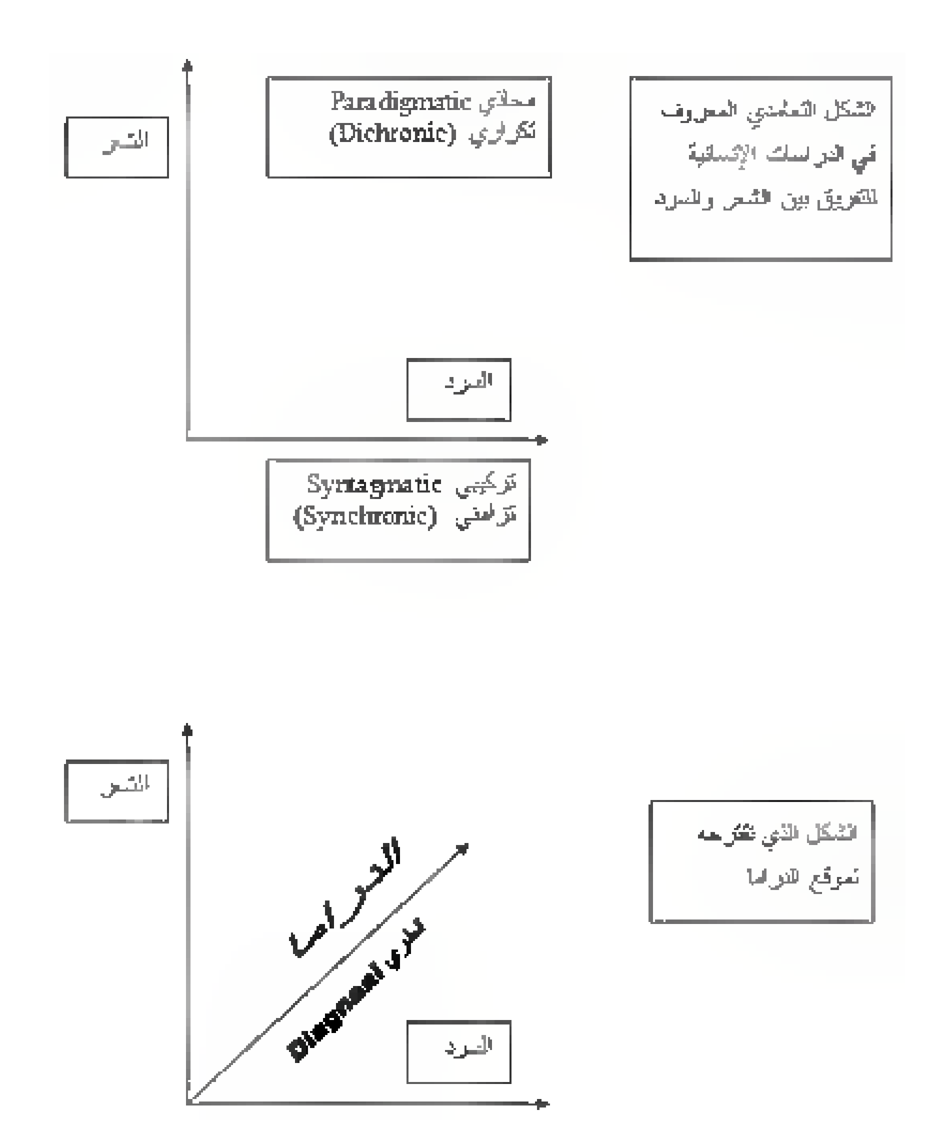
الأدب العَودي
العود الأبدي والعود الأدبي

الشعر : عود أبدي

السرد : تاريخ

ينطوي النظام الدايكروني/ الشعري، والسايكروني/ السردي على معادلة يمكن أن تنفعنا في الكشف عن الجوهر الخفي الذي يشكِّل كلاً من الشعر والسرد .

العمود الشاقولي/ الشعري الذي هو عمود دايكروني يعتمد على وسيلة التبادل التماثلي الدائري، حيث الشعر ينطوي على نظام استعاري قابل للاستبدال إلى ما لانهاية وهو، بشكل من الأشكال، نوع من الزمان الدوري التكراري الذي لا يتقدم إلى أمام، بل يظل نسقاً أبدياً بلا نهاية . ولهذا يمكننا أن نقرر أنَّ الشعر هو نوع من العود الأبدي . أما الخط الأفقي/ السردي فهو سايكروني يعتمد على التزامن والتتابع والتقدم الكرونولوجي، وهو يعتمد على الانتقال أفقياً من حدث لآخر،



فهو ذو نزعة تاريخية، فالسرد هو إذن تاريخ متواتر . وهكذا يتعارض الشعر مع السرد في نقطة جوهرية تتعلق بالعود الأبدي والتاريخ . لكن ما يزيل القلق من تداعيات هذا التحديد الأديولوجي هو أنَّ الأدب كله لعبةٌ متفقٌ عليها سلفاً ولا تستوجب الإيمان العقائدي . فالأدب عكس الدين تماماً لأنه فنّ دنيوي جمالي في حين أنَّ الدين عقيدة آخروية تستوجب الإيمان .

وبعودتنا للتفريق بين الشعر والسرد على أساس العود الأبدي والتاريخ نكون قد وضعنا اليد على كشف جوهر كلٍّ منهما، فالشعر لصيق بالنماذج البدئية والأسطرة والدورات الزمنية في حين أنَّ فنون السرد (القصة والرواية) لصيقةٌ بالأحداث التاريخية والنظرة الواقعية واللحظة الراهنة .

ويمكننا أن نقرر أن الخط القطري الذي يكون بين الشعر والسرد هو الدراما بسبب من احتواء الدراما على الشعر والسرد معاً، ويمكن أن تكون الدراما هي عمليات (تأبيد التاريخ) التي صنعتها الأديان التوحيدية المندائية واليهودية والمسيحية والإسلام .

وبسبب من طبيعة الأدب يمكن، أيضاً، للشعر أن يكتنز بجوهر السرد ويمكن للسرد أن يكتنز بجوهر الشعر . وربما كان هذا أحد أسرار الأعمال العظيمة، حيث يظهر ذلك واضحاً في أعمال جيمس جويس وأليوت ومارسيل بروست الذين استطاعوا أن يستفيدوا من العود الأبدي ومن السرد في أعمالهم الروائية والشعرية .

يكون العود الأبدي عوداً أدبياً بامتياز حين يتمثل خطى السرد القديم والشعر القديم للخروج بأدب جديد .

والحقيقة أنَّ لكل مبدع كبير (أسطورة شخصية) مرتبطة بأسطورة عامة وبنماذج بدئية فإذا قلّ إيمانه بها أو ذبلت ذبل إبداعه، دون أن يعرف السبب أحياناً، ولذلك لا بدَّ لكل مبدع من أسطورة أو نموذج بدئي تحرض نشاطه الإبداعي طيلة حياته، وقد يكون العود الأبدي (بمعناه الإبداعي لا الديني) وسيلة لتفعيل وتنشيط هذا الإيمان .

وظيفة النقد الأدبي هي الكشف عن النماذج البدئية، وإظهار مدى الانزياح والتعديل . ويشرح الناقد حنّا عبود مفهوم الانزياح بقوله : ″إن ما يجري في الأدب هو انعكاس لدورة الطبيعة، فالربيع يكرر نفسه باستمرار، ولكننا لا نستطيع القول إن ربيع هذه السنة كربيع السنة الفائتة إلا في الإطار العام . إنه ربيع جديد، فنسبة أنواع المزروعات ليست واحدة، والمناخ لا يتكرر كمناخ الربيع السابق تماماً . . . إنَّ ربيع هذا العام منزاح إلى هذه الدرجة أو تلك عن الربيع السابق . ″ ويُلّح النقد الأسطوري على وحدة الأدب . ″إن المخيّلة البشرية واحدة . ″. ويضيف الأستاذ عبود و (″الأرض اليباب″، قصيدة إليوت التي أُغْرِمَ بها الشبان واعتبروها فاتحة الشعر الحديث، لا تختلف عن العالم السفلي الذي حدّثنا عنه هوميروس أو فرجيل أو دانتي، وأخيل العالم السفلي لا يختلف عن سكان″الأرض اليباب″، أو ″الرجال الجوف″ .) . وخلاصة القول، كما يوجزها الأستاذ عبود، هي أن : ″كل أثر أدبي هو طريقة في التعامل مع الأسطورة الأساسية . الأسطورة هي منبع الأدب ومنهج النقد، وكما أنَّ الأدب هو طريقة في التعامل مع الأسطورة فإنَّ النقد راصد يتتبّع الانزياحات التي تظهر في الآثار الأدبية . . . لكن

التجديد ـ أي الانزياح عن الأسطورة الأولية ـ مهما بلغ من شدة، يظل مشدوداً إلى الأساس، لا يستطيع أن يخرقه أو يخرج عنه . . .

(محمود منقذ الهاشمي http://www.awu-dam.org/alesbouh/762/isb762-011.htm)

ويعرّف نورثروب فراي النموذج البدئي بقوله : ″أقصد بالنموذج البدئي الرمز الذي يربط قصيدة بأخرى ويساعدنا بذلك على توحيد الخبرة الأدبية ودمجها، وكما أن النموذج البدئي رمز قابل للإيصال، فإن النقد القائم على النموذج البَدْئي معنيٌّ بالأدب بوصفه حقيقة اجتماعية في المقام الأول وبوصفه أنموذجاً للاتّصال . وهو بدراسة الأعراف والأنواع الأدبية، يحاول أن يجعل القصائد ملائمة لجسد الشعر بوصفه كُلاًّ . وتكرار صور مشتركة معيّنة ذات طبيعة مادية كالبحر أو الغابة في عدد كبير من القصائد . . . . يدل على وحدة ما في الطبيعة يحاكيها الشعر، وفي النشاط الإيصالي للشعر يشكّل جزءاً منه .

(محمود منقذ الهاشمي″ . http://www.awu-dam.org/alesbouh/762/isb762-011.htm)

ويبدو لنا أدب العود الأدبي مرتبطاً بقوة بمفردات العود الأبدي مثل النماذج البدئية وأدوار العالم وفصول الكون الأربعة والغنوصية والهرمسية وأدب الأساطير العودية، مثل تموز وعشتار والطقوس الدورية وغيرها، ولذلك ظهرت أنواع من النقد الأدبي الذي يرتبط بها سمي إجمالاً بـ (النقد الأسطوري) أو نقد النماذج البدئية أو العليا أو (النقد الأركيتايبي) .

إنَّ المنطلقات الأساسية لنقد النماذج العليا أو النقد الأسطوري تقربه كثيراً، كما هو واضح، من الإنثروبولوجيا وعلم النفس، غير أنَّ ثمة ارتباطاً قوياً بينه وبين التوجهات الشكلانية أيضاً، خاصة مع أعمال فراي . فالقول باستقلال الأدب مقولة شكلانية اتكأ عليها النقاد الجدد في الولايات المتحدة وقال بها غيرهم من الشكلانيين، ومع ذلك فإن توسيع نطاق ذلك الإستقلال ليشمل الأدب كله وليس أعمالاً مفردةً كما عند النقاد الجدد بوجه خاص، يقترب بفراي من البنيوية، بل إن من الممكن اعتبار أعمال ذلك الناقد وغيره من أصحاب نقد النماذج العليا إرهاصاً للبنيوية، من حيث هي أعمال تبحث في المكونات الثابتة للخيال الثقافي والأدبي الإنساني تماماً كما تفعل الدراسات البنيوية التي

قامت، هي الأخرى، على أكتاف الدراسات الأنثروبولوجية، خاصة لدى ليفي شتراوس . (الرويلي والبازعي 2002:338)

ولعل من أهم الكتب النقدية التي بحثت في هذا الأدب هي كتاب (أنماط نموذجية في الشعر) لـ (مود بودكن) عام 1934، وكتاب (تشريح النقد) لـ (نورثروب فراي) عام 1957 .

ويعمل النقد الأركيتايبي على رصد الأنماط السلوكية التي يمكن إرجاعها إلى الأركيتايبات الأولى، وتحليل الأفعال النفسية ذات الطبيعة العود أبدية مثل التقمص، الترميز، الدورات، الموت، البعث، الخلود، العودة الزمانية، العودة المكانية . وكذلك يتم رصد وتحليل النماذج البدئية التي تتجسد في شخصيات الأعمال الأدبية في أشكال حيوانية أو غيرها .

يقول نورثروب فراي إنَّ الأعمال الأدبية تشكل ما بينها عالماً متكاملاً ومكتفياً بذاته شكّله الإنسان بخياله قبل العصور، ليحتوي عالم الطبيعة الغريب بالنسبة إليه محولاً إياه إلى أشكال نموذجية ثابتة، ليعبر عن رغبات واحتياجات مستمرة، وفي كتابه (تشريح النقد) يدلل فراي على ما يقول بدراسة عدد هائل من الأعمال الأدبية الغربية تنتظمها نماذج عليا تأخذ شكل تكوينات أسطورية mythoi ،أي حبكات وعناصر بنائية تنظيمية . وتتماشى هذه النماذج والتكوينات مع الفصول الأربعة، فالكوميديا تقابل فصل الربيع، والرومانس فصل الصيف، والمأساة الخريف، والهجاء الشتاء، وذلك ضمن التقابل الأشمل بين الأدب والأساطير من ناحية والطبيعة من ناحية أخرى (ولعل في مركزية الدور الذي تلعبه الأساطير في هذا التوجه النقدي ما يفسر تسميته بـ (النقد الأسطوري) . (الرويلي والبازعي 2002:338)

الفلسفة والعود الأبدي

إنَّ تعامل الإنسان مع الزمن يتم عادة، وفق ثلاثة أنماط أساسية؛ الأول عبر الذهنية الأسطورية التي تجعل منه دائرياً مكتملاً ومرتبطاً بالنماذج البدئية الأولى وهي الذهنية الدينية عادة، والثاني عبر الذهنية التاريخية التي تتعامل مع الماضي باعتباره ملحمياً وهي الذهنية السياسية (القومية بشكل خاص)، والثالث عبر الذهنية الحديثة التي تتعامل مع الحاضر باتجاه المستقبل وتعتبره تاريخاً عادياً وهي الذهنية الحديثة التي لا تفضل العودة إلى الماضي سواء كان ملحمياً أو مقدساً .

تنطوي فلسفة العود الأبدي على ثلاثة حقول؛ الأول وجودي والثاني معرفي والثالث أخلاقي .

الحقل الوجودي (الانطولوجي) للعود الأبدي يتناقض مع الشأن اللاهوتي ويضع حداً للتدخل الميتافيزيقي في الوجود، لأن العود الأبدي هو تكرار حوادث حصلت في دورات سابقة، ولذلك لا تحتاج إلى ميتافيزيقيا توجهها بل هي تحدث بفعل قدري لا يتدخل فيه أحد . وهكذا تسلب من العالم طابعه الميتافيزيقي وتؤكد طابعه الكاؤوس (الهيولي) .

وربما كان نيتشه، مثلاً، يعني أنَّ مثل هذه القدرية الأنطولوجية ستمكن الإنسان من العيش بلذةٍ فائقة وتجعله يحب الحياة بنوع من الودّ والتسامح تأكيداً لمذهبه الديونيزيوسي . لكن هذا من جانب آخر سيؤكد عدم القدرة على التدخل في القدر لخلق مصير جديد وإبداع جديد، وسيجعل الإنسان أصولياً أو سلفياً لأنه يعرف ما قدرته له السُنن الأولى للخليقة .

أما **الحقل المعرفي (الابستمولوجي)** للعود الأبدي فيؤيد العدمية من جهة والصيرورة من جهة أخرى، لأنه ينظر للصيرورة باعتبارها عدماً إبستمولوجياً لا بد منه . فقد غاب معنى الوجود ولم يبق غير الصيرورة، لكنها ستؤدي إلى العدم والكاؤوس،

ولذلك صار الموقف الابتسمولوجي منها إيجابياً باعتبار ذلك جزءاً من عمليات الهدم والبناء اللامتناهية في الوجود .

وربما كان **الحقل الأخلاقي** هو الأوفر حظاً في الوضوح، لأن العود الأبدي يقبل القدر لا باعتباره حتماً أبدياً بل باعتباره قانوناً فيزيائياً يتم من خلاله التأكيد على قبول الحاضر والتمتع به واعتباره حقيقةً واقعة بل واعتبار الألم ضرورة طبيعية من أجل فهم التنوع التراجيدي للوجود والأخلاق معاً .

لقد تناست الفلسفة الأخلاقية للعود الأبدي أن هذا العود الأبدي يجر الإنسان نحو الماضي وتقديس الماضي، ونحو الأصولية التي تقيد عقل وأخلاق الإنسان وتجعله تقليدياً ثم تجره إلى العنف والقسوة .

العود الأبدي أساس العقائد الأصولية

العود الأبدي هو تقديس الماضي الأسطوري أو الماضي المقدّس ويقودنا هذا إلى تقديس النصوص المقدّسة التي تحدثت بشأن حاضرنا ومستقبلنا . ولهذا نرى أن الحقل الأخلاقي للعود الأبدي سينتج بالضرورة كلّ مبادئ الأصولية سواء كانت هذه الأصولية دينية أو سياسية أو فكرية .

ولذلك نرى أنَّ فكرة العود الأبدي إذا تمّت أدلجتها تنطوي على مخاطر كبيرة جداً، فهي موئل العقائد الأصولية، وهذا ما يجب الانتباه له . ربما كانت دراسة العود الأبدي وتحليله واستعماله الواعي في الإبداع طريقاً ناجعاً للتعامل معه، لكن الاعتقاد به والتعامل معه أيديولوجياً سيجعل منّا أصوليين لا ندرك أهمية الحاضر أو المستقبل لنعود دائماً إلى الماضي ونقدّسه .

المتدين إنسان بدائي يكرر حركات غيره ولذلك فهو يعيش حاضراً مصادراً من فبل الماضي، أن حاضره غير موجود لأنه مشغول بتكرار الماضي ونسخه والعودة إليه .

إن الذين يعودون إلى الماضي، دائماً، يخافون من مواجهة الحاضر، وهم رغم خوفهم لكنهم يمكن أن يكونوا عنيفين جداً بسبب فشلهم في مواجهة الحاضر وعجزهم عن

فهمه، وسيكون العود الأبدي مطيةً لهم للعودة إلى الماضي (المقدس) واتخاذه مقراً للسكينة والهدوء في رحاب فردوسه كما يتوهمون .

الفشل والخوف والعنف وجوه ثلاثة مجتمعة في الأصولية التي يكون العود الأبدي سبيلاً لها إلى الطمأنينة والاستقرار .

لكن العود الأبدي ينطوي على عناصر إيجابية كثيرة إذا تعاملنا معه منزوعاّ من الأدلجة والتقديس، فهو موئل أبداعي ثري في الأدب والفن وعلم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا . أمّا في الدين والفكر فهو خطير جداّ .

العلم استلهم العود الأبدي في بعض نظرياته القائمة على وعي شامل لحركة الكون والإنسان، وهو ما سنراه في الفقرة القادمة .

العلم والعود الأبدي
نظرية المرآة ونظرية الانفجار الكبير

يتداول العلماء أسطورة صينية قديمة توضح سرّ النظام والكاؤسية في الكون وتفسّر، إلى حد ما، إطلاق التسميتين (الكاؤسية والمرآتية) على النظرية العلمية الكلانية والأسطورة هي كما يلي : كان في قديم الزمان عالمان : عالم المرآة وعالم البشر، وقد كانا متصلين وما زالا إلى يومنا هذا رغم انفصالهما، وقد صار، مع مرور الزمن، لسكان المرآة أشكال وألوان تختلف عن ألوان وأشكال عالم البشر، وذات ليلة تسللت كائنات المرايا دون سابق إنذار على عالمنا، وتوغلت في داخله وعمقت الكيوسية والفوضى . لكن سرعان ما أدرك البشر أنَّ هذه الكائنات الداخلية ما هي إلا الكيوسية بعينها، وكانت ذات سطوة كبيرة، لكن القيصر، الذي هو ساحر كبير، تغلب على الكيوسية وأجبرها على العودة إلى داخل المرايا، وبمرور الزمن ضعف القيصر وضعفت قواه السحرية وأصبحت كائنات المرايا تتحرك داخل المرآة في دوامة، ومرّ زمن على هذه الحال حتى عادت الكائنات الكيوسية وامتزجت مع الكائنات البشرية وغزت عالمها وتغلبت عليه وعمقت الكيوسية من جديد″ . (الخفاجي36 :1995) .

إن هذه الأسطورة الصينية تعكس تلازم النظام والفوضى في شكل مرآتي، وتلازم المدركات الطبيعية الخارقة والوجود والعدم والنور والظلام في نسيج واحد .

وحقيقة الأمر أنّ هناك ما يُماثل هذه الأسطورة في ميثولوجيا العراق القديم، هي أسطورة الخليقة البابلية، حيث تعبر (تيامت) عن الكيوسية . والآلهة الجديدة ممثلة بـ (أيا) ثم بـ (مردوخ) تعبر عن النظام، ويدور صراع بين تيامت والآلهة الجديدة، ينتهي بغلبة مردوخ والآلهة الجديدة، ولكن انفجار العالم الهيولي والأسفل يستمر دائماً بالظهور على شكل كيوسية شيطانية يمثلها (زو) و (اللابو) و (كور) .. إلخ، ويتصدى لها دائماً أبطال نظاميون ويهزمونها، وأخيراً يتم التوازن بين الكيوسية الممثلة بالعالم الأسفل، والنظام الممثل بالعالم الأعلى في خاتمة أسطورة نزول إنانا أو عشتار إلى

العالم الأسفل، حيث يتناصف العالمان دورة حياة ديموزي أو تموز، الذي يمثل جوهر الحياة والخصب . لكن الدورة تبقى مستمرة بين العالمين .

إن هذه الصورة الميثولوجية الغائرة في القدم، والتي تعكس نمطاً صراعياً دورياً مرآتياً بين نظامين كالموت والحياة، والفوضى والنظام، لتؤكد لنا مرة أخرى على العلاقة بين أبعد الأساطير القديمة وأحدث النظريات العلمية .

إنَّ مفاهيم الكلانية اليوم تثير صخباً في الأوساط العلمية، ويصفها بعضهم بأنها لاهوتية وسحرية وغيبيّة لشدة غرابتها وهول فتوحاتها التي تقيم الكثير من العلاقات بين عالم السحر والعلم والأسطورة والدين، وكأن كل هذه النشاطات مظاهر متعددة ومتداخلة ومتجاورة في قضية واحدة هي (الروح) أو (العقل) أو (الوعي)، وإن التناقضات التي بينها هي أمور طبيعية تعكسها مرآة الكون الضاجّة بالمتناقضات .

ومن أجل فهم دقيق للكلانية رأينا أنْ نتابعها في حقولها التي نشطت فيها، وهي حقول الفيزياء والكيمياء والأحياء، من خلال أعلامها الكبار في هذه الحقول .

علماء الكلانية وحقولهم

1 . ديفد بوم : فيزياء الكون المرآة

قبل أن نتناول ديفيد بوم ونظريته المرآتية يجدر بنا أن نتناول أربعة علماء سبقوه في التمهيد لمثل الثورة العلمية التي جاء بها، فقد تحدّث هنري بوانكاريه في كتابيه (قيمة العلم) و (العلم والفرضية)، عن التقابل بين النظرية العلمية والحادثة العلمية واعتبرهما شيئاً واحداً منعكساً بعضه في بعض، فالعلم يتدخل في الحوادث بواسطة الفرضيات، بالتضحيات، بالتبسيط من أجل وضع القانون، باختياره للحوادث، كما يتدخل بلغته ورؤيته للعالم، وقد توصل بوانكاريه إلى أن ما يقدمه العلم عن العالم ليس سوى بنى من خلق العلم نفسه . (انظر : شغموم 1984)

وقدم توماس . س . كوهن، في كتابيه (بنية الثورات العلمية) و (الصراع الجوهري) ما يمكن أن يكون تاريخاً جديداً استنتج من خلاله أنَّ العلم لا يتطور، بل

ينتج نظريات جديدة متغايرة وليست بالضرورة متطورة، ورأى أنَّ العلم كان مثل مرآة في كون، يعكس أحدهما الآخر . (انظر : كوهن 1986) .

وبذلك قرر هذان العالمان التحام النظرية بمادتها، وهذا يشير إلى ترابط جوهري بين الوعي والعلاقة وإلى مجرى التبادل الذي لا ينتهي من أجل صياغتهما معاً في دوامة مرآتية لا تنتهي .

هذا ما كان من علاقة النظرية بالعالم، وقد انتبه ديفد بوم إلى خطر الفصل بين النظرية ومادتها، بين الوعي والعالم، بين الراصد والمرصود، ثم جاءت الملاحظة الثانية من نظريتين قدم الأولى منهما الفيزيائي الإيرلندي ج . س . بيل عام 1964، وتقول بأن الأجزاء المؤلفة للكون يلتقي بعضها عند بعض في المستوى الأساسي العميق للوجود، وتتصل بطريقة مباشرة، كأنها تذوب في لجّةٍ لا تتمايز فيها الأشياء . وهذا ما أوحى لديفيد بوم باكتشاف النظام الضمني .

وجاءت الإشارة الرابعة من الفيزيائي جيوفري تشو Geoffery Chew الذي توصل على أنَّ المادة لا تفهم باعتبارها تجمعاً لكيانات مادية صغيرة لا يمكن تحليلها، لأن الكون هو نسيج محكم من حوادث متداخلة ومعتمدة بعضها على بعض، بحيث لا يمكن اعتبار أي جزء من الكون أكثر أولية أو أساسية من الآخر، لأن خصائص كل جزء فيه تعتمد على خصائص الأجزاء الأخرى (السواح 1994 378-379) .

وقد أشار (تشو) هنا إلى إنكار الوحدات الأساسية، ليس في مادة العالم بل في قوانينه، وبذلك اكتملت الصورة عند ديفيد بوم وأعلن شكه الكامل في حقيقة مادة العالم وفي قوانينه التفصيلية، وأنه لا بد من استحداث طريقة كلانية في التفكير تأخذ بنظر الاعتبار تعدد الظواهر وشمولية الحقيقة في الوقت نفسه .

أ . **اللاسببية** : ناقش بوم، في كتابه (السببية في الفيزياء الحديثة)، النظرة السببية في العلم، وأثبت أنها محدودة للغاية، وعاب على العلماء اتخاذ سبب واحد لتفسير أي ظاهرة طبيعية أو اجتماعية، إذ إن هناك أسباباً كثيرة لا يمكن تفضيل أحدها على الآخر، وضرب مثلاً على ذلك بأن فهمنا بالضبط لسبب مرض الملاريا يتطلب منا فهم دورة حياة بعوضة الأنوفلس، وتطور علوم الكيمياء والبيئة وغيرها، ولذلك يقترح بوم أن الكون هو شبكة سببية متحركة وليس عدة أسباب أو سبباً واحداً لكل ظاهرة .

ب . **النظام الجديد للحقيقة** : يسود العالم دائماً مستويان أو نظامان الأول هو المستوى المبسط (Explicate order)، الذي تجري فيه حياتنا اليومية، والمكوّن من أربعة أبعاد زمكانية معروفة . ويمكننا توصيف هذا المستوى وتحليله، إلا أنَّ فهمنا له لا يتم، عندما نغوص إلى المستوى الأعمق من العالم، الذي هو المستوى الضمني (Emplicate order)، ففي هذا المستوى تتحدد كل الظواهر التي كانت تبدو مستقلة متجزئة في المستوى المنبسط، وفيه تتوحد الظواهر الفيزيائية الكبيرة والصغيرة (الكونية والذرية) ونجد لها قانوناً واحداً، ويراوح العالم والكون والمادة والفكر بين هذين المستويين، حيث يتحرك من العالم الضمني ليظهر لنا واضحاً ذا أبعاد أربعة على المستوى المبسط، ثم تعود ظواهر هذا العالم إلى الغوص والاحتجاب نحو العالم الضمني متخذة عدداً لا متناهياً من الأبعاد .

ولكي يصف بوم هذين المستويين فإنه يقدم تجربة في غاية السهولة، وهي أن نضع كمية من سائل لزج كالغليسرين بين أسطوانتين زجاجيتين متداخلتين ونضيف إليه قطرة صبغة، ثم ندور الأسطوانة الخارجية ببطء، حتى تأخذ قطرة الصبغة بالانتشار، وبعد عدة دورات تبدو الصبغة كأنها اختفت تماماً في السائل . إن انتشار الصبغة، كما عبرت عنه اللغة الفيزيائية القديمة، يعتبر عشوائياً، ففي بداية الأمر كانت القطرة تستقر في مكان محدد واضح من السائل، لكنها بعبورها إلى إنتروبيا أعلى (اضطراب) أدت إلى فقدان معلوماتنا عنها وانهيار نظامها الواضح . ويثير ديفد بوم سؤالاً مهماً : ماذا لو دورت الأسطوانة إلى الخلف أي بالاتجاه المعاكس بمثل عدد الدورات نفسه الذي دورت فيه بالاتجاه الأول؟ ومن المدهش أنَّ ما يحصل هو أنَّ القطرة تعود لتلملم نفسها . وأنَّ حالة العشوائية لم تكن اضطراباً تاماً بل نوعٌ من النظام الخفي أو الضمني، وهو النظام الذي يعم الكون، أمّا الذي نراه ونشعر به فهو النظام الظاهري، ويرى بوم أنه النظام الضمني (الكون تحت الذري وكون المجرات العظمى) لا توجد الأجزاء المنفصلة بل تكون هذه الأجزاء مثل العوالم الأنبوبية التي يمكن للإنسان التوغل فيها أعمق وأعمق بالقدر نفسه الذي يمكن فيه التوغل في أعماق النظام (الضمني) للسماوات باستخدام تلسكوب فائق القوة . ويسمي بوم نظريته الفيزيائية هذه بالفيزياء المرآتية وهي فيزياء الحركة الكاملة (بريجز 78:1986-80)

ولنذهب مع بوم إلى نقطة أبعد في فهم العلاقة بين الضمني والظاهري، فقد قرر جان بياجيه : (وهو عالم إبستمولوجي تخصص في المعرفة عند عالم الطفل)

المراحل التي ينمو فيها عقل الطفل وإدراكه وكأنه ينمو باتجاه واضح وظاهري، ويرى بوم أنَّ تجربة الطفل المبكرة مع العالم هي تجربة ضمنية، يشبهها بالحركة البرانية المتدفقةالتي تبدو عشوائية - لكن الطفل بالتعلم يكتسب معرفة تفصيلية واضحة ذات إحداثيات محددة يسميها (ديفيد بوم) ديكارتية (كأنه يشير إلى الفهم الكلاسيكي الفيزيائي للعالم)، وهي تتضمن إحساس الطفل بأشياء وأجزاء مستقرة ومنفصلة ومتواصلة، فاللغة مثلاً خارطة تفصيلية متطورة طالما أنها تصور العالم على أنه شظايا وأجزاء منفصلة ومستقرة تنتظم بالمعرفة، وفي شكلها المكتوب يمكن لهذه الخرائط أن تبقى كما هي لا يمسها التغيير، وأن تسلم إلى أجيال لاحقة، لذا فإن الحضارة تعادل درجات عالية جداً من النظام البيّن، وربما لذلك كانت الثقافات التي لا تعرف فنّ الكتابة تبدو أقرب إلى نوع من الإدراك الضمني لأشياء متداخلة بعضها في بعض، من الثقافات (المتحضرة) المتطورة كحضارتنا .



ديفيد بوم (بوهم) (David Bohm (1917-1992

ويمكننا أن نقول، على ضوء هذا التحليل، إن السحر والميثولوجيا والدين وعوالم ضمنية شمولية وكلية تحتوي خبراتنا كلها دفعة واحدة وغير منفصلة، أما العلم فهو نظام أو شكل ظاهري منبسط تتجزأ فيه الأشياء وتنفصل ويصبح لكل منها قوانين خاصة،

فالطب مثلاً علم أو مجموعة علوم متخصصة تفصيلية ودقيقة، لكن هذا الحال غير نهائي، إذ لا يمكن أن تبقى العوالم الضمنية بعيدة وخفية والعوالم الظاهرية واضحة وثابتة، لأن ما يسميه (بوم) بـ (الحركة الكلية)، يقيم صلة بين المستويين، وبذلك يعود العلم والطب الاتصال أو النهل من السحر والعلم والدين في حركة أنتروبية أو كاؤسية، ليغتني من جديد بالكلي والشامل والعميق، ثم تعود الحركة لتظهر على السطح المربوط بخيوط لا ترى بالخفي، ولكي نقيم الدليل على هذا فإن (بوم) يرى أنّ ″هناك، تحت كل نظام، أنظمة ضمنية كما في خيوط قطرة الصبغة في خلفية الغليسرين التي تقع تحت الصبغة نفسها، أو مثل ظاهرة الفيزياء الكمية التي تقع تحت الفيزياء الكلاسيكية . ″ (بريجز 1986:84)

أي أنَّ العلم نفسه يمكن أن يحتوي على نظامين ضمني وظاهري، ولا يكون تعارضهما مدعاة لموت أحدهما أو إلغائه، ولذلك لم تلغ الفيزياء الكوانتية والنسبية الفيزياء الكلاسيكية، ولم تلغ الرياضيات الحديثة الرياضيات الأقليدية والكلاسيكية، ولم يُلغِ الطب العيادي أو السريري الطب القديم الذي يتصل بالدين والسحر، بل إنَّ هذه الأنظمة متصلة فبعضها ظاهر والآخر خفي .

إنَّ الترتيب الضمني للعالم هو الذي يظهر هذا العالم متواصلاً ومتقطعاً في آن، فإذا ظهرت الأشياء متعاقبة ومتحركة باستمرار من مكان لآخر ظهر العالم متواصلاً، وإذا ظهرت الأشياء منفصلة وثابتة في مكان وزمان محددين ظهر العالم منفصلاً، والعالم في حقيقته يدمج هذين المنظارين .

ج . أبعاد العالم (ثلاثة أم أربعة أم أكثر؟) : يرى ديفد بوم أن العالم لا يوجد بأبعاد ثلاثة، كما تقول الفيزياء الكلاسيكية، ولا بأربعة كما يقول اينشتاين، بل إنه ذو أبعاد لا تعد ولا تحصى .

يصف بوم تجربة بسيطة لحوض زجاجي فيه سمكة واحدة، تصوّر جانبه كاميرا تلفزيونية، وتصور مقدمته كاميرا أخرى، فيظهر على شاشة التلفزيون منظران مختلفان للسمكة وهي تتحرك من مؤخرة الحوض إلى أمامه، وحين تنحرف بزاوية قائمة فإن صورتها الجانبية ستبدو بشكل مختلف عن صورتها الأمامية، ويقول بوم : لنفرض أنَّ السمكة هي جسيم واحد، لكن مراقبته ووصفه سيتمان بطريقتين مختلفتين، وسيبدو لنا أنَّ هناك بعدين تتحرك فيهما السمكة – الجسم على شاشة التلفزيون ذو البعدين، والحقيقة أنَّ

السمكة تتحرك بثلاثة أبعاد، ولو وضعنا ست كاميرات على أوجه الحوض الزجاجي كلها لظهرت ستة أبعاد . ويرى بوم أنَّ هذه الأبعاد التي يظهر فيها الجسيم هي إسقاطات من بعد أعلى متعدد (والحقيقة المتعددة الأبعاد، بالنسبة لبوم، كل متمدد خلال سنتمتر واحد من المكان الخالي، أعظم بكثير من المجموع الكلي للطاقة في كل المادة التي يحتويها الكون المعروف، وهذا يعني أنَّ المكان الخالي ليس بخال، بل هو مليء لأنه بحر هائل من الطاقة، وفوق قمته تبدو المادة التي نعرف، تهيجاً (كميّاً) صغيراً شبيهاً بالموجة وأقرب ما يكون إلى (نبضة) ضئيلة .

ويرى بعض الفيزيائيين أنَّ هذا البحر اللانهائي من الطاقة مجرد وهم ناشئ عن خطأ في الصيغ الحسابية لنظرية الكم، ولكن بوم يعتقد أنَّ الفيزيائيين المعاصرين عموماً ينكرون هذه الخلفية الهائلة من الطاقة لأنهم مهتمون بالمادة وحدها، وهم في هذا كمن يطيل النظر إلى شقّ في حائط، حتى يكاد ينسى أنَّ هناك حائطاً يحتوي هذا الشق، ويرى ديفد بوم أنَّ الكون الذي نسكنه ″مثل زجاجة الكريستال فـ (تصدّعاته) هي مادة المجرات والكواكب وأنفسنا نحن، أما المادة والعدم فمتلازمان مثل الدوامة ومجرى النهر، وهذا البحر الكريستالي (البلوري) من طاقة العدم هو النظام الضمني المتعدد الأبعاد، لذلك فإن الكون المادي كله، كما نرصده عموماً ينبغي أن يعامل كنموذج صغير بعض الشيء لإثارة (هياج) فوق بحر الطاقة، ونموذج الإثارة هذا مستقل نسبياً يصدر مساقط متواترة تقريباً دائمية وقابلة للفصل إلى مظاهر ذات نظام بيّن ثلاثي الأبعاد، تعادل من قريب أو بعيد (المكان كما نخبره في العادة) ″.)

وأخيراً فإنَّ بوم يرى أنّ العلم حقيقة أقرب ما يكون إلى الفن، وهو يتعامل مع الأشياء التي فيها لبس وغموض . وقد أعطت نظرياته مدى وأسماء لواحد من حقول البحث وهو (الخارق للطبيعة Paranormal) لأن فكرة النظام الضمني اللاموضوعي، الذي يقع خارج حدود الأشياء، تقتضي بالضرورة دراسة ظاهرة الإدراك الحسي الفائق ودراسة الحقائق عن الوسطاء، بل هي فتحت المجال واسعاً لوصف دقيق بين العلم والسحر والدين .

2 . بريغوجين : كيمياء الدوامة المفاجئة

خطا بريغوجين بعلم الثرموداينمك (علم الحرارة الحركي) باتجاه فهم كلاني واستطاع أن يستخدم هذا العلم لتفسير صيرورات كيميائية مختلفة، وسنقوم بتلخيص أهم منجزاته في النقاط التالية :

أ . **الانتروبيا والبنى التشتتية : الانتروبيا** : هي ظاهرة مضادة للنظام أو التنظيم، فهي الفوضى في مقابل النظام، وهي التشتت في مقابل التركيز، وهي التغييرات المفاجئة والصدمات والاضطرابات .

وقد رأي بولتزمان (وهو فيزيائي عقلاني في أواخر القرن التاسع عشر) أن الانتروبيا شواش متصاعد، وأنَّ الترتيب (النظام) حالة احتمالية، وقال إن انتروبيا العالم في تزايد، وإن طاقة العالم ثابتة، ولذلك على الترتيب والبنية أن يفسحا المجال دائماً للعشوائية والشواس .

والانتروبيا مصطلح يشير إلى الكيوسية التي ذكرناها، وحين كان بولتزمان يطوّر نظرياته في الانتروبيا الكونية كان دارون يصوغ نظريته في ظهور التنظيم الأعلى للأشكال الحية ورسم شجرة التطور البايولوجي، وكان كل هذا يشير إلى سؤال في غاية الأهمية، هو : كيف تظهر الحياة وكيف تصوغ نفسها في وجه الزحف الكوني للانتروبيا؟

يحاول بريغوجين أن يجيب عن هذا السؤال بما يسميه (الترتيب من خلال الاضطراب)، ففي البداية تكون الحركة المتموجة لجزيئة مستقلة الذرة حركة غير متوقعة، حتى الوصول إلى نقطة حرجة تتغير فيها الحركة العشوائية إلى تقلبات لعدد أكبر من الجزيئات . هذه التقلبات بدورها يتزايد حجمها على نحو مفاجئ ثم تتضخم ولا تلبث أن تبلغ معدلاً وسطاً، وفي مثل هذه النقطة الحرجة الجديدة لن يذهب النظام لأي وجهة عامة، ثم يتغلب أحد العناصر فجأة ويقام ترتيب جديد يتمتع بمقاومة عالية لأي تموجات أخرى .

ويشبه بريغوجين دوامات الانتروبيا هذه بالدوامات التي تظهر في مجرى تدفق النهر، ويسمّي البنى التي تطرد الانتروبيا وتقتلها بـ (البنى التشتتية)، ثم يرى أنَّ هذه البنى هي التي تطرد الشواش الكيميائي الذي يكاد يدمّر الخلية، وإن العالم البيولوجي بل العالم كله، ليس مبنياً بشكل هرمي، بل هو نسيج متداخل شديد التعقيد، وكل شيء فيه

يؤثر في شيء آخر، ويرى أنَّ من الأفضل قياس العالم بمعادلات لا خطية لأنَّ العالم الذي نعيش فيه عالم لا خطي .

ويرى بريغوجين أيضاً أن قوانين البنية التشتتية أساسية مثلها في ذلك مثل أي قانون من قوانين الطبيعة، وهي القوانين التي تكتسب شكلاً ولا تقتصر على المكان فقط، بل تتعداه إلى الزمان أيضاً، وهي التي تحرك الكون من الكينونة إلى الصيرورة، فالبنية التشتتية لا تنبثق من الزمن . إنها هي الزمن .

ب . **الإنتاج والتنظيم الذاتي Autopoisis** : طوّر أحد علماء الحياة واسمه (ماتورانا) فكرة الإنتاج الذاتي، لوصف الأنظمة الحية، وفرّق بين جهاز السيارة مثلاً وأي جهاز حي بأن الأخير يصون ذاته ويتكيف علائقياً مع البيئة رغم أنه مغلق، وقام (أريش يانتش) بتطوير هذه الفكرة باتجاه ما ذهب إليه بريغوجين، وقال إن الإنتاج الذاتي أو (الأوتوبويسي) حالة من البنية التشتتية التي مرت في هياج وفوضى ثم أنشأت هويتها بعيداً عن الاستسلام لمحيطها، وأصبح لها شكل نسقي (نسقي عن طريق موازنتها الدائمة بين حاجتها للبقاء بمأمن من التقلب وبين الحاجة للبقاء مفتوحة أمامه) .

ويرى يانتش وبريغوجين أنَّ الإنسان يحتوي على بنية تنظيم ذاتي تحتوي على آلاف البنيات التنظيمية الذاتية، وتغوص في الوقت نفسه في آلاف البنيات التنظيمية الذاتية .

فالإنسان له جهاز دوران وجهاز هضم وأجهزة أخرى مستقلة، كلّها بنيات تنظيم ذاتي تشتتية، فهي وليدة اضطراب تنمو وتحافظ على شكلها الديناميكي بتحويل مقدار ثابت من الطاقة وبتشتيتها للانتروبيا، كما أنَّ الإنسان موجود في عائلة وعمل ومجتمع ومدينة ودولة وكرة أرضية، وكذلك في منظومة شمسية ومجرة وكون . كل هذه أيضاً بنى تشتتية، فالإنسان وأجهزته وعقله وحتى خلاياه ″في عملية تحويل دائمة للطاقة، كالماء الذي يجري خلال الدوامة . إنَّ النظام في هذا الكون المرآتي ليس هو النظام ذاته في مخططات التداخل المتدفقة في مرآة بوم الهولوغرافية، على أية حال، فالفحوصات المقرّبة قد لا تختلف كثيراً . هنا أيضاً إحساس جليّ بحركة متدفقة تتحابك فيها البنية مع البنى الأخرى، والراصد مع المرصود″ (بريجز 1986:139)

ج . **التطور المختلط Co-evolution** : استطاع (يانتش) أن يجمع بين نظرية بريغوجين في البنية التشتتية ونظرية أصل الأنواع الداروينية التي طورها قليلاً (

بير تلانفي) باقتراحه مسألة انتظام الأشكال البيولوجية وانفتاحها غير الميكانيكي الذي يجعلها تتفاعل باستمرار مع ما يحيط بها . وأهم افتراضات يانتش كانت تتمثل في وجود نوعين من البنى التشتتية للكائنات الحية التي واجهت قهر الطبيعة والانتخاب الطبيعي، وهي البنى المجهرية والبنى العيانية، فإذا كانت الخلية بنية عيانية فالجزيئات المتفاعلة فيها هي البنية المجهرية وهكذا .

وتقول نظرية التطور المختلط بأن التفسيرات، التي تحدث في المقياس الدرجي المجهري، تؤثر تلقائياً في التغيرات التي تحدث في المقياس الدرجي العياني، وبالعكس، فالتطور المجهري لا ينشأ في مراحل ليستحدث التطور المرئي، كما أنَّ الانتقالات الكبيرة في البنى العيانية لا تحمل العالم المجهري على الاستجابة، فكل مستوى مرتبط مع الآخر بميكانيكية تغذية استرجاعية معقدة، ويسبب أحدها الآخر تلقائياً، وبتأثير ذلك ليس هناك مستويات على الإطلاق، فهي في مجملها هيكل تشتيتي واحد . (بريجز 146: 1986)

ويعالج يانتش تفصيلات تكوّن البكتيريا والخلايا الجنسية الأولى، ويرى أنَّ دورة تكيفها هي دورة دائمية تتحول من مجهرية إلى عيانية، فالبنى البكتيرية المجهرية المنظمة ذاتياً هي التي حوّلت كوكب الأرض إلى بنية حيّة هائلة مرئية ذاتية التنظيم، وكانت تستحدث بدورها اضطرابات من شأنها أن تشجع على ظهور بنى التنظيم الذاتي وصيانتها عند المستوى المجهري، ويعتقد يانتش أنَّ القانون الأساسي والغرض من التطور هو الانفتاح وتكوين هولوغرامية في نسيج متعدد الأبعاد أنشأتها أنظمة التطور المختلط في جميع الاتجاهات المجهرية والعيانية، وهدف هذه الشبكة هو تعميق الحياة بشكل استثنائي رائع .

إنَّ نظرية التطور المرآتي (التطور المختلط) لا تنظر إلى موت الأنواع أو الأنظمة المختلطة على أنها كينونات فشلت في التكيف، فالأنواع تظهر بمظاهر تعبر عن انتشار التطور المختلط العام وظهوره، وبالإضافة لذلك فإنها تطيح بالفكرة الداروينية المحدثة حول التطور الهرمي للكائنات، الذي تربع الإنسان على قمته، وهي رؤيا ضيقة تقوم على أساس الاعتقاد بكون مستقل الأجزاء، والتطور المختلط يصف الإنسان على أنه كائن ليس أعلى ولا أدنى من غيره من الأحياء .

وتتشكل الصورة النهائية للكون الحي عند يانتش على أنه كون غير متناقض، يتمدد ويتقلص مثل قلب ينبض، وهو إذ ينبض ثانية سيولد اضطراباً جديداً، كوناً مجهرياً

جديداً، انفجاراً جديداً بعيداً عن التوازن تظهر عنه تراكيب تشتتية عيانية جديدة، مثل المجرات والكواكب والخلايا . وفي هذا السيناريو، الذي يضعه يانتش، سيكون الكون كله جوهر التراكيب التشتتية جميعها، فالحياة ظاهرياً تنتشر في الكون والكون ذاته يصبح بانتشارها أكثر نشاطاً وحيوية .

إن هذه الصورة الكيميائية الفيزيائية لعالم مرآتي، التي قدمها بريغوجين ثم يانتش، تعطينا دليلاً جديداً على الجدل القائم بين العلم وما عداه، باعتباره جدلاً بين بنى تشتتية يمثلها العلم وبنى أنتروبية يمثلها سواه، وإن مراحل التوازن التي يصل إليها هي مراحل محصنة ضدّ انتروبيا تساهم في صنع هذا التوازن يوم تحدثه، كما أننا نستطيع تفسير الأمراض على أنها بنى انتروبية دائمة الظهور، وإن الإنسان بنية تشتتية تستطيع استخدام بنى عيانية ومجهرية جسدية ونفسية وروحية داخلها لقهر بنية الأمراض الانتروبية، وإذا كانت البنى النفسية مثلاً تنتقل بين مستويين : عياني ومجهري، فإن السحر والأساطير كانت جزءاً من هذا الصراع، وقد استخدمها الإنسان ذات يوم لأنها كانت، ضمن لحظة توازنه، قادرة على المساهمة في مقاومة انتروبيا الأمراض التي هي جزء من الدوامات المفاجئة كما يسميها بريغوجين .

3 . شيلدريك؛ بايولوجيا الأشكال الخفية

طوّر روبرت شيلدريك نظرية مجالات الطاقة التي تحيط بجسم الإنسان، والتي كانت قد أكّدتها أبحاث علمية سبقته، وأدخلها في نسق النظرية المرآتية للوجود والوجود الحي .

وأول شيء تحقق منه شيلدريك هو أنَّ كل ذرة بل وكل جسيم في هذا الكون حياً كان أم غير حي، يحاط بمجال طاقوي، ولذا فإن هناك بلايين الحقول الطاقوية للإنسان تعبّر عنها الهالة التي تسمى حقول الحياة (L-fields) .

إن الإضافة المتميزة لشيلدريك تكمن في نظريته حول متغيرات الشكل الخفية، التي على أساسها وضع نظرية التكوّن الشكلي أوالشكل (Morpho-genesis) ، وقد ساهمت نظريته هذه في إعطاء تفسير مادي للكيفية التي تبقى فيها البنى التشتتية أو

المنظمة ذاتياً بعد أن تظهر مستقلة على مدى الزمن وعبر الأجيال، كما أنها تقدم صورة عن بعض القوانين التي تصبح فيها الأجزاء أو المجموعات بينة ثم ضمنية مرة أخرى .

ويبدأ شيلدريك من البداية، من حامض الـ DNA ، الذي هو مستوى جينوتايبي ضمني سيتحقق ويتحول إلى مستوى فينوتايبي ظاهر، ويقول أن هناك، بين هذين المستويين، مجموعة معقدة من الحقول الخفية التي تدير جميع مراحل التشكل الجنيني وتعطي الأشياء أشكالها النهائية التي تتخذها بما في ذلك سلوكها، والمسألة المهمة في حقول شيلدريك هي أنها لا تشبه الحقول الذهنية الثلاثة التي عرفناها في الباراسيكولوجي .

ومن النظرة الأولى تبدو هذه الحقول مشابهة للمثل الأفلاطونية البدائية وطافية في حقل أبدي مجرد، ويبدو ما نراه هو نسخاً عنها، لكن حقول شيلدريك ليست طبعات أثيرية تدفع أشكالها الأبدية فوق المادة . إنها حقول مرآتية تتكون دائماً من الأشياء عينها التي تقوم هي بتكوينها .

ويرى شيلدريك أنَّ نمو الأشياء، من الجسيم إلى الإنسان إلى المجرة، يُسيطر على شكلها بفعل حقول التشكيل الجيني للمادة، والتي تعمل مثل قناة أو مخطط عمل، فتكوين الذرة من نواة وإلكترونات يوجهه حقل واحد، وشكل الجزيئة يوجهه حقل آخر، أما تنظيم الخلية فيدار بحقل آخر، وكل حقل يتشابك مع الحقول الأخرى، والحقل الذري يوجه الشكل الأكبر بنسق حقول التشكيل الجنيني للأشكال الأصغر التي يضمها في حناياه، والإنسان الفرد بما فيه من ذرات وجزيئات وأنسجة وأعضاء وأجهزة، يتألف فعلياً من بلايين الحقول، يديرها جميعها ترتيب صاعد متشابك ينتهي بالحقل الأكبر الذي هو الشخص نفسه .

النظرية الكلانية ترى العالم من منظور شامل (ذري ومجري) من خلال فروعها في الفيزياء (بوم) والكيمياء (بريغوجين) والبايولوجيا (شيلدريك)، ولذلك فهي تصفه دائماً بأنه عالم مكون من مستويين أو عالمين، الأول عالم ظاهري عياني فينوتايبي (صفاتي) مادي، والثاني هو عالم ضمني مجهري جينوتايبي (وراثي) طاقوي .

ويمكننا أن نلخص هذا بأن هناك في الكون حركتين، تطابقاً مع ما ذهبنا إليه، الأولى : حركة مستقيمة واضحة تشبه حركة التاريخ، والثانية حركة دائرية خفية تشبه

العود الأبدي، وكلاهما متلازمة، ولا يمكن التفريط بأي منهما لكي نفهم الكون وأنفسنا .

ومن هذا المنطلق يكون العلم، هنا، قد نزع الفتيل القسري الذي يعود بنا إلى الماضي والخفي بقوة، وييسر الحركة السلسة والفهم الطبيعي للأحداث المادية والروحية في فهم علمي وغير لاهوتي يتطلب منا أدوات علمية دقيقة لكشفه والتعامل معه .

وكما أنَّ علم النفس اليونغي كشف عن النماذج البدئية في لاوعينا الجمعي فإن علماء المرآة كشفوا لنا مشاهد فيزيائية وكيميائية وبايولوجية أوسع وأعمق، وكان هذا لصالح فكرة تضافر الطاقة والمادة والعوالم الذرية والمجرية التي تحيط بالإنسان وتسيطر على حركته ووجوده .

نظرية الإنفجار الكبير (Big Bang) عود أبدي!!

وفي هذا الصدد تبدو لنا نظرية الانفجار الكبير في مراحلها المعروفة، حيث نشأ من صدع في سديم الطاقة الذي لا أحد يعرف بدايةً أو نهايةً له، ذلك الصدع الذي بدا وكأنه رمية حجر في بركة ساكنة، ومن هذا الصدع الصغير جداً انشق نسيج الطاقة وأحدث انفجاراً كونياً أدى إلى انتفاخ بالوني من سطح النسيج وهذا البالون، تحديداً، هو الكون .

توسع البالون وظهرت فيه الإلكترونات والبروتونات وغيرها ثم تكونت الذرات، وكانت ذرة الهيدروجين ثم الهليوم أول الذرات، ومنها ظهرت المجرات كأنها سديم مادي مشع يشبه سائلاً متدفقاً، بعدها ظهرت مجرتنا ثم مجموعتنا الشمسية ثم الأرض التي ظهرت بعد 13.7 مليار سنة من الانفجار الكبير .



الانتفاخ الكوني

http://esmane.physics.lsa.umich.edu

وعندما سيبلغ عمر الكون 100 مليار سنة ستنضب طاقته ويعود تدريجياً إلى سديم الطاقة الساكن مثلما بدأ، أي أن الانتفاخ سيليه انبعاج وهفوت وسينتهي كل شيء . إنه مثل المندالا التي تتحرك من المركز إلى المحيط في دائرة متكاملة ثم تعود من المحيط إلى المركز وتتلاشى . الكون هو المندالا المتحركة إلى الأبد في حركةٍ تشبه نبض القلب، وربما سيظهر كون آخر في مكان آخر من سديم الطاقة، وربما هناك الآن سلاسل من الانفجارات والانتفاخات لأكوان لا حصر لها . لكن الكون الذي نحن فيه، كوننا، صامت لا يجيب على أسئلتنا، ربما لأنه يائس مثلنا من الإفصاح عن معنى كل ما يجري .

إن حركة الكون هذه من انتفاخ وهفوت تشبه حركة نبض القلب من تمدد وتقلص وحركة الرئتين من شهيق وزفير، وهذا هو سرّ الكون، فهو يتمدّد ويتقلص ليصل إلى العدم، ونحن في داخله نسأل كل يوم : ما معنى هذا؟

لا أحد سيجيبنا، لأن كل البدايات هكذا مليئة بالأسرار والغموض، فكيف إذا كانت البداية الأولى . . بداية الكون؟ ومع ذلك سنحاول أن نتعرف على ما جرى من خلال آخر النظريات العلمية في علم الكون .

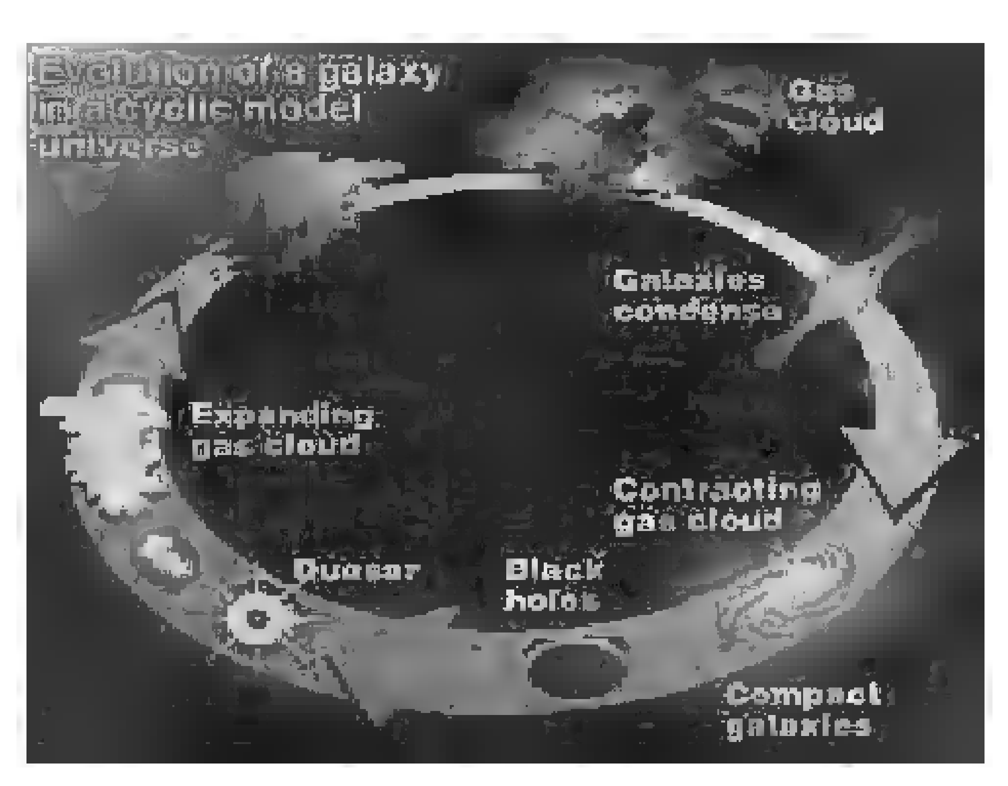
قبل أن ينشأ الكون كان هناك سديم من الطاقة، لم تكن المادة قد ظهرت، بل كان بحر الطاقة هو الذي يسود . ويرى علماء الكون أن لحظة بداية الكون كانت عندما

تحركت ذرة واحدة من نسيج الطاقة هذا مكونة من أربع قوى من الطاقة، وبذلك حصل الانفجار الكبير في هذا السديم الطاقوي الساكن .

سيصل بالون الكون إلى أقصى توسع له بعد أن يصبح عمر الكون حوالي 100 مليار سنة، وسيهفت هذا البالون بعدها وينكمش ماراً بنفس مراحل تطوره عكسياً، إلى أن يصل إلى الهفوت الكلي والاختفاء، وربما سيعاود نبض الطاقة من جديد لتكون كوناً جديداً يمر بنفس المراحل التي مر بها الكون الأول وهكذا . . . الخ .

وهذا يعني أنَّ الحوادث ذاتها ستتكرر وسيكون هناك عود أبدي كما قال أنكسماندر وهيراقليطس ونيتشه .

في عام 1996 وضع عالم الفيزياء لين هوغيز (Len Hughes) نظرية جديدة في كتابه (علم الكون الليزري) Laser Cosmology ذهب فيه إلى تأكيد (العود الأبدي) من خلال ولادة وموت المجرات .



تطور المجرات في نموذج دائري يشبه العود الأبدي

http://odinicriteofaustralia.wordpress.com/odinist-cosmology-backed-by-science/

الفهارس

إشارات

3 . بحث (الروح الأبدي : دورة النشمثا في الديانة المندائية) ألقي كمحاضرة في النادي الثقافي المندائي في مدينة لاهاي / هولندا في 25/3 /2007 .

4 . بحث (الماء الأبدي : فقه الماء في السرديات الأولى لفجر البشرية) مقدم إلى ملتقى شاهنده الدورة الثانية حول سرديات الماء – دولة الإمارات العربية المتحدة دائرة الثقافة والإعلام في عجمان – 30 مارس 2009 .

5 . بحث (العود الأبدي في طقوس رأس السنة وولادة الكون أسطورياً) نشر في مجلة (دراسات) الفصلية المحكمة الصادرة عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، العدد27، صيف 2010 . وكان البحث قد شارك في أعمال ندوة (الثقافات العراقية) التي أقيمت في بغداد في 27/1/2006 .

فهرس المراجع

❖ المراجع العربية

1 . **كنزا ربّا** (كنز الرب العظيم) كتاب المندائيين الكبير، نقله عن الألمانية إلى اللغة العربية المعاصرة كارلوس كلبرت، ط2، منشورات الماء الحي، سيدني،2000 .

2 . الأمين، محمود : آكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، **مجلة كلية الآداب،** ج5، 1962 .

3 . البيـديل، م . ف : **سحر الأساطير،** ترجمة د . حسان ميخائيل إسحق، منشورات دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2005 .

4 . إلياد، مرسيا : **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية،** ترجمة عبد الهادي عباس . دار دمشق، دمشق 1986 .

5 . إلياد، مرسيا : **أسطورة العود الأبدي،** ترجمة نهاد خياطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1987 .

6 . إلياد، مرسيا : **المقدس والعادي،** ترجمة عادل العوّا، دار صحارى للصحافة والنشر، بودابست، 1994 .

7 . إلياد، مرسيا : **تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية،** ج1، ط2، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،2006 .

8 . أوفيد، ب : مسخ الكائنات (ميتامورفوسيس)، ترجمة د . ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة، 1984 .

9 . باقر، طه : **ملحمة كلكامش،** ط4، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981 .

10 . باقسري، عز الدين سليم : **مه ركَه هـ،** الإيزيدية (الأصل . التسمية . المفاهيم . الطقوس . المراسيم . النصوص الدينية)، منشورات مركز لالش الثقافي والاجتماعي، دهوك3002 .

11 . بدوي، عبد الرحمن : **نيتشه،** ط5، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت1975 .

12 . برنجي، سليم : **الصابئة المندائيون** (دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين)، ترجمة جابر أحمد/ دار الكنوز الأدبية، بيروت1997 .

13 . بريجز، جون، ب : **الكون المرآة**، ترجمة نهاد العبيدي، مراجعة د . قدامة الملاح، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد1996 .

14 . توكاريف، سيرغي، أ : **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة د . أحمد م . فاضل، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق1998 .

15 . 15 .الجابري، محمد عابد : **بنية العقل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2004 .

16 . حاتم، عماد : **أساطير اليونان**، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1988 .

17 . حبي، يوسف : بحث حول الصابئة والحرانيين في كتاب الدلائل للحسن بن بهلول، **مجلة التراث الشعبي**، العدد الفصلي الرابع 1985، دائرة الشؤون الثقافية للنشر .

18 . الحسني، عبد الرزاق : **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم**، ط6، دار الكتاب الجديد، بغداد،1974 .

19 . الحسني، عبد الرزاق : **الصابئون في حاضرهم وماضيهم**، ط6، دار الكتاب الجديد، بغداد،1980 .

20 . الخفاجي، أسعد : مقدمة في مفاهيم الفلسفة الكاؤوسية، **مجلةآفاق عربية**، العدد3/4 آذار – نيسان، السنة العشرون، 1995 .

21 . دالي، ستيفاني : **أساطير من بلاد ما بين النهرين**، ترجمة نجوى نصر، بيسان للتوزيع، بيروت،1997 . .

22 . دراوور، الليدي : **الصابئة المندائيون (الكتاب الأول)** ، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط2، مطبعة الديواني، بغداد،1987

23 . دراوور، الليدي : **الصابئون المندائيون**، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط2، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق،2006 .

24. دولوز، جيل : **نيتشه،** ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت1998 .

25. رشيد، فوزي : من هم السومريون، **مجلة آفاق عربية** . السنة السادسة العدد (12) آب 1981 . .

26. رشيد، فوزي : خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية، **مجلة آفاق عربية،** العدد9، السنة السادسة، أيار، بغداد، 1981 .

27. الرويلي، ميجان وسعد البازعي**: دليل النقد الأدبي،** ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت2002 .

28. السبتي، الربي رافد عبد الله نجم : **مسقثا (الصعود والارتقاء)** ، ترجمة وشرح وتعليق، ISBN90-9018165-2، هولندا/2004 .

29. السواح، فراس : **مغامرة العقل الأولى،** دار الكلمة للنشر، ط3، بيروت1982 .

30. السواح، فراس : **دين الإنسان،** منشورات علاء الدين، دمشق، 1995 .

31. الشواف، قاسم : **ديوان الأساطير،** ج2، دار الساقي، بيروت،1997 .

32. شغموم، الميلودي : **الوحدة والتعدد في الفكر العلمي الحديث (هنري بوانكاريه وقيمة العلم)** ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1984 .

33. عبد الغني، محمد السيد محمد : **بعض ملامح الفكر اليوناني القديم،** المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية1999 .

34. عبودي، س . هنري : **معجم الحضارات السامية،** ط2، نشر جروس برس، طرابلس،1991 .

35. علي، فاضل عبد الواحد : **الطوفان،** جامعة بغداد، بغداد،1975 .

36. علي، فاضل عبد الواحد : طرق العرافة في النصوص المسمارية، **مجلة كلية الآداب،** جامعة بغداد، العدد25، سنة 1979 . .

37. فريك، تيموثي وبيتر غاندي : **متون هرمس (حكمة الفراعنة المفقودة)** ترجمة عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2002.

38. كرم، يوسف : **تاريخ الفلسفة اليونانية،**، دار القلم، بيروت (د . ت).

39. كريمر، صموئيل نوح : **السومريون**، ترجمة الدكتور فيصل الوائلي منشورات وكالة المطبوعات، الكويت، ب . ت .

40. كريمر، صموئيل نوح : **اينانا وديموزي (طقوس الجنس المقدس عند السومريين)** ترجمة نهاد خياطة، دار الغربال، دمشق،1986، ص81.

41. كوهن، توماس : بنية الثورات العلمية، ترجمة علي نعمة، دار الحداثة، بيروت1986.

42. كونتينو، جورج : **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الرشيد للنشر، 1979.

43. الكيلاني، شمس الدين : من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي، دار الكنوز الأدبية، بيروت1998.

44. الماجدي، خزعل : **أدب الكالا . . أدب النار (دراسة في الأدب والفن والجنس في العالم القديم)** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2001.

45. الماجدي، خزعل : **موسوعة الفلك عبر التاريخ**، ط2، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان2003..

46. مطر، سليم ونصرت مردان : عيد الربيع (نيروز) عيد كل الأمة العراقية، **مجلة ميزوبوتاميا**، العدد 4 نيسان، جنيف 2005.

47. النيهوم، الصادق : **بهجة المعرفة**، المجموعة الثانية (الإنسان والمجتمع)، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس1979.

48. هيجل : **المدخل إلى علم الجمال وفكرة الجمال**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط، بيروت 1988.

49 . آل ياسين، جعفر : **فلاسفة يونانيون**، مطبعة الإرشاد، بغداد1971 . .

50 . يونغ، كارل غوستاف : **البنية النفسية عند الإنسان**، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار، دمشق : 1994 .

❖ المراجع الأجنبية

Drower, E.S: **Diwan Abather**, Rome 1950

Drower, E.s.: **The Haran Gawaita**, Citta del Vaticano Biblioteca Apostolica Vatican,1953

Hutin, serge: **Les gnostiques** (Cllection que Sais-je Pasis., Gallimard, paris 1964

❖ المراجع الإلكترونية (الشبكية)

http://www.lightworks.net/blog

http://www.redbubble.com/people/fullcirclemandalas/art/3376374-2-ishtar-goddess-rising-mandala

http://scribalterror.blogs.com

http://bluclai.blogspot.com/2009_07_01_archive.html

http://amennu.web.surftown.dk/gv_0012b.htm

http://www.sacred-texts.com/earth/boe/boe10.htm

http://www.horaryastrology.info

http://disciforum.wordpress.com

http://dcsymbols.com/mastersquare/page4.htm

http://www.anderegg-web.ch/phil/anaximandros.htm

http://li.wikipedia.org/wiki/Anaximandros

http://www.avondschool.be/school/PantaRhei.html

(محمد أندلسي : 2002) http://mohamedandaloussi.maktoobblog.com

دولوز : www.aljabriabed.net

http://oqueacontece.wordpress.com/2009/12/20/mircea-eliade/

http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

http://hermes-thoth.forumactif.net/philosophie-f1/thoth-isis-et-osiris-la-triade-t19.htm

http://www.lightways.de/16.html

http://www.botozemel.com/FSB-en/librarium/librarium.htm

http://my.opera.com/six_string_wizard/

http://www.bibleorigins.net/cherubimorigins.html

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Nabonidus.jpg

http://en.wikipedia.org/wiki/Xenocrates

http://hermes-thoth.forumactif.net/philosophie-f1/thoth-isis-et-osiris-la-triade-t19.htm

http://www.theoldoutpost.com/catalog/product_info.php?products_id=706

http://farm1.static.flickr.com/167/434632620_d300b15540.jpg?v=0

http://www.squidoo.com/symbols-of-motherhood

http://www.youbelongin.com/mandala.html

http://studwww.ugent.be/~jdzutter/

http://www.matrifocus.com/SAM08/spotlight.htm

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Silesian_Eagle.svg

http://courses.cit.cornell.edu/nes263/student2007/jml248/order.htm

http://www.tolkienlibrary.com/press/870-The_Legend_of_Sigurd_and_Gudrun.php?246

http://www2.kenyon.edu/Depts/Religion/Fac/Adler/Reln101/links101.htm

http://www.matrifocus.com/SAM08/spotlight.htm

http://www.londonbaystationery.com/?page_id=5

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

http://www.matrifocus.com/LAM05/spotlight.htm

http://ngfl.northumberland.gov.uk/clipart/Greeks/pages/Greek%20symbol%20scorpion_jpg.htm

http://www.mythinglinks.org/ct~floods.html

http://tomvanbakel.punt.nl/?gr=779834

http://www.2013.net/multidim/mayas/mayatime.htm

http://killingdenouement.wordpress.com/2009/04/13/in-the-beginning-was-the-language-and-the-language-was-gravity/

http://msgallardo.pbworks.com/The-Lightning-Thief

http://www.theoi.com/Titan/TitanPrometheus.html

http://eliasastrologia.blogspot.com/2008_01_17_archive.html

http://www.mlahanas.de/Greeks/Mythology/Pandora.html

http://www.jmvl.nl/grieksegoden/hermes.htm

http://cupublogs.blogspot.com/2010/06/zeus-god-of-gods.html

http://etc.usf.edu/clipart/21000/21000/deucalionpyr_21000.htm

http://www.squidoo.com/symbols-of-motherhood

http://karenswhimsy.com/greek-gods-goddesses.shtm

http://gogreece.about.com/cs/mythology/l/blhadespicture.htm

http://www.nissaba.nl/godinnen/astraea.php

http://www.theoi.com/Gallery/T1.5.html

http://www.beaconhillacademy.org/lessons/religion/Jupiter.jpg

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Neptun_4a.jpg

http://www.hellenica.de/Griechenland/Mythos/Deukalion.html

http://www.firstpeople.us/pictures/challenger/JD-Challenger-Wisdom-Of-The-Shaman.html

http://www.squidoo.com/dragon-legend

http://www.absoluteastronomy.com/topics/Flood_(mythology)

http://blogimages.bloggen.be/carloclaes/578143-b2e07362675cd3c507f51c1802230cc7.jpgttp://members.tripod.com/Snyder_AMDG/ImageMan.html

http://slobodni.net/showthread.php?p=4926

http://nl.wikipedia.org/wiki/Bestand:Ouroboros.png

http://brysonstein.blogspot.com/

http://dcsymbols.com/mastersquare/page4.htm

http://www.niburu.nl/forum/viewtopic.php?f=18&t=2861&start=2

http://www.62stockton.com/spacebirds/labels/Ouroboros.html

http://blogs.myspace.com/index.cfm?fuseaction=blog.view&friendId=1000353063&blogId=481273450

http://www.fittedhawaii.com/hanahou/?p=8871

http://fineartamerica.com/art/photographs/mandala/all

http://www.easywebdx.com/brahman/second.php?page_num=3

http://eve3.wordpress.com/2007/11/05/once-upon-a-time-the-quest-2/

http://www.esoterica.gr/articles/psycholg/animus/animus.htm

http://www.eso-garden.com/index.php?/weblog/2006/04/P30/

http://www.enneagramstudies.com/verbreding-jung-deel3.php

http://www.thefrasergallery.com/artists/ChawkyFrenn-HolyCost.html

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

http://www.widdershins.org/vol2iss1/b9607.htm

http://www.christiansofiraq.com/norooz.html

http://www.thejitty.com/articles/my-first-kurdish-new-year

http://www.awda-dawa.com/print.php?ID=5049

http://en.wikipedia.org/wiki/Melek_Taus

http://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/07-Jesus-Mastery-Feast__Anba-Benyameen/Rites-of-Coptic-Small-n-Big-Mastery-Feasts_042-Resurrection-Feast-Intro.html

http://www.ankawa.com/forum/index.php?topic=400288.0

http://arabic204.web.unc.edu

http://www.mesopot.com/old/adad4/3.htm

http://www.belagh.com/news.asp?id=5&sId=11465

http://www.fadak.us/A.database/Travel/monument.I/Archive.0006.htm

http://yasermetwaly.wordpress.com/2009/06/11

http://www.signcompatibilityhoroscope.com/zodiacsignsymbols.php

http://anmolastrologers.blinkweb.com/zodiac-signs.html

http://larvalsubjects.wordpress.com/2008/11/20/reminder-desire-and-the-death-drive-depression/

http://www.wagnerartgallery.com.au/artists.php?id=6

http://www.awu-dam.org/alesbouh/762/isb762-011.htm

محمود منقذ الهاشميجريدة الاسبوع الأدبي جريدة اسبوعية تعنىبشؤون الأدب و الفكر و الفن - العدد 762 تاريخ 9/6/2001

http://esmane.physics.lsa.umich.edu

http://odinicriteofaustralia.wordpress.com/odinist-cosmology-backed-by-science

الأعمال الفكرية والإبداعية المنشورة للمؤلف

القسم الأول : الأعمال الفكرية (38 كتاباً)

أولاً : علم وتاريخ الحضارات

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	الفلك عبر التاريخ	أسامة	عمّان	2001
2	تاريخ القدس القديم	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	2005
3	كنوز ليبيا القديمة	زهران	عمّان	2008
4	سحر البدايات	النايا	دمشق	2010
5	الأنباط (التاريخ، المثولوجيا، الفنون)ط1 ط2	النايا فضاءات	دمشق عمّان	2012 2016
6	تاريخ الخليقة	نون	رأس الخيمة	2014
7	حضارات ماقبل التاريخ	نون	رأس الخيمة	2015
8	الحضارة السومرية	نون	رأس الخيمة	2015
9	الحضارة المصرية	نون	رأس الخيمة	2015

ثانياً : علم وتاريخ الأديان

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	جذور الديانة المندائية	المنصور	بغداد	1997
2	أديان ومعتقدات ماقبل التاريخ	الشروق	عمّان	1997
3	الدين السومري	الشروق	عمّان	1997
4	متون سومر	الأهلية	عمّان	1998
5	الدين المصري	الشروق	عمّان	1999
6	المعتقدات الآرامية	الشروق	عمّان	2001
7	المعتقدات الكنعانية	الشروق	عمّان	2001
8	المعتقدات الأمورية	الشروق	عمّان	2002
9	المعتقدات الإغريقية	الشروق	عمّان	2004
10	المعتقدات الرومانية	الشروق	عمّان	2006
11	أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر	فضاءات	عمّان	2014
12	كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد	المركز الثقافي العربي ومؤمنون بلا حدود	بيروت – الدار البيضاء	2014
13	علم الأديان	مؤمنون بلا حدود	بيروت	2016

ثالثاً : علم وتاريخ الأساطير

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	سفر سومر	عشتار	بغداد	1990
2	مثولوجيا الأردن القديم	وزارة السياحة والآثار	عمّان	1997
3	بخور الآلهة	الأهلية	عمّان	1998
4	إنجيل سومر	الأهلية	عمّان	1998
5	إنجيل بابل	الأهلية	عمّان	1998
6	الآلهة الكنعانية	الأهلية	عمّان	1999
7	ميثولوجيا الخلود	الأهلية	عمّان	2002
8	المثولوجيا المندائية	نينوى	دمشق	2010
9	العَود الأبدي	الدار العربية للموسوعات	بيروت	2011
10	آلهة شام	نون	رأس الخيمة	2014
11	المندالا المثولوجية	نون	رأس الخيمة	2014

رابعاً : علم وتاريخ الأدب والفن

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	حكايات سومرية	وزارة الثقافة والإعلام	بغداد	1995
2	أدب الكالا.. أدب النار	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	2002
3	العقل الشعري ط1 ط2	الشؤون الثقافية النايا	بغداد دمشق	2004 2010
4	كتاب إنكي:الأدب في وادي الرافدين ج1 وج2	المركز الثقافي العربي ومؤمنون بلا حدود	بيروت – الدار البيضاء	2013
5	الأدب السومري	بيسان	بيروت	2016

القسم الثاني : الأعمال الإبداعية (27 كتاباً)

أولاً : الشعر

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	يقظة دلمون	الشؤون الثقافية	بغداد	1980
2	أناشيد إسرافيل	الشؤون الثقافية	بغداد	1984

1989	بغداد	الشؤون الثقافية	خزائيل 1و2	3
1993	بغداد	الأمد	عكازة رامبو	4
1997	بغداد	المنصور	فيزياء مضادة	5
2006 2008	بغداد القاهرة	المنصور أدب فن	حية ودرج ط1 ط2	6
2009	زيورخ - بغداد	بابل	فلم طويل جداً	7
2010 2016	بيروت بغداد	الغاوون ميزوبوتاميا	أحزان السنة العراقية	8
2012	بغداد	ميزوبوتاميا	ربما! من يدري؟	9
2013	بغداد	ميزوبوتاميا	شوغات	10
2014	عمّان	فضاءات	كاماسوترا	11
2014	عمّان	فضاءات	تحولات إيروس	12
2015	بغداد	عدنان	حينما ماء القلب	13
2016	عمّان	فضاءات	ورد لوجهكِ كي يبوح	14
2016	عمّان	فضاءات	تقلّب الجمر وتهيّج	15
2001	بيروت	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	الأعمال الشعرية ج1	16
2005	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج2	17
2008	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج3	18
2012	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج4 (خزائيل 12 كتاباً)	19
2013	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج5 (كتاب الإيروس)	20
2014	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج6	21
2015	بيروت	المؤسسة العربية	الأعمال الشعرية ج7 (2000 قصيرة)	22

ثانياً : المسرح

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	(مسرحيتان) هاملت بلا هاملت وسيدرا	الشروق	عمان	2001
2	هامنت (5 مسرحيات)	فضاءات	عمان	2013
3	موسيقى صفراء (8 مسرحيات)	فضاءات	عمان	2016
4	الأعمال المسرحية ج1	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	2010
5	الأعمال المسرحية ج2	المؤسسة العربية	بيروت	2013

القسم الثالث : الأعمال المترجمة (7 كتب)

NO.	Book Name	Translator	Publish House	Publish City & Year
1	العقل الشعري (اللغة الكردية)	عبد المطلب عبد الله	سردم	السليمانية2007
2	إنجيل بابل (اللغة الفارسية) بعنوان كتاب مقدس بابل	الدكتور إحسان مقدّس	نيلوبرك (اللوتس)	1385 2008 طهران
3	Sorrows of the Iraqi Year (Selected Poems)	Bashar Abdullah	Moment Digibooks Limted	London 2013
4	Hamnet	Thakaa Muttib Hussein	Moment Digibooks Limted	London 2013
5	On the Thresholds of Temples(Selected Poems)	Soheil Najm	Moment Digibooks Limted	London 2014
6	Maybe, who knows!	Jawad Wadi	Moment Digibooks Limted	London 2014
7	Pasarea Celor Patru Zari (The Bird of Four Directions)	George Grigore	Academiei Internationale Orient-Occident	Curta de Arges (Romania) 2014

العود الأبدي



العودة إلى الأصول و الصراع بين الأسطورة والتاريخ

ما زال (العود الأبدي) غامضاً عند الكثيرين، عامةً وخاصةً، رغم أنه يُمارس من قبل الجميع كلّ يوم، ورغم أنه يشكل جوهر السلوك الديني، ولعل غموضه متأتٍ، بشكل خاص، من طريقة عرضه المشوبة بالكثير من اللبس والإبهام.

لم يعد العود الأبدي سلوكاً أو فكرةً أو خرافة قديمة، بل أصبح نظاماً دينياً شاملاً يتضمن المكونات الرئيسية لأي دين معروف، فله معتقدات وأساطير وطقوس خاصة به.

هذا الكتاب يوضّح العود الأبدي بدقةٍ يحلل معتقداته الفكرية والفلسفية ويكشف عن الأساطير التي مهدت وأسست له وشكّلت رموزه ونماذجه البدئية وعن الطقوس التي مازال يمارسها أغلب الناس كنوع من سلوك العود الأبدي، حيث نرى أن العود الأبدي موجود اليوم في سلوكنا وحياتنا بشكل واضح وعلينا كشف الوعي الجميل له والوعي الشقي به، فهذان الوعيان هما ما يجعلانه إما مادة للإبداع أو مادة للقهر والاستبداد.

من جانب آخر أصبحت منظومة (العود الأبدي) هذه موئلاً للمذاهب الأصولية، التي جنحت نحو السلفية والماضي، عندما تأدلجت دينياً وغدت نظاماً قهرياً واستبدادياً مارسه الأصوليون في الدين والسياسة بشكل خاص وغدت نظاماً سلبياً. أما في الأدب والفن فقد استثمره المبدعون الكبار في أعمالهم كأسطورة عميقة ودالة، وفي العلم ظهرت أصداؤه مع نظريات الكون المرآة وعلماء الكلانية وفي تأويلات نظرية الانفجار الكبير.

الكتب التي ناقشت العود الأبدي قليلة جداً وأغلبها يؤكد على جانب واحد منه، لكن هذا الكتاب يحاول فحص نظام العَود الأبدي بأكمله من معتقدات وأساطير وطقوس بل ويتحرى عنه في الشعر والرواية والتصوير وعلوم الكون والفيزياء بشكل خاص. ويحاول الكتاب أن يجيب عن السؤال الآتي:

هل العود الأبدي فكرة جيلة مضللة؟ أم هي فكرة دينية تتلبس الفلسفة والعلم؟





